فتح الرحمن
في
تفسير القرآن

ٱلطَّبْعَةُ ٱلأُولَى
مِن إِصْدَارَاتِ
وِزَارَةُ ٱلأَوْقَافِ وَٱلشُّؤُونِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ٱلطَّبْعَةُ ٱلثَّانِيَة
مِن إِصْدَارَاتِ
دَارِ ٱلنَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN

9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَارِ ٱلنَّوَادِرِ م. ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَارِ ٱلنَّوَادِرِ ٱللُّبْنَانِيَّة ش. م. م - لُبْنَان * شَرِكَة دَارِ ٱلنَّوَادِرِ ٱلكُوَيْتِيَّة - ذ. م. م - ٱلكُوَيْت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ٥١٨٠/١٤ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ ٱلدِّينِ طَالِب
ٱلمُدِيرُ ٱلعَام وَٱلرَّئِيسُ ٱلتَّنفِيذِي

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي
المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧هـ)
رحمه الله تعالى

المجلد السابع

اعتنى به
تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحشر

مدنية باتفاق أهل العلم، وآيها: أربع وعشرون آية، وحروفها: ألف وتسع مئة وثلاثة عشر حرفاً، وكلمها: أربع مئة وخمس وأربعون كلمة، وهي سورة بني النضير، [وذلك أن رسول الله ﷺ كان عاهد بني النضير][1] على سِلْم ألاَّ يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه، وهم يرون أنه لا ترد له راية، فلما جرت هزيمة أحد، ارتابوا ودخلوا قريشاً وغدروا، فلما رجع النبي ﷺ من أحد، تبين له معتقد بني النضير وغدرهم بعهده، وموالاتهم للكفار، فخرج إليهم بالكتائب على حمار مخطوم بليف، وقال: «اخرجوا من المدينة»، فقالوا: الموتُ أقرب إلينا من ذلك، فدسَّ إليهم عبد الله بن أبي وأصحابُه ألا تخرجوا من حصنكم، وإن قتلتم فنحن معكم ننصركم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فدربوا الأزقة، وحصنوها، فحاصرهم ﷺ إحدى وعشرين ليلة، فرعبت قلوبهم، وطلبوا الصلح، فأبى عليهم ﷺ إلا الجلاء، ويحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقي، فجلوا عن المدينة إلى أريحاء وأذرعات من أرض الشام، إلا أهل بيتين من

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

آل أبي الحقيق وآل ابن أخطب لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة، فنزلت السورة[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيره في أول سورة الحديد.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم بنو النضير، وكانت قبيلة عظيمة من بني إسرائيل، موازنة في القدر والمنزلة لبني قريظة، وكان يقال للقبيلتين: الكاهنان؛ لأنهما من ولد الكاهن ابن هارون.

﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ وكانت أرضهم وحصونهم قريبة من المدينة بقرية يقال لها: زهرة، ولهم نخل وأموال عظيمة.

﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾ أي: عند أول حشرهم إلى الشام، والحشر: الجمع

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٣٨): غريب، وهو في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٦٧) هكذا من غير سند.

والتوجيه إلى ناحية ما، قال ابن عباس: من شكَّ أن المحشرَ بالشام، فليقرأ هذه الآية»، فكان أول حشر إلى الشام، قال النبي: ﷺ «اخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر، ثم تحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام[١][٢]»، وقيل: معناه لأول الحشر؛ لأنهم كانوا أول من أُجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرَهم عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، وسميت جزيرة؛ لأنه أحاط بها بحر الحبشة، وبحر فارس، ودجلة، والفرات.

﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾ من المدينة؛ لعزهم وقوتهم ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أي: بنو النضير.

﴿أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من بأس الله؛ لوثوقهم بحصانتها.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمرُه وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ أي: يظنوا.

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوفَ بقتل سيدهم كعبِ بن الأشرف غيلةً قبلَ ذلك، وتقدم ذكرُ قتله في سورة آل عمران. **قرأ** أبو جعفر، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب: (الرُّعُبَ) بضم العين، والباقون: بإسكانها[٣].

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾ يهدمونها. **قرأ** أبو عمرو: (يُخَرِّبُونَ) بفتح الخاء وتشديد الراء من خَرَّب، **وقرأ** الباقون: بإسكان الخاء مخففاً من أخرب،

---

(١) «إلى الشام» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما نسبه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨٩)، والبزار في «مسنده» كما عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٣)، ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٨٥).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١١).

لغتان[1]، وقرأ ابن كثير، وقالون، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (بِيُوتَهُمْ) بكسر الباء، والباقون: بضمها، ومعناهما واحد[2].

﴿ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [كانوا يخربون بواطنها؛ لئلا يتحسروا على بقائها للمسلمين][3].

﴿ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كانوا يخربون باقيها.

﴿ فَٱعْتَبِرُوا ﴾ فاتعِظوا[4] بمصابهم ﴿ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ ذوي العقول والبصائر.

* * *

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾ أي: حكمَ عليهم بخروجهم من أوطانهم ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ بالقتل والأسر؛ كقريظة.

﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ إن نجوا هنا من القتل.

﴿ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ وكان إجلاء بني النضير مرجعَ النبي ﷺ من أُحد في سنة ثلاث من الهجرة، وفتحُ قريظة مرجعَه من الأحزاب في سنة خمس من الهجرة، وبينهما سنتان.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١١-١١٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٢).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٤) «فاتعظوا» زيادة من «ت».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ .

[٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ والمشاقة: كون الإنسان في شق، ومخالفه في شق ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ .

* * *

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ .

[٥] ولما حاصروا بني النضير، قطعوا بعض نخلهم؛ ليغيظوهم، فتحرَّج بعض المسلمين من ذلك، فنزل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ من نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بمشيئته، فلا جناح عليكم.

﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ اليهودَ، فيه دليل على جواز قطع شجر الكفار وحرقها وهدم بيوتهم إذا قوتلوا، والحكم كذلك بالاتفاق.

* * *

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ .

[٦] ولما ترك بنو النضير رباعهم وضياعهم، طلب المسلمون قسمتها كخيبر، فنزل: ﴿وَمَآ أَفَآءَ﴾ ردَّ ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ من أموال الكفار؛ أي: جعله فيئاً يختص به ﷺ.

﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ أي: سرتم بسرعة ﴿عَلَيْهِ﴾ على طلبه.

﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ إبل خاصة، و(مِنْ) زائدة، المعنى: لم تقاسوا مشقة على أخذ أموال اليهود، فلذلك اختص به ﷺ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ إهلاكَه وأخذَ ماله.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يفعل ما يريد، فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسمها بين المهاجرين، ولم يُعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دجانة سماكُ بنُ خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة[1].

***

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ثم بين ما يصنع ﷺ بالفيء، فقال:

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ﴾ أموال الكفار.

﴿أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ وهي قريظةُ والنضير، وفدك، وخيبر، وقرى عرينة.

﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الْقُرَى) و(الْقُرْبَى) و(الْيَتَامَى) بالإمالة، وافقهم أبو عمرو في (الْقُرَى) و(الْقُرْبَى)، واختلف عن ورش، وقرأ الباقون:

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٧٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣١٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٢٠٩).

بالفتح[1]، وتقدم حكم الفيء والغنيمة واختلاف الأئمة فيهما مستوفىً في سورة الأنفال.

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ هو ما يُتداول.

﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ المعنى: قسم تعالى هذه الأموال بين المذكورين؛ لئلا يختص بها الأغنياء، ويتداولوها بينهم. قرأ أبو جعفر: (تَكُونَ) بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث لفظ (دُولَةً)، [و(دولةٌ) بالرفع؛ أي: كي لايقع دولة جاهلية، وافقه هشام على رفع دولة][2]، واختلف عنه في تذكير (يَكُونَ) وتأنيثه، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير؛ لأن تأنيث (دُولَةَ) غير حقيقي، و(دُولَةً) بالنصب[3]؛ أي: لكيلا يكون الفيء دولة، والمخاطبة للأنصار؛ لأنه لم يكن في المهاجرين في ذلك الوقت غنى.

﴿وَمَا آتَاكُمُ﴾ أعطاكم ﴿الرَّسُولُ﴾ أيها المؤمنون من الفيء وغيره.

﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ من الغلول وغيره.

﴿فَانتَهُوا﴾ وهذا نازل في أمر الفيء، ثم اطَّرد بعدُ معنى الآية في جميع أوامر النبي ﷺ ونواهيه، فما حكم به الشارع ﷺ مطلقاً، أو في عين، أو فعله، أو أقره، لا يعلل بعلة مختصة بذلك الوقت بحيث يزول الحكم مطلقاً عند الحنابلة والشافعية، وجوزه الحنفية والمالكية.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٤).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٤).

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ لمن خالفه.

* * *

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ثم بين مَنْ له الحقُّ في الفيء، فقال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ فإن كفار مكة أخرجوهم، وأخذوا أموالهم.

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا ﴾ رزقاً ﴿ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ أي: أُخرجوا إلى دار الهجرة طلباً لرضا الله عز وجل. قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَرُضْوَاناً) بضم الراء، والباقون: بكسرها(١).

﴿ وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بأنفسهم وأموالهم.

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ في إيمانهم.

* * *

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا ﴾ استوطنوا ﴿ الدَّارَ ﴾ المدينةَ، وهم الأنصار ﴿ وَالْإِيمَانَ ﴾ أي: وأخلصوا الإيمان ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل قدوم المهاجرين

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٥).

عليهم؛ فإنهم آمنوا، وبنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ والمهاجرين المدينة بسنتين.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ لقسم النبي ﷺ أموالَ بني النضير للمهاجرين دون الأنصار ﴿حَاجَةً﴾ حزازة وحسداً ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: مما أُعطي المهاجرون دونَهم من الفيء.

﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ إخوانَهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم.

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فقرٌ إلى ما يؤثرون به.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ وشحُّ النفس: هو كثرة الطمع وضبطها على المال والرغبة فيه، وامتداد الأمل، وهو فقر لا يُذهبه غنى المال، بل يزيده، وهو داعية كل خلق سوء ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالثناء والثواب.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمعُ غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنمَ في جوفِ عبدٍ أبداً، ولا يجتمعُ الشحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبداً»(١).

وقال ﷺ: «من أدَّى الزكاةَ المفروضةَ، وقِرى الضيف، وأعطى في النائبة، فقد برىء من الشح»(٢).

والشح: هو أقبح البخل.

---

(١) رواه النسائي (٣١١٠)، كتاب: الجهاد، باب: فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، والإمام أحمد في «المسند» (٢/٢٥٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٣٩٥).

(٢) رواه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/٤٥٩)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾.

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني: التابعين، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، وإعراب (الَّذِينَ) رفع عطفاً على (هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، ثم وصف الله تعالى القولَ الذي ينبغي أن يلتزمه كلُّ من لم يكن من الصدر الأول، فقال:

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ قوله: (يَقُولُونَ) حال فيها الفائدة، والمراد: والذين جاؤوا قائلين كذا.

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾ غشاً وحقداً.

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة، ولم يترحم على جميعهم، فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأن الله رتب المؤمنين على ثلاث خلال: المهاجرين، والأنصار، والتابعين الموصوفين بما ذكرهم، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة، كان خارجاً من أصناف[1] المؤمنين، ولهذه الآية قال مالك وغيره: إنه من كان له في الصحابة قول سوء أو بغض، فلا حظَّ له في الغنيمة؛ أدباً له، وتقدم في سورة الحديد [الآية: ٩] اختلاف القراء في (رَؤوف).

***

---

(١) في «ت»: «أقسام».

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ أي: أظهروا خلاف ما أضمروا؛ يعني: عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهم اليهود من بني قريظة والنضير:

﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ ﴾ من المدينة ﴿ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا ﴾ سألنا خِذْلانكم ﴿ أَبَدًا ﴾ أي: من رسول الله والمسلمين.

﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ لنعاوننَّكُمْ.

﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ لعلمِه بعدم فعلهم ذلك.

* * *

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] كما قال: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ ﴾ من ديارهم ﴿ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ ﴾ وكان الأمر كذلك؛ فإنهم أخلفوهم الوعد.

﴿ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ ﴾ أي: جاؤوا لنصره.

﴿ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ منهزمين ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ اليهود؛ لانهزام ناصرهم.

* * *

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿لَأَنتُمْ﴾ يا معشرَ المسلمين ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ المعنى: خوفُ المنافقين منكم أيها المؤمنون سراً أشدُّ من خوفهم من الله تعالى جهراً، فإن استبطان رهبتكم سببٌ لإظهار رهبة الله تعالى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الخوفُ منكم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ عظمةَ الله.

* * *

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ اليهودُ والمنافقون ﴿جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين.

﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق، والدروب، فلا يبرزون لقتالكم.

﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭۚ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (جِدَارٍ) بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها على التوحيد، وأبو عمرو: على أصله في الإمالة، وقرأ الباقون: بضم الجيم والدال من غير ألف على الجمع(١)، وهما بمعنى الحائط ﴿بَأْسُهُم﴾ حربهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ﴾ قتالهم لكم من وراء السور شديد، ولكن لا يطيقون مبارزتكم.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ متفقين. وتقدم اختلاف القراء في (تَحْسَبُهُمْ) في

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٦-١١٧).

سورة الحديد ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ متفرقة ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ ما فيه صلاحُهم.

* * *

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] فمثلُ بني النضير ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ﴾ يعني: مشركي مكة.

﴿ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ سوءَ عاقبة كفرهم، وهو القتل ببدر، وكانت غزوة بدر [في رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبل غزوة][1] بني النضير، والتقدير: ذاقوا وبال أمرهم قريباً من عصيانهم، و(قَرِيباً) ظرف، أو نعت لظرف ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ومثل المنافقين وإغوائهم اليهودَ بقولهم: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾.

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ إبليس ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾ فكفر.

﴿ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ تبرأ منه[2] مخافةَ أن يشاركه في العذاب، ولم ينفعه ذلك.

وحكي أن هذا في شيطان مخصوص مع عابد من العباد مخصوص اسمه

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) في «ت»: «عنه».

برصيصا، استودع امرأة سيقت إليه ليشفيها بدعائه من الجنون، فسول له الشيطان الوقوع عليها، فحملت، فخشي الفضيحة، فسول له قتلها ودفنها، ثم شهره، فلما استخرجت المرأة، وحُمل العابدُ شرَّ حمل، وهو قد قال: إنها قد ماتت، فقمتُ عليها فدفنتها فلما وُجدت مقتولة، علموا كذبه، فتعرض له الشيطان، فقال له: اكفر واسجد لي وأنا أنجيك، ففعل، فتركه عند ذلك، وقال: إني بريء منك، قال ابن عطية[1]: وهذا كله ضعيف، والتأويل الأول هو وجه الكلام[2].

وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ رياء من قوله، وليست على ذلك عقيدته. قرأ أبو جعفر بخلاف عنه: (بَرِيٌّ) بتشديد الياء بغير همز، والباقون: بالمد والهمز[3]، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[4].

***

﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ﴾ آخرَ أمر الغاوي والمغوى.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٦٤)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٨٧).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٠).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٨).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٨).

﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وذهب الجمهور من المتأولين إلى أن (الشيطانَ) و(الإنسانَ) في هذه الآية اسما جنس؛ لأن العرف أن يعمل هذا شياطين بناس، كما يغوي الشيطان الإنسان، ثم يفر عنه بعد أن يورطه، كذلك أغوى المنافقون بني النضير، وحرضوهم على الثبوت، ووعدوهم النصر، فلما نشب بني النضير، وكشفوا عن وجوههم، تركهم المنافقون في أسوأ حال.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من العمل.

﴿لِغَدٍۖ﴾ ليوم القيامة، وسماه به؛ لدنوه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تكرير للتأكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو كالوعيد على المعاصي.

* * *

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: نسوا حقه، وغفلوا عنه.

﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ أي: حقَّ أنفسهم بالخذلان حتى لم يقدموا لها خيراً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الكاملون في الفسق، ويعطي لفظ هذه

الآية أن من عرف نفسه ولم ينسها، عرف ربه تعالى، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: اعرف نفسك تعرف ربك[1].

* * *

﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ ﴾ فيه دليل على أن المسلم لا يُقتل بالكافر، وتقدم الحكم في ذلك، واختلاف الأئمة فيه في سورة البقرة.

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ بالنعيم المقيم.

* * *

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا ﴾ متشققاً.

﴿ مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ قرأ ابن كثير: (القُرَانَ) بالنقل، والباقون: بالهمز[2]، وهذا تمثيل توبيخاً للإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ ﴾ المذكورات هنا وجميع القرآن.

﴿ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيؤمنون.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٩١)، و«تفسير الثعالبي» (٤/ ٢٨٧).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٠).

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لما قال تعالى: ﴿ مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ تعالى جاء بالأوصاف التي توجب لمخلوقاته هذه الخشية.

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ ما غاب عن المخلوقين، ولم يعاينوه.

﴿ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ما شاهدوه وعلموه ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ذو الرحمة، ولا يوصف به إلا هو سبحانه ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ عظيم الرحمة.

* * *

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ البليغُ في النزاهة، وهو فُعُّول من تقدَّس: إذا تطهَّر، وحظيرة القدس: الجنة؛ لأنها طاهرة، ومنها روح القدس، والأرض المقدسة: بيت المقدس، سمي به؛ لأنه يُتطهر فيه من الذنوب.

﴿ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ الذي سلم من النقائص ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ واهب الأمن ﴿ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ الرقيب على كل شيء ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يوجد له نظير ﴿ ٱلْجَبَّارُ ﴾ العظيم الذي جبر خلقه على ما أراد ﴿ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ المتعالي عن صفات المحدثات وعن كل سوء.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ﴾ المقدِّرُ لما يوجد ﴿ ٱلْبَارِئُ ﴾ المنشيء من العدم. قرأ الدوري عن الكسائي: (الْبَارِىءُ) بالإمالة[١] ﴿ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ الممثِّل لِصورة خلقه بالشكل واللون.

﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: ذات الحسن في معانيها القائمة بذاته سبحانه، وهذه الأسماء التي حصرها رسول الله ﷺ بقوله: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً، مئةً إلا واحداً، من أحصاها، دخلَ الجنةَ»[٢]، وتقدم ذكرها والكلام عليها في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الآية: ١٨٠].

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ينزهه عن النقائص.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ تقدم تفسيره في أول سورة الحديد.

روي أن اسم الله الأعظم في هذه الآيات من ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ إلى آخرها[٣]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ١٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٨/ ٥٦).

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

مدنية، وآيها: ثلاث عشرة آية، وحروفها: ألف وخمس مئة وعشرة أحرف، وكلمها: ثلاث مئة وثمان وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.

[١] لما أراد رسول الله الخروج إلى مكة عام الحديبية، فورَّى عن ذلك بخيبر، فشاع في الناس أنهم خارجون إلى خيبر، وأخبر هو جماعة من كبار الصحابة بقصده إلى مكة، منهم حاطبُ بن أبي بلتعة، فكتب حاطب إلى قوم من كفار مكة يخبرهم بقصد رسول الله، وحذَّرهم، وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب، فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بذلك، فبعث علياً والزبير وعماراً وطلحة والمقداد وأبا مرثد، وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخ؛ فإنَّ بها ظَعينةً معها كتابُ حاطبٍ إلى أهلِ مكة، فخُذوا منها، وخَلُّوها، فإن أبت، فاضربوا عنقَها»، فأدركوها ثَمَّ، فجحدت، ففتشوا

جميع رحلها فما وجدوا شيئاً، فقال بعضهم: ما معها كتاب، فقال علي: ما كذب رسولُ الله ﷺ، واللهِ لتخرجِنَّ الكتاب، وإلا لأجردَنَّك ولأضربَنَّ عنقَك، فأخرجته من ذؤابتها، قد خبأته في شعرها، فخلوها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، فاستحضر حاطباً، وقال: «ما حَمَلَكَ عليه؟ فقالَ: ما كفرتُ منذ أسلمتُ، ولا غششتك منذ نصحتُك، ولكني كنتُ امرأً ملصَقاً في قريش، وليس فيهم من يحمي أهلي، فأردت أن آخذ عندهم يداً يرعوني بها في قرابتي، وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: دعني يا رسول الله أضربْ عنقَ هذا المنافق، فقال رسول الله: ﷺ صدقَ حاطبٌ إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمرُ لعلَّ الله قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيراً»(١).

وروي أن حاطباً كتب أن رسول الله ﷺ يريد غزوكم مثل(٢) الليل والسيل، وأقسم بالله، لو غزاكم هو وحده، لنصر عليكم، فكيف وهو في جمع كثير؟! فنزل في شأن حاطب:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ﴾ (٣) مفعولُه الأول ﴿عَدُوِّى﴾ ويعطف عليه ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ والثاني ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ والعدو: اسم يقع للجمع والمفرد، والمراد هنا: كفار قريش.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٨)، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، ومسلم (٢٤٩٤)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل أهل بَدر رضي الله عنهم من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ت»: «في حكم».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٩٣)، و«تفسير الثعالبي» (٤/ ٢٩٠).

﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم ﴾ صفة لـ(أَوْلِياءَ) والباء زائدة في ﴿ بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ أي: لا تظهروا مودتكم لهم ﴿ وَقَدْ ﴾ الواو للحال؛ أي: وحالهم أنهم.

﴿ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو القرآن.

﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ من مكة ﴿ أَن تُؤْمِنُواْ ﴾ تعليل؛ أي: لإيمانكم ﴿ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ وقوله: ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ ﴾ شرطٌ جوابه متقدم في معنى ما قبله، تقديره: إن كنتم خرجتم ﴿ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي ﴾ فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، و(جِهَاداً) و(ابْتِغَاءَ) مفعولان له، والمرضاة مصدر كالرضا. قرأ الكسائي: (مَرْضَاتِي) بالإمالة، والباقون: بالفتح(١).

﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ بالنصيحة فعل ابتدأ به القول؛ أي: تفعلون ذلك ﴿ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (وَأَنَا أَعْلَمُ) بالمد(٢).

﴿ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ ﴾ من المودة للكفار ﴿ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ أظهرتم.

﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ ﴾ أي: الإسرارَ.

﴿ فَقَدْ ضَلَّ ﴾ أخطأ ﴿ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ طريق الهدى.

* * *

﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ ﴾ يظفروا بكم ﴿ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً ﴾ ولا تنفعكم مودتهم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠-٢٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٥).

﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضرب والقتل ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالشتم.

﴿وَوَدُّواْ﴾ كفار مكة ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فتكونون مثلَهم.

* * *

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾.

[٣] ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتُكم.

﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ بمكة الذين بسببهم كتب الكتاب خوفاً عليهم إلى مكة.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ﴾ فيدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار. قرأ عاصم، ويعقوب: (يَفْصِلُ) بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخففة، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة، وقرأ ابن عامر بخلاف عن راويه هشام: بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددة، وقرأ الباقون: بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخففة(١)، المعنى: يفرق تعالى بينكم وبين أقاربكم، فيدخل المؤمنَ الجنة، والكافرَ النار.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٥-١٢٦).

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أُسْوَةٌ ﴾ قدوةٌ ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ قرأ عاصم: (أُسْوَةٌ) بضم الهمزة، والباقون: بكسرها[١].

﴿ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشام: (أَبْرَاهَامَ) بالألف، والباقون: بالياء[٢].

[﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ من المؤمنين، وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريباً منه، قال ابن عطية[٣]: وهذا القول أرجح؛ لأنه لم يرد[٤] أن إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحة نمرود، وفي «البخاري»[٥]؛ أنه قال لسارة حين دخل بها إلى الشام مهاجراً من بلاد نمرود: ما على الأرض من يعبد الله غيري وغيرك][٦].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٧).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٧).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٥).

(٤) في «المحرر الوجيز»: «لم يروَ».

(٥) رواه البخاري (٣١٧٩)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾، ومسلم (٢٣٧١)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

﴿ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ ﴾ المشركين ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ ﴾ جمع بريء.

﴿ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ جحدنا دينكم.

﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ فتنقلب العداوة محبة، وهذا أمر لحاطب والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم ومن معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين. واختلاف القراء في الهمزتين من (الْبَغْضَاءُ أَبَداً) كاختلافهم فيهما من (الْمَلأُ أَفْتُونِي) في سورة النمل [الآية: ٣٢].

﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾ مستثنى من (أُسْوَة) يعني: لكم أسوة في إبراهيم، إلا في استغفاره لأبيه المشرك؛ فإن إبراهيم عليه السلام كان قد قال لأبيه: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ ثم تبرأ منه كما تقدم في سورة التوبة؛ لأن استغفار المؤمن للكافر لا يجوز، قال إبراهيم لأبيه:

﴿ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ما أدفعُ عنك من عذابه ﴿ مِن شَىْءٍ ﴾ إن عصيتُه وأشركتُ.

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ حكاية عن قول إبراهيم والذين معه: أنه هكذا كان، وقيل: هو أمر للمؤمنين؛ أي: قولوا ذلك.

***

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: لا تُظفرهم بنا، فيفتنونا عن ديننا.

﴿ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ ﴾ ما فرط ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ .

* * *

﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ثم خاطب الله أمة[١] محمد ﷺ، فقال:

﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ ﴾ في إبراهيم ومؤمنيه ﴿ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ تقدم مذهب عاصم في (أُسْوَة)، فإن قيل: لم كرر الله الأسوة مرتين؟ فالجواب أن الأسوة الأولى غير الثانية، فالأولى أسوة في العداوة، والثانية في الخوف والخشية، فلا تكرار، وتبدل من ﴿ لَكُمۡ ﴾ بدل اشتمال.

﴿ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ ﴾ أي: يخاف الله، ويخاف عذاب الآخرة.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ عن خلقه.

﴿ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ في ذاته وأفعاله، لا ينقص ذلك كفرُ كافر، ولا نفاقُ منافق.

* * *

﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم ﴾ أي: من كفار مكة.

﴿ مَّوَدَّةٗۚ ﴾ محبة، ففعل الله ذلك؛ بأن أسلم كثير منهم يوم فتح مكة، وتحابوا.

---

(١) «أمة» زيادة من «ت».

روي أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وذلك أن أم حبيبة بنت أبي سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش أسلما وهاجرا إلى الحبشة، فقُبض زوجها، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ، فكتب كتاباً إلى النجاشي، وخطب أم حبيبة وتزوجها، وأحبَّ أن يكون صهرُه مسلماً، فأنزل الله الآية، وأسلم هؤلاء[1] الأربعة لمحبته[2].

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ﴾ على ذلك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لما فرط منكم في موالاتهم من قبل.

* * *

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾.

[8] ونزل رخصة في برِّ من لم يعاد المسلمين، ولم يقاتلهم من الكفار ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ وتبدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْۚ﴾ تعدلوا فيهم بالإحسان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين، ونسختها ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

* * *

(١) في «ت»: «هذه».
(٢) انظر: «تفسير الثعالبي» (٩/ ٢٩٤)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٥٨).

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ ﴾ أعانوا ﴿ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ ﴾ فإن بعضهم سعى في إخراج المؤمنين، وبعضٌ أعان عليه، وتبدل من ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾.

﴿ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ تلخيصه: لم ينهكم عن بر هؤلاء، إنما ينهاكم عن تولِّي هؤلاء. قرأ البزي: (أَن تَّوَلَّوْهُمْ) بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها[١].

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام.

﴿ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ فاختبروهن بالحلف إنهن ما خرجن إلا حباً لله ورسوله، فكان رسول الله ﷺ يحلِّف المهاجرة بالله إنها ما خرجت بغضاً لزوج،

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٩).

ولا عشقاً لرجل، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحدث أحدثته، ولا لالتماس الدنيا، ولا خرجت إلا رغبة في الإسلام، وحباً لله ورسوله، فإذا حلفت، لم يردَّها، وأعطى زوجَها مهرَها وما أنفقَ عليها، وحكم بإيمانها.

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ فإنه المطَّلع على ما في قلوبهن.

﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾ أي: غلب على ظنكم إيمانُهنَّ بالحلف؛ لأن غلبة الظن تسمى: علماً ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ ﴾ تردُّوهن ﴿ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ بعدَما أسلمن، وإن كانوا أزواجهن.

﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ أي: لا يحل أحدهما لصاحبه.

﴿ وَءَاتُوهُم ﴾ يعني: أزواجَهن ﴿ مَّآ أَنفَقُوا۟ ﴾ من المهر.

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ وإن كان لهن أزواج كفار؛ لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار.

﴿ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن.

﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بفتح الميم وتشديد السين، وقرأ الباقون: بإسكان الميم وتخفيف السين(١)، ومعناهما الإمساك.

﴿ بِعِصَمِ ﴾ جمع عصمة، وهو ما يعتمد عليه.

﴿ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ جمع كافرة، المعنى: من كانت له زوجة كافرة، فلا يعتدَّنَّ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٠).

بها؛ لانقطاع الزوجية بينهما، فلما نزلت هذه الآية، طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين: قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها معاوية بن أبي سفيان، وهما على الشرك في مكة، والأخرى: أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن عاصم، وهما على الشرك، وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله، فهاجر طلحة وهي بمكة على دين قومها، ففرق الإسلام بينهما، فتزوجها في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وكانت زينبُ بنتُ رسول الله ﷺ امرأةَ أبي العاص بن الربيع، ولحقت بالنبي ﷺ، وأقام أبو العاص بمكة مشركاً، ثم أتى المدينةَ، فأسلم، فردها عليه رسول الله ﷺ(١).

وأما حكم الشرع إذا أسلم الزوجان معاً، أو أسلم زوج الكتابية، فهما على نكاحهما بالاتفاق، وإذا أسلمت المرأة، فإن كانت مدخولاً بها، فأسلم في عدتها، فهي امرأته بالاتفاق، وإن كانت غير مدخول بها، وقعت الفرقة بينهما، وكانت فسخاً عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: يعرض عليه الإسلام، فإن أسلم، فهي امرأته، وإلا فرق القاضي بينهما بإبائه عن الإسلام، وتكون هذه الفرقة طلاقاً عند أبي حنيفة ومحمد، وفسخاً عند أبي يوسف، ولها المهر إن كانت مدخولاً بها، وإلا فلا، بالاتفاق.

وأما إذا ارتد أحد الزوجين المسلمَين، فقال أبو حنيفة ومالك: تقع الفرقة حال الردة بلا تأخير، قبل الدخول وبعده، وقال الشافعي وأحمد: إن

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٨)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٦٦).

كانت الردة من أحدهما قبل الدخول، انفسخ النكاح، وإن كانت بعدها، وقعت الفرقة على انقضاء العدة، فإن أسلم المرتد منهما في العدة، ثبت النكاح، وإلا انفسخ بانقضائها، ثم إن كان المرتد الزوجة بعد الدخول، فلها المهر، وقبله لاشيء لها، وإن كان الزوج، فلها الكل بعده، والنصف قبله بالاتفاق.

﴿وَسْـَٔلُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ أي: واسألوا أهل مكة أن يردوا عليكم مهورَ النساء اللواتي يخرجن إليهن مرتدات ممن يتزوجهن. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (سَلُوا) بنقل حركة الهمز إلى ساكن قبله وهو السين، وقرأ الباقون: بإسكان السين والهمز[(١)].

﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ﴾ أي: المشركون ﴿مَآ أَنفَقُواْ﴾ من المهر على زوجاتهم المهاجرات ممن تزوجوهن.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحكم المذكور.

﴿حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يحكم[(٢)] ما تقتضيه حكمته، ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك.

* * *

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] فلما نزلت هذه الآية، أقر المؤمنون بحكم الله ـ عز وجل ـ، وأدَّوا ما أُمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقروا

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣١).

(٢) في «ت»: «يشرع».

بحكم الله فيما أمر به من أداء نفقات المسلمين، فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ﴾ (1) أي: أحد ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: سبقكم، وانقلب منكم ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾، فلحق بهم مرتدات.

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فغنمتم من الكفار.

﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾ منكم إلى الكفار مرتدات.

﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم.

قال ابن عباس: «لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ستُّ نسوة رجعنَ عن الإسلام، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهنَّ مهورهن من الغنيمة»(2)، وهذا كله منسوخ حكمه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه.

* * *

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (12)﴾.

[12] ونزل يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ قرأ نافع: (النَّبِيءُ إِذَا)

---

(1) انظر: «تفسير البغوي» (4/ 378).

(2) انظر: «تفسير البغوي» (4/ 379).

بالهمز والمد وتسهيل الهمزة الثانية، والباقون: بتشديد الياء بغير مد ولا همز، وتحقيق الهمزة الثانية.

﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ والمراد: وأد البنات الذي كانوا يفعلونه، وهو دفنهن في حياتهن.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: تلتقط مولوداً وتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فهو البهتان المفترى؛ لأن الولد إذا وضعته الأم، سقط بين يديها ورجليها. قرأ يعقوب: (أَيْدِيهُنَّ) بضم الهاء، والباقون: بكسرها[1].

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله ورسوله.

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ إذا بايعنك.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فكان رسول الله ﷺ على الصفا، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمره، ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء؛ خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها، ثم عرفها، وعفا عنها، وصح أنه ﷺ لم يصافح امرأة في البيعة، وإنما بايعهن بالكلام، وقال: «إني لا أصافحُ النساءَ، وإنما قولي لامرأةٍ كقولي لمئةِ امرأة»[2].

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٢ـ١٣٣).

(٢) رواه النسائي (٤١٨١)، كتاب: البيعة، باب: بيعة النساء، والترمذي (١٥٩٧)، كتاب: السير، باب: ما جاء في بيعة النساء، وقال: حسن صحيح، من حديث أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] وكان بعض فقراء المسلمين يواصلون اليهود لينالوا شيئاً من ثمارهم، فنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[1] وهم اليهود.

﴿ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: من أن يكون لهم حظ فيها.

﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ أي: من رجوع موتاهم؛ لأنهم لا يوقنون بالبعث، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٥٢٠)، و«تفسير البيضاوي» (٥/ ٣٣١).

سُورَةُ الصَّفِّ

مدنية في قول الجمهور، وقيل: مكية، والأول أصح؛ لأن معانيها تعضده، ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني، وآيها: أربع عشرة آية، وحروفها: تسع مئة وستة وعشرون حرفاً، وكلمها: مئتان وإحدى وعشرون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾.

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيره في أول سورة الحديد.

* * *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)﴾.

[٢] روي أن جماعة من المؤمنين قالوا: لو أردنا[١] أن نعرف أحبَّ الأعمال إلى ربنا حتى نفنى فيه، ففرض الله الجهاد، وأعلمهم بفضله لديه، وأنه يحب المقاتلين في سبيله كالبنيان المرصوص، وكان إذ فرض تكرَّهَهُ قوم منهم، وفرَّ من فر يوم أُحد، فعاتبهم الله تعالى بقوله:

---

(١) في «ت»: «لوددنا».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1] وقف البزي ويعقوب: (لِمَهْ) بهاء بعد الميم[2].

***

﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا ﴾ عظم بغضاً ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ و(مَقْتاً) نصب على التمييز، وفاعل (كَبُرَ): ﴿ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ وهذا مبالغة في المنع عنه.

***

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا ﴾ أي: مصفوفين.

﴿ كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ لاصقٌ بعضُه ببعض، قد أُحكم، فليس فيه فرجة ولا خلل.

وأما حكم الجهاد، فهو فرض كفاية على المستطيع بالاتفاق، إذا فعله البعض، سقط عن الباقين، وعند النفير العام وهو هجوم العدو يصير فرض عين بغير خلاف.

***

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٠١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٧).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ثم ذكر قصة موسى؛ لأن قومه آذوه في الجهاد، وامتنعوا منه؛ كما أن المنافقين آذوا رسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ من بني إسرائيل.

﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ بالتكذيب والقذف بما ليس فيَّ. اتفق القراء على إثبات الياء في الحالين في (تُؤْذُونَنِي) و(بِرَسُولٍ يَأْتِي).

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ﴾ والرسول يجب احترامه، و(قَدْ) لتحقيق العلم.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ مالوا عن الحق. قرأ حمزة: (زَاغُوا) بالإمالة[١].

﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ أمالها عن الإيمان والخير.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الذين سبق في علمه فسقُهم.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ولم يقل:

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٧).

يا قوم؛ لأنه لم يكن له في بني إسرائيل قرابة.

﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا﴾ أي: في حال تصديقي.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ يعني: محمداً ﷺ، و(أَحْمَدُ) هو الذي حمدُه لربه أفضلُ من حمد الحامدين غيره، وهو الذي يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة، وأهل السماء والأرض، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوق عددَ العادِّين سمي باسمين من أسماء الحمد، يقتضيان التفضيل والزيادة في القدر والصفة، فدل أحد الاسمين وهو محمد على كونه محموداً، ودل الاسم الثاني وهو أحمد على كونه أحمد الحامدين لربه، وأن الحمد الذي يستحقه أفضلُ مما يستحقه غيره، وقد أكرمه الله سبحانه بهذين الاسمين المشتقين من اسمه جل وعلا، وتقدم تفسير محمد في سورة (آل عمران)، وفي (الأحزاب)، ولم يُسم بأحمد أحدٌ غيره، ولا دُعي به مدعو قبله، وكذلك محمد أيضاً لم يُسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قُبيل وجوده ـ عليه السلام ـ وميلاده: أن نبياً يبعث اسمه محمد، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك؛ رجاء أن يكون أحدهم هو، وهم: محمد بن أُحيحة بن الجلاج الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمدان الجعفي، ومحمد بن خزاعي السلمي، لا سابع لهم(١)، ثم حمى الله كلَّ من تسمى به أن يدَّعي النبوة أو يدَّعيها أحدٌ له، أو يظهر

---

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٢٩٧)، و«فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٥٥٦).

له[1]، أو يظهر عليه سبب تشكك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له ﷺ، ولم ينازع فيهما. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِن بَعْدِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2]، وكان بين رفع المسيح ومولد النبي ﷺ خمس مئة وخمس وأربعون سنة تقريباً، وعاش المسيح إلى أن رُفع ثلاثاً وثلاثين سنة، وبين رفعه والهجرة الشريفة خمس مئة وثمان وتسعون سنة، ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ عشر مرات، وأُمَّتُه النصارى على اختلافهم.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سَاحِرٌ) بألف بعد السين وكسر الحاء، إشارة إلى عيسى عليه السلام، وقرأ الباقون: بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف، إشارة إلى ما جاء به[3].

* * *

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي: لا أحدَ أظلمُ.

﴿ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه تعالى.

---

(١) «أو يظهر له» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٨).

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ على لسان رسله.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلى ما فيه فلاحهم.

***

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ هو توحيدُه وإظهار شرعه، وزيدت اللام في (لِيُطْفِئُوا) تأكيداً للإضافة. قرأ أبو جعفر: (لِيُطْفُوا) بضم الفاء وإسكان الواو بغير همز، وقرأ الباقون: بكسر الفاء والهمز(١).

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بكذبهم بنسبة الولد والشريك إليه.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ بنشره وإعلانه. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مُتِمُّ) بغير تنوين (نُورِهِ) بالخفض إضافة، وقرأ الباقون: بالتنوين، ونصب (نُورَهُ) على الأصل(٢).

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إرغاماً لهم.

***

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمداً ﷺ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٩).

﴿ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ بالقرآن ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو الإسلام.

﴿ لِيُظْهِرَهُۥ ﴾ ليعليه ﴿ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ على سائر الأديان.

﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ لما فيه من التوحيد وإبطال الشرك.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ قرأ ابن عامر: (تُنَجِّيكُم) بفتح النون وتشديد الجيم؛ من (نَجَّى)، والباقون: بإسكان النون وتخفيف الجيم؛ من أنجى[1].

***

﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ثم بين تلك التجارة فقال: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ وهو خبر بمعنى الأمر.

﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ المذكور من الإيمان والجهاد.

﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: إن كنتم من أهل العلم.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٩ـ١٤٠).

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو: (يَغْفِر لَّكُمْ) بإدغام الراء في اللام[١] وجزمه جواب شرط محذوف تقديره: إن تؤمنوا، يغفر لكم، وتعطف على (يَغْفِرْ).

﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ وطيبتُها بسعتِها ودوامِ أمرها.

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من المغفرة وإدخال الجنة.

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

* * *

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أي: ولكم في الجهاد خصلة أخرى ﴿تُحِبُّونَهَاۖ﴾ وتلك الخصلة.

﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ على قريش ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ﴾ هو فتح مكة.

﴿وَبَشِّرِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٠/٧).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾.

[١٤] ثم حضهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (أَنْصَاراً لِله) بالتنوين ولام الجر، وإذا وقفوا، أبدلوا من التنوين ألفاً؛ لأن المعنى المذكور كونوا بعضَ أنصار الله، **وقرأ** الباقون: (أَنْصَارَ) بغير تنوين (اللهِ) بغير لام الجر على إضافة (أَنْصَارَ) إلى (اللهِ)(١)؛ أي: أنصارَ دينه؛ لقوله: (نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ)، وإذا وقفوا، أسكنوا الراء لا غير، وإذا ابتدؤوا، أتوا بهمزة الوصل.

﴿ كَمَا ﴾ أي: أقول لكم كما ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (لِلْحَوَارِيِّينَ) بالإمالة بخلاف عنه، والباقون: بالفتح، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر: (أَنْصَارِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها، وأمال فتحة الصاد: الدوري عن الكسائي(٢)، المعنى: مَنِ المختص بي، فيساعدني في نصر دين الله؟.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤٠-١٤١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، والإمالة في «الكشف» لمكي (١/ ١٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤١).

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ الذين ينصرونه، وتقدم ذكر أسماء الحواريين وتفسير معناهم في سورة (آل عمران).

﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ بعيسى؛ لأنهم قالوا: عبد الله، فرفع إلى السماء.

﴿ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ لقولهم: هو ابنه وشريكه، فاقتتلت الطائفتان، فظهرت الكافرة على المؤمنة.

﴿ فَأَيَّدْنَا ﴾ قوينا ونصرنا ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴾ ببعث محمد ﷺ.

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ ﴾ يعني: المؤمنين ﴿ ظَٰهِرِينَ ﴾ غالبين أعداءهم بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه، والله أعلم.

* * *

سورة الجمعة

مدنية، وآيها: إحدى عشرة آية، وحروفها: سبع مئة وثمانية وأربعون حرفاً، وكلمها: مئة وثمانون كلمة، وقيل: إنها مكية، وهو خطأ من قائله؛ لأن أمر اليهود لم يكن إلا بالمدينة، وكذلك إقامة الجمعة وصلاتها والانفضاض بغير خلاف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾.

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ﴾ تقدم تفسيره، ومعنى (سبح) بلفظ الماضي، و(يسبح) بلفظ المضارع أول سورة الحديد.

﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحشر ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحديد، وجرُّ الأسماء الأربعة صفة (لله).

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعني: العرب كانت أمة أمية، لا تكتب

ولا تقرأ ﴿ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني: محمداً ﷺ، المعنى: بعث رجلاً أمياً في أمة أمية نسبهُ نسبُهم.

﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ مع كونه أمياً ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ يطهرهم من الشرك.

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ القرآن ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ الشريعة.

﴿ وَإِن كَانُوا ﴾ أي: وما كانوا ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل مجيئه.

﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ إلا في ضلال بين(١) يعبدون الأوثان.

***

﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ عطف على (الأميين)؛ أي: بعث في الأميين وفي آخرين منهم؛ أي: من بعدهم.

﴿ لَمَّا ﴾ أي: لم ﴿ يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ بالأولين في فضل السابقة، وهم التابعون، أو العجم، وجميع طوائف الناس؛ لأن التابعين لا يدركون شأن الصحابة، و(ما) زيدت في (لم) تأكيداً.

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ في اختياره.

***

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الفضلُ الذي أُعطيَه محمد ﷺ.

﴿ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ تبيين لموقع النعمة وتخصيصه بها من شاء.

---

(١) «إلا في ضلال بين» زيادة من «ت».

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ أي: قرؤوها، وكلفوا العمل بما فيها، وهم اليهود.

﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ لأنهم لم يعملوا بما فيها، ولو عملوا، لآمنوا؛ لأن فيها نعته ﷺ، فمثلهم في حملها وعدم الانتفاع بها.

﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ ﴾ الذي ﴿ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ ﴾ كتباً، واحدها سِفْر، لا يدرك منها إلا ما يتعبه، وكل من علم علماً ولم يعمل به، فهذا مثله.

﴿ بِئْسَ ﴾ فاعلُه ﴿ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ﴾ نعت القوم ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدالة على صدق محمد ﷺ، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: بئس مَثَلُ القومِ المكذبين هذا المثلُ.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أنفسَهم بتكذيب الأنبياء. **قرأ** أبو عمرو، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان: (التَّوْرَاةَ) بالإمالة حيث وقعت[١]، **وقرأ** أبو عمرو أيضاً، وورش، والدوري عن الكسائي، وابن ذكوان بخلاف عنه (الْحِمَارِ) بالإمالة.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥-٤١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤٥).

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ .

[٦] ولما قال اليهود: نحن أولى بالله من غيرنا، نزل: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ تهودوا ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ جميعاً.

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: اطلبوه؛ فإنه هو الذي يوصلكم إليه.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في زعمكم.

* * *

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ .

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ لعلمهم بكذبهم، ولكفرهم.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فيجازيهم.

* * *

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ .

[٨] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ أي: من تمنيه مخافةَ أن يصيبكم.

﴿فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ﴾ ودخلت الفاء في خبر (إنَّ) لما في (الَّذي) من معنى الشرط، تقديره: إن فررتم من أي موت فررتم؛ كقتل وغيره، فإنكم ميتون.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بعد الموت.

﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهو الله سبحانه، وتقدم تفسيره في سورة الحشر.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأن يجازيكم عليه.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ﴾ أي: أُذِّنَ(١) ﴿لِلصَّلَوٰةِ مِن﴾ أي: في ﴿يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ وأول من سماه يومَ الجمعة كعبُ بن لؤي، وكان قبل ذلك يسمى عَروبة(٢)، ويسمى جمعة؛ لاجتماع المخلوقات فيه، وتكاملها كما تقدم في سورة (فصلت)، وقيل: لاجتماع الناس فيها في المكان الجامع، أو لأن خلق آدم جُمع فيه.

وأولُ جمعة جمعها النبي ﷺ في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم بعد أن نزل على قباء، وأسس مسجدها، ثم خرج عامداً إلى المدينة، فأدركته الصلاة ثَمَّ، فجمع هناك، وخطب(٣)، والمراد بالنداء: الأذان الذي عند المنبر عند جلوس الإمام للخطبة، وهو الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، فلما كان زمن عثمان، وكثر الناس، وتباعدت المنازل، زاد مؤذناً آخر على الزوراء يؤذن قبل جلوسه على

---

(١) «أي: أذن» زيادة من «ت».

(٢) «وكان قبل ذلك يسمى عروبة» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٨٩)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٩٩).

المنبر، فإذا جلس، أذن الثاني، وهو المعتبر في وجوب السعي وترك البيع.

﴿فَٱسْعَوْاْ﴾ فامضوا ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هو الصلاة.

﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ والشراء؛ لأن لفظ البيع يتناولهما، وسيأتي الكلام عليه مع أحكام الجمعة بعد انتهاء التفسير، والمراد بالسعي: المبادرة بالنية والجد، وليس المراد الإسراع في المشي.

قال ﷺ: «إذا كان يومُ الجمعة، كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكةٌ يكتبون الأولَ فالأولَ، فإذا خرج الإمام، طُويت الصحف، واجتمعوا للخطبة، والمهجِّرُ إلى الصلاة كالمهدي بَدَنة، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي شاةً، حتى ذكر الدجاجة والبيضة»[1].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المعاملة؛ فإن نفع الآخرة خير وأبقى.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مصالحَ أنفسكم ومضارَّها.

* * *

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي: فُرغ منها.

---

(١) رواه النسائي (١٣٨٥)، كتاب: الجمعة، باب: التبكير إلى الجمعة، وابن ماجه (١٠٩٢)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في التهجير إلى الجمعة، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ للتصرف في حوائجكم.

﴿ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ هو طلب العلم، وكسبُ الحلال.

﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ في كل أحوالكم ﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بخير الدارين.

* * *

﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] وكان قد أصاب المدينةَ قحط شديد، وكان دِحْيَةُ بن خليفة الكلبيُّ يأتيهم بكل ما يحتاجون إليه من بر وشعير وغيرهما من الشام، وكان إذا قدم، ضُرب الطبل، ليعلم به، فقدم يوم الجمعة، وذلك قبل إسلامه، والنبيُّ ﷺ يخطب، فضرب الطبل، فخرج الناس إليه ومن في المسجد؛ خوفاً أن يُسبقوا، ولم يبق عنده ﷺ غير اثني عشر رجلاً وامرأة، فنزل: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً ﴾(١) هي تجارة دحية ﴿ أَوْ لَهْوًا﴾ هو صوت الطبل.

﴿ ٱنفَضُّوٓاْ﴾ تفرقوا عنك وذهبوا.

﴿ إِلَيْهَا ﴾ ولم يقل: إليهما؛ رداً للضمير إلى التجارة؛ لأنها كانت مطلوبَهم.

﴿ وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿ قَآئِمًا ﴾ على المنبر.

---

(١) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٢٦٩).

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ فإن نفع ذلك محقق. قرأ أبو عمرو: (مِنَ اللَّهْو وَّمِنَ التِّجَارَةِ) بإدغام الواو في الواو[1].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنه موجد الأرزاق، فإياه فاسألوا، ومنه فاطلبوا.

وروي أن النفر الذين أقاموا عند رسول الله ﷺ بعدَ الانفضاض منهم جابرُ بن عبد الله، والعشرةُ المشهود لهم بالجنة، واختلف في الثاني عشر، فقيل: عمار بن ياسر، وقيل: عبد الله بن مسعود، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «لولا هؤلاء، لقد كانت الحجارةُ سُوِّمَتْ على المنفضِّين من السماء»[2].

وأما أحكامُ الجمعة، فهي ركعتان فرض على كل ذكر مكلف حر صحيح مقيم بالاتفاق، وشرطها: الأبنية، أو قربها بالاتفاق، واشترط أبو حنيفة أن يكون بها أمير وقاض ينفذ الأحكام ويقيم الحدود، زاد بعضهم: وعالم يرجع إليه في الحوادث، ويشترط إذنُ الإمام فيها عند أبي حنيفة؛ خلافاً للثلاثة، ويشترط حضور أربعين ممن تلزمه عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومحمد بن الحسن ثلاثة سوى الإمام، وعند أبي يوسف اثنان سوى الإمام، وعند مالك ليس للجماعة التي تنعقد بهم الجمعة حد محصور، وأولُ وقتها عند أحمد وقت صلاة العيد، وعند

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤٨).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٠٩)، و«تفسير الثعالبي» (٤/ ٣٠٢)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ١٠٩).

الثلاثة وقت الزوال، وآخره آخر وقت الظهر بالاتفاق، وعن مالك يمتد إلى الغروب؛ بناء على أن وقت العصر والظهر عنده واحد.

وإذا وقع عيد يوم الجمعة، سقطت الجمعة عمن حضر العيد مع الإمام سقوطَ حضور لا وجوب؛ كمريض إلا الإمام، فإن اجتمع معه العدد المعتبر، أقامها، وإلا صلوا ظهراً.

وتسقط صلاة العيد بصلاة الجمعة، سواء فعلت قبل الزوال أو بعده عند أحمد؛ خلافاً للثلاثة.

وشرطها تقدم خطبتين بالاتفاق، يجلس بينهما جلسة خفيفة عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة ليست الجلسة شرطاً، ويسلم الخطيب إذا صعد المنبر عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومالك لا يسلم، ويستحب جلوسه للأذان، والقيام في الخطبة بالاتفاق.

وأول من استراح في الخطبة عثمان، وأول من جلس معاوية، وخطب جالساً.

والخطبة مشتقة من المخاطبة، والمنبر من نبر: إذا علا صوته، والخطيب يعلو صوته.

ومن شرط صحة الخطبتين: حمد الله، والصلاة على رسول الله ﷺ، وقراءة آية، والوصية بالتقوى عند الشافعي وأحمد، وعند مالك أقله ما يسمى خطبة عند العرب، وفي مذهبه قول كالأول، وعند أبي حنيفة لو اقتصر على ذكر الله أجزأه، وكذلك التسبيحة ونحوها، وعند صاحبيه لا بد من ذكر طويل يسمى خطبة.

وتشترط لهما الطهارة من الحدث والخبث عند الشافعي؛ خلافاً للثلاثة، ولا يشترط أن يتولاهما من يتولى الصلاة عند أحمد، وعند أبي حنيفة يجوز للعذر، وعند مالك والشافعي إذا أحدث بين الخطبة والصلاة، استخلف في الصلاة، واشترط الشافعي أن يكون سمع الخطبة؛ لأن من لم يسمعها ليس من أهل الجمعة، ولم يشترطه مالك.

ويجهر في الركعتين بالاتفاق.

ويجوز عند الشافعي وأحمد أكثر من جمعة إن احتيج إليه، وإلا، فالأولى الصحيحة، وهي السابقة بتكبيرة الإحرام، فإن جهلت، أو تساوتا، بطلتا، وعند أبي حنيفة لا يجوز إلا في موضع واحد، وعند محمد بن الحسن تصح في موضعين وثلاثة، وعند مالك لا يصلى في مصر واحد في مسجدين، فإن فعلوا، فالصحيحة صلاة أهل المسجد العتيق.

ويحرم الكلام والإمام يخطب إذا كان منه بحيث يسمعه عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومالك يسكت ولو كان بعيداً.

ويكره البيع والشراء ممن تلزمه الجمع بعد ندائها الذي عند المنبر عند أبي حنيفة، ولا يفسد به البيع، وقال الثلاثة: يحرم، فلو باع، صح بيعه عند الشافعي خلافاً لمالك وأحمد، ويصح عند أحمد النكاح وسائر العقود غير البيع؛ خلافاً لمالك؛ فإن النكاح والإجارة عنده كالبيع.

وإذا انفضوا قبل إتمامها، استأنفوها ظهراً عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومالك إن انفضوا بعد أن صلوا ركعة بسجدتيها، ولم يبق أحد غير الإمام، ولم يجد من يجمعها معه، بنى عليها ركعة، وصحت صلاته جمعة، وإن انفضوا عنه قبل أن يفرغ من الركعة الأولى، يتم ظهراً أربعاً،

وعند أبي يوسف ومحمد إن انفضوا عنه بعد تكبيرة الإحرام، صلى جمعة.

ومن أدرك مع الإمام ركعة، أتمها جمعة بالاتفاق، ومن أدرك أقل من ذلك، أتمها ظهراً إن كان قد نوى الظهر عند مالك وأحمد، وعند الشافعي يتمها ظهراً، لكن ينوي في اقتدائه الجمعة، وأحمد يشترط دخول وقت الظهر احترازاً عمن يصليها قبل وقت الزوال على قاعدته، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف إذا أدرك التشهد، يتمها جمعة، وعند محمد يتمها أربعاً ظهراً.

ويسن الغسل لها، وقراءة سورة الكهف في يومها وليلتها.

وتقدم اختلاف الأئمة في قراءة السجدة، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ في صبحها في سورة آلمّ السجدة، ويستحب أن يكثر الدعاء في يومها، وأفضله بعد العصر؛ لساعة الإجابة.

وفي الحديث: «ما طلعت شمسٌ ولا غربت عليَّ أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مؤمن يدعو الله فيها خيراً إلا استجابَ الله له، أو يستعيذُ من شيء إلا أعاذَه اللهُ منه»[1].

قال الإمام أحمد: أكثر الأحاديث في الساعة التي تُرجى فيها الإجابة أنها بعد العصر، وترجى بعد زوال الشمس.

وذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «شرح البخاري» فيها ثلاثة وأربعين قولاً، ولخصها صاحب «الإنصاف» فيه، الأول: قيل: رفعت، الثاني: موجودة في جمعة واحدة في كل سنة، الثالث: مخفية في جميع

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٩)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة البروج، وقال: حسن غريب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اليوم، الرابع: تنتقل في يومها، ولا يلزم ساعة معينة، لا ظاهرة ولا مخفية، الخامس: إذا أذن لصلاة الغداة، السادس: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، السابع: مثله، وزاد: من العصر إلى الغروب، الثامن: مثله، وزاد: ما بين أن ينزل الإمام من المنبر إلى أن يكبر، التاسع: أول ساعة بعد طلوع الشمس، العاشر: عند طلوعها، الحادي عشر: في آخر الساعة الثالثة من النهار، الثاني عشر: من الزوال إلى أن يصير الظل نصف ذراع، الثالث عشر: مثله إلى أن يصير الظل ذراعاً، الرابع عشر: بعد الزوال بشبر إلى ذراع، الخامس عشر: إذا زالت الشمس، السادس عشر: إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة، السابع عشر: من الزوال إلى أن يدخل في الصلاة، الثامن عشر: من الزوال إلى خروج الإمام، التاسع عشر: ما بين خروج الإمام إلى أن تقام الصلاة، العشرون: ما بين خروجه إلى أن تنقضي الصلاة، الحادي والعشرون: ما بين تحريم البيع إلى حله الثاني والعشرون: ما بين الأذان إلى انقضاء الصلاة، الثالث والعشرون: ما بين أن يجلس على المنبر إلى انقضاء الصلاة، الرابع والعشرون: عند خروج الإمام، الخامس والعشرون: عند التأذين والإقامة وتكبير الإمام، السادس والعشرون: مثله، لكن قال: إذا أذن، وإذا رقي المنبر، وإذا أقيمت الصلاة، السابع والعشرون: من حين يفتتح الخطبة حتى يفرغها، الثامن والعشرون: إذا بلغ الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة، التاسع والعشرون: عند الجلوس بين الخطبتين، الثلاثون: عند نزوله عن المنبر، الحادي والثلاثون: حين تقام حتى يقوم الإمام في مقامه، الثاني والثلاثون: من إقامة الصلاة إلى إتمام الصلاة، الثالث والثلاثون: وقت قراءة الإمام الفاتحة إلى أن يقول: آمين، الرابع والثلاثون: من الزوال إلى

المغرب، الخامس والثلاثون: من صلاة العصر إلى غروب الشمس، السادس والثلاثون: في صلاة العصر، السابع والثلاثون: بعد العصر إلى آخر وقت الاختيار، الثامن والثلاثون: بعد العصر مطلقاً، التاسع والثلاثون: من وسط النهار إلى قرب آخره، الأربعون: من اصفرار الشمس إلى أن تغيب، الحادي والأربعون: آخر ساعة بعد العصر، الثاني والأربعون: من حين يغيب نصف قرصها، أو من حين تتدلى للغروب إلى أن يتكامل غروبها، الثالث والأربعون: هي الساعة التي كان ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ يصليها فيها.

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: وليست كلها متغايرة من كل وجه، بل كثير منها يمكن أن يتحد مع غيره، وليس المراد من أكثرها أنها تستوعب جميع الوقت الذي عين، بل المعنى أنها تكون في أثنائه، والله أعلم[1].

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٤١٦ـ ٤٢١).

سورة المنافقون

مدنية بإجماع، وآيها: إحدى عشرة آية، وحروفها: سبع مئة وستة وسبعون حرفاً، وكلمها: مئة وثمانون كلمة، نزلت في غزوة بني المصطلق بسبب أن عبد الله بن أبي ابن سلول كانت منه في تلك الغزوة أقوال، وكان له أتباع يقولون قوله، فنزلت السورة كلها بسبب ذلك، وبين الله تعالى فيها ما تقدم من المنافقين؛ من خلفهم، وشهادتهم في الظاهر بالإيمان، وأنهم كذبة، وذكر فيها ما تأخر منهم ووقع في تلك الغزوة على ما يأتي في التفسير إن شاء الله تعالى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه.

﴿قَالُوا۟﴾ بألسنتهم دون قلوبهم:

﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ والشهادة حجة شرعية تظهر الحق ولا توجبه،

فهي الإخبار بما علمه بلفظ خاص، ولذلك صدَّقَ المشهود به، وكذَّبهم في الشهادة بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما يُضمرون من تكذيبك، وكان ﷺ يقبل من المنافقين ظاهر الإسلام.

وأما حكم الزنديق في الشرع، وهو الذي يظهر الإسلام ويُسر الكفر، فإنه يقتل، ولا يستتاب عند أحمد، والأصح عن مالك أنه إذا جاء تائباً، وظهر من قوله، لا يقتل، بخلاف ما يظهر عليه، قال مالك: لأن توبته لا تعرف، يعني أن التقية من الزندقة، فيقتل، وعند أبي حنيفة والشافعي تقبل توبته.

* * *

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] وكل ما جاء في القرآن بعد العلم(١) لفظة (أَنَّ) فهي بفتح الهمزة، إلا في موضعين، إحداهما هنا ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾، والثاني: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ في الأنعام، وإنما كان كذلك في هذين الموضعين؛ لأنه يأتي بعدهما لام الخبر، فلهذا انكسر.

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾ أي: حلفهم، وما يظهرون من الإيمان ضد الكفر.

﴿ جُنَّةً ﴾ سترة عن أموالهم ودمائهم.

﴿ فَصَدُّوا۟ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الإيمانِ والجهادِ.

---

(١) «بعد العلم» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من النفاق.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ القولُ الشاهدُ على سوء عملهم ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي: بسبب أنهم.

﴿ ءَامَنُوا۟ ﴾ باللسان.

﴿ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: استمروا على الكفر بقلوبهم ﴿ فَطُبِعَ ﴾ خُتِم.

﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ بالكفر. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (فَطُبِع عَّلَى) بإدغام العين في العين(١).

﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ لا يفهمون حقيقة الإيمان.

* * *

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ ﴾ أي: المنافقين ﴿ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ لجمالها، وكان عبد الله بن أبي جسيماً فصيحاً.

﴿ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ فتحسب أنه صدق ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام. قرأ أبو عمرو، والكسائي، وقنبل

---

(١) «في العين» زيادة من «ت».

عن ابن كثير: (خُشْبٌ) بإسكان الشين، والباقون: بضمها[1].

﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: لا يسمعون صوتاً في العسكر إلا ظنوا أنهم يُرادون بذلك؛ من جبنهم وسوء ظنهم. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: (يَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[2].

﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾ فإنهم يُفشون سرك للكفار، وهو جواب قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ لأن الجواب إما أن يكون بالفاء كما هنا، وإما بالماضي؛ كقوله: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [مريم: ٧٣]، ونظائره كثيرة.

﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ أهلكهم ﴿ٱللَّهُۖ﴾ دعاء يتضمن الإقصاء والمنابذة وتمني الشر لهم.

﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ كيف يُصرفون عن الحق بعد قيام البرهان. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (أَنَّى) بالإمالة، واختلف عن أبي عمرو، فروي عنه: إمالتها بين بين، وروي عنه: فتحُها، وبه قرأ الباقون[3].

***

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ۝٥﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٢).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٢).

[٥] روي أن رسول الله ﷺ خرج إلى غزوة بني المصطلق، وخرج معه عبد الله بن أبي ابن سلول، وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة، ونزل بالمريسيع ـ ماء من ماء بني المصطلق ـ، فسبق المهاجرون وكأنهم غلبوا الأنصار عليه بعضَ غلبة، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: قد كنت قلت لكم في هؤلاء الجلابيب ما قلتُ، فلم تسمعوا مني، وكان المنافقون يسمون المهاجرين: الجلابيب، ثم إن الجهجاه الغفاري غلامَ عمرَ بنِ الخطاب ورد الماء بفرس لعمر، فازدحم هو وسنان بن وبر الجهني حليف الأوس، ودار بينهما كلام، فاقتتلا، وصرخ الجهني: يا معشرَ الأنصار! وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين! فجاؤوا، فاقتتلوا، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «ما بالُ دَعْوى الجاهلية؟!» فلما أخبر بالقضية، قال: «دَعوها فإنها مُنْتِنَةٌ»، فأصلح الأمر قوم من المهاجرين(١).

وروي أن جعالاً ـ رجلاً فقيراً من المهاجرين ـ أعان الجهجاه، فغضب عبد الله بن أبي، وعنده بعض قومه، وكان معهم زيد بن أرقم صغيراً لم يتحفظ منه، فقال عبد الله: أفعلوها؟! نافرونا وكاثرونا في بلادنا؟! فما نحن وهم إلا كما قيل: سَمِّنْ كلبَك يأكلْكَ، ثم قال لقومه: هذا فعلكم بأنفسكم، أحللتموهم دياركم، وقاسمتموهم أموالكم، ولو أمسكتم عن جعال وذويه فضلَ طعامكم، لتحولوا عنكم، ولا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عن محمد، ولئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذهب

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٢)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾، ومسلم (٢٥٨٤)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، من حديث جابر رضي الله عنه.

زيدُ بن أرقم إلى عمه، وكان في حجره، وأخبره، فأتى به رسولَ الله ﷺ، فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «يا زيد! غضبت على الرجل، ولعلك وهمتَ»، فأقسم زيد ما كان شيء من ذلك، ولقد سمع من عبد الله بن أبي ما حكى، فعاتب رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي عند رجال من الأنصار، فبلغه ذلك، فجاء وحلف، وكذَّب زيداً، وحلف معه قوم من المنافقين، فصدق رسولُ الله ﷺ أيمانَ عبد الله بن أبي، وكذَّب زيداً، فبقي زيد في منزله لا يتصرف حياءً من الناس، فنزلت هذه السورة عند ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في أثر زيد، وقال له: «لقد صدَّقك الله يا زيد، ووفت أُذُنُك»، فخزي عند ذلك عبد الله بن أبي، ومقته الناس، ولامه المؤمنون من قومه، وقال بعضهم: امض إلى رسول الله ﷺ، واعترف بذنبك، فيستغفر لك، فلوى رأسه إنكاراً لهذا الرأي، وقال لهم: لقد أشرتم علي بالإيمان، فآمنت، وأشرتم علي بأن أعطي زكاة مالي، ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد! فأنزل الله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ (1) لابن أبيّ ﴿ تَعَالَوْا ﴾ إلى النبي ﷺ معتذرين، و(تَعَالَوْا) نداء يقتضي لفظه أنه دعاء الأعلى للأسفل، ثم استعمل في كل داع لما فيه من حسن الأدب.

﴿ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ أمالوها استكباراً. قرأ نافع، وروح عن يعقوب: (لَوَوْا) بتخفيف الواو الأولى، والباقون: بتشديدها على تضعيف المبالغة.

---

(1) انظر: «تفسير الطبري» (٢٨/ ١١٥)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٣٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٨).

﴿ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يُعرضون عن الاستغفار ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار.

* * *

﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ قراءة الجمهور: (أَسْتَغْفَرْتَ) بهمزة مفتوحة من غير مد عليها، وقرأ أبو جعفر بخلاف عنه: بالمد، ووجهه بعضهم بأنه إجراء لهمزة الوصل المكسورة مجرى المفتوحة، فمد من أجل الاستفهام، وقال الزمخشري: إن المد إشباع لهمزة الاستفهام؛ للإظهار والبيان، لا قلباً لهمزة الوصل ألفاً كما في (آالسِّحْر)(١).

﴿ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ لرسوخهم في الكفر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ لانهماكهم في الكفر.

* * *

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ من الفقراء.

﴿ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ يتفرقوا عنه.

﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بيده الأرزاق.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٣).

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؛ لجهلهم بالله.

* * *

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ هذا قول عبد الله بن أبي ابن سلول، يعني بالأعز[1]: نفسه، وبالأذل: رسولَ الله ﷺ، قال أُسيد بن حُضير لما سمعها: «واللهِ يا رسولَ الله تُخرجه إن شئت، هو والله الذليل، وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله! ارفق به، فو الله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً»[2].

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي؛ لما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً، فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «بل نرفق به، ونحسنُ صحبتَه ما بقيَ معنا»[3].

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يلبث عبد الله بن أبي إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات.

---

(١) «بالأعز» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٨/ ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٣).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٨/ ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٣).

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة لمن دونه ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾ بإظهار دينه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بنصرهم على الكافرين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ولو علموا، ما قالوا هذه المقالة.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ﴾ تشغلكم.

﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هو الصلوات الخمس.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: اللهو بها.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنهم باعوا الباقي بالفاني. **قرأ** الدوري عن الكسائي: (يَفْعَل ذَّلِكَ) بإدغام اللام في الذال، والباقون: بالإظهار(١).

* * *

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] و﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ في الطاعة، وقال ابن عباس: المراد: زكاة الأموال(٢).

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٥).

﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ ﴾ هلاً ﴿ أَخَّرْتَنِيٓ ﴾ أمهلتني ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ زمان يسير.

﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ فأتصدق وأزكي مالي، قيل: نزلت في مانعي الزكاة.

﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ المؤمنين. **قرأ** أبو عمرو: (وَأَكُونَ) بالواو ونصب[1] النون على جواب التمني، وعطفاً على (فَأَصَّدَّقَ)؛ لأنه نصب بإضمار أن، وقال: إنما حذفت الواو من المصحف اختصاراً، **وقرأ** الباقون: (وَأَكُنْ) بجزم النون من غير واو عطفاً على موضع (فَأَصَّدَّقَ)[2]؛ لأنه جواب الشرط، تقديره: إن أخرتني، أصدق، وأكنْ، وكذا هو مرسوم في جميع المصاحف.

* * *

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا ﴾ ولن يمهلها ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ ﴾ آخرُ عمرها. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَجَلُهَا) كاختلافهم فيهما من ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فمجازٍ عليه. **قرأ** أبو بكر عن عاصم (يَعْمَلُونَ) بالغيب على تخصيص الكفار بالوعيد، **وقرأ** الباقون: بالخطاب على مخاطبة جميع الناس[3]، والله أعلم.

* * *

---

(١) في «ت»: «وفتح».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٥-١٥٦).

(٣) المصادر السابقة

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مدنية، وقال بعض المفسرين: مكية إلا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ ﴾ إلى آخر السورة، وآيها: ثماني عشرة آية، وحروفها: ألف وسبعون حرفاً، وكلمها: مئتان وإحدى وأربعون كلمة.

قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مولودٍ يولَد إلا وفي شبائِكِ رأسه مكتوبٌ خمسُ آياتٍ من فاتحةِ سورةِ التغابن»(١).

وعن أبي بن كعب: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأَ سورةَ التغابن، دُفعَ عنه موتُ الفُجاءة»(٢).

---

(١) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٨١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧٦٣)، وفي «مسند الشاميين» (٩٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٣/ ١٥٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٥).
وفي إسناده الوليد بن الوليد الدمشقي، قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به فيما يروي. وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٧٤): غريب جداً. بل منكر.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٥)، وابن مردويه والواحدي في «تفسيريهما» كما عزاه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٤٤). قال المناوي في «الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي» (٣/ ١٠٤٤): موضوع.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾.

[١] ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ينزهونه بقولهم: سبحان الله.

﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾ فهو المختص بهما حقيقة.

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وأما ملك غيره، فتسليط منه، وحمده: اعتدادٌ بأن نعمة الله جرت على يده.

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ ثم وصفهم فقال: ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ والكفر: فعلُ الكافر، والإيمان: فعل المؤمن، والكفر والإيمان اكتساب العبد؛ لقول النبي ﷺ: «كلُّ مولود يولد على الفطرة»(١)، وقوله ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار، وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان؛ لأن الله تعالى [أراد ذلك منه، وقدره عليه وعلمه منه،

---

(١) رواه البخاري (١٣١٩)، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٢٦٥٨)، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ

والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر؛ لأن الله تعالى][1] قدر ذلك عليه، وعلمه منه، وهذا طريق أهل السنة.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيعاملكم بما يناسب أعمالكم.

***

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالحكمة البالغة.

﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ بأن جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال.

﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فيجازي كلاً بعمله.

***

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾.

[٤] ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من الخلق ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ فلا يخفى عليه شيء ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بضمائر القلوب.

***

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٥﴾.

[٥] ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ﴾ يا كفار. الألف للاستفهام، و(لم) للجحد، ومعناه التحقيق.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ أي: قبلكم.

﴿ فَذَاقُوا۟ ﴾ في الدنيا ﴿ وَبَالَ ﴾ عقوبة ﴿ أَمْرِهِمْ ﴾ كفرهم.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ العذابُ النازل بهم ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات.

﴿ فَقَالُوٓا۟ ﴾ احتقاراً بهم:

﴿ أَبَشَرٌ ﴾ أراد الجنس، مبتدأ، خبره ﴿ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ ﴾ بالرسل ﴿ وَتَوَلَّوا۟ ﴾ عن الإيمان.

﴿ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ﴾ أظهرَ غناه عن كل شيء.

﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ ﴾ عن جميع خلقه ﴿ حَمِيدٌ ﴾ على كل صنعة.

* * *

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ ﴾.

[٧] ثم أخبر عن إنكارهم البعث، فقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ﴾ ومعنى زعم: كذبوا في الحديث، قال ابن عطية[1]: ولا توجد

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٩).

(زعم) مستعملة في فصيح من الكلام إلا عبارة عن الكذب، أو قول انفرد به قائله، فيريد له[1] قائله[2] أن يبقي عهدته على الزاعم، ففي ذلك ما ينحو إلى تضعيف الزعم.

ثم أمر تعالى نبيه بأن يجيب نفيهم بما يقتضي الرد عليه، وإيجاب البعث، وأن يؤكد ذلك بالقسم، ثم يوعدهم بأنهم يجزون بأعمالهم على جهة التوبيخ المؤدي إلى العقاب، فقال تعالى:

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ بالمحاسبة والمجازاة.

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لقدرته عليه.

* * *

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ هو القرآن ومعانيه.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فمجازٍ عليه.

* * *

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ العامل فيه ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ قرأ يعقوب: (نَجْمَعُكُمْ)

---

(١) «له» سقط من «ت».

(٢) في «المحرر الوجيز»: «ناقله».

بالنون، والباقون: بالياء[1] ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ يعني: يوم القيامة، سمي بذلك؛ لاجتماع الخلائق فيه.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يوم الغبن[2]، وهو فوت الحظ، فيظهر يومئذ غبن الكافر بترك الإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ﴾ عملاً[3].

﴿صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (نُكَفِّرْ) (وَنُدْخِلْهُ) بالنون في الحرفين، والباقون: بالياء فيهما[4] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ هو ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ لجلبه المنافع، ودفعِه المضار.

***

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن، وتفصيل له.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٠).

(٢) «يوم الغبن» زيادة من «ت».

(٣) «عملاً» زيادة من «ت».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٠).

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ بقضائه .

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ فيصدِّقْ أنه لا يصيبه شيء إلا بمشيئته تعالى .

﴿ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾ إلى الاسترجاع عند نزول المصيبة .

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ عموم مطلق على ظاهره .

***

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ ﴾ عطف على ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ ﴾ .

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ وعيد لهم، وتبرئة لمحمد ﷺ إذا بلَّغ .

***

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ تحريض للمؤمنين على مكافحة الكفار، والصبر على دين الله .

***

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ونزل فيمن منعه أزواجه وأولاده عن الهجرة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ (١) أن تطيعوهم في ترك الهجرة، و(مِنْ) تبعيض؛ لأن منهم من ليس بعدو لكم.

﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ هذا فيمن لم يهاجر، ورأى من سبقه قد فقه في الدين، فهم أن يعاقب زوجته وولده، فأمره بالعفو والصفح.

***

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ثم أخبر تعالى أن الأموال والأولاد فتنة تشغل المرء عن مراشده، وتحمله من الرغبة في الدنيا على ما لا يحمده في الآخرة بقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ اختبار.

﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمن آثر محبته على محبة المال والأولاد.

***

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] روي أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة حتى جاء الحسن

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤١٠).

والحسين عليهما قميصان أحمران يجرانهما، يَعْثُران ويَقُومان، فنزل ﷺ عن المِنْبَرِ حتى أَخَذَهُمَا، وصَعِدَ بهما، وقال: «صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ وقال: إني رأيت هذين، فلم أصبر»، ثم أخذ في خطبته، قال ابن عطية[١]: وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاء، فأما فتنة الجهال والفسقة، فمؤدية إلى كل فعل مهلك[٢]، وجيء بـ(إنما) للحصر؛ لأن جميع الأموال والأولاد فتنة؛ لأنه لا يرجع إلى مال أو ولد إلا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ أطقتم، وهذه الآية ناسخة لقوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ وَٱسْمَعُواْ ﴾ ما أُمرتم به سماعَ قبول ﴿ وَأَطِيعُواْ ﴾ الله ورسوله.

﴿ وَأَنفِقُواْ ﴾ المالَ في الطاعة، وآتوا ﴿ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾ أي: افعلوا ما هو خير لها.

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحشر.

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٢٠).

(٢) رواه أبو داود (١١٠٩)، كتاب: الصلاة، باب: الإمام يقطع الخُطبة للأمر يحدث، والنسائي (١٤١٢)، كتاب: الجمعة، باب: نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، والترمذي، (٣٧٧٤)، كتاب: المناقب، باب: مناقب الحسن والحسين، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٣٦٠٠)، كتاب: اللباس، باب: لبس الأحمر للرجال، من حديث بريدة رضي الله عنه.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تصرفوا المال فيما أمر به ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مقروناً بالإخلاص.

﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ يجعل لكم بالواحد عشراً إلى سبع مئة وأكثر. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (يُضَعِّفْهُ) بتشديد العين وحذف الألف قبلها، وقرأ الباقون: بإثبات الألف والتخفيف[١].

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركة الإنفاق ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يشكر لكم ما عملتم.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

* * *

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ السر والعلانية.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ بالنقمة ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمره وقضائه، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٢).

سورة الطلاق

وتسمى: سورةَ النساء القصرى، وهي مدنية، وآيها: اثنتا عشرة آية، وحروفها: ألف وستون حرفاً، وكلمها: مئتان وتسع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١)﴾.

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أفرد ﷺ بالخطاب أولاً تعظيماً لشأنه، وجمع ثانياً مع أمته تشريفاً لهم. قرأ نافع: (النَّبِيءُ إِذَا) بالهمز[1] والمد، وتسهيل الهمزة الثانية، وقرأ الباقون: بتشديد الياء بغير مد ولا همز، وتحقيق الهمزة الثانية[2]، المعنى: إذا أردتم تطليقهن.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لطهرهن الذي يُحصينه من عدتهن، وهو

---

(١) «بالهمز» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٥).

أول طهر تعتد به، والمراد: أن يطلقها في طهر لم يُصِبْها فيه، وهو طلاق السنة.

نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -، كان قد طلق امرأته في حال الحيض، فقال ﷺ لعمر: «مُرْهُ فَلْيراجِعْها، ثم ليمسِكْها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسكَ بعدُ، وإن شاء طلَّقَ قبلَ أن يَمَسَّ، فتلك العِدَّةُ التي أمَرَ اللهُ أن تُطَلَّق لها النساءُ»(١). قرأ ورش عن نافع: (طَلَّقْتُمْ) (فَطَلِّقُوهُنَّ) بتغليظ اللام، وكذلك كل لام مفتوحة مخففة أو مشددة إذا تقدمها صاد أو طاء أو ظاء بفتح أو سكون، وعنه خلاف في (طَالَ) و(فِصَالاً)، وتقدم حكم الطلاق السني والبدعي ومذاهب الأئمة فيه في سورة الأحزاب عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الآية: ٤٩].

﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ اضبطوها، واحفظوا عدد أقراء العدة ثلاثاً مستقبلات بلا نقصان؛ لتعلموا وقت الرجعة إن أردتم أن تراجعوهن؛ لأن الرجعة إنما تجوز في زمان العدة إذا كان الطلاق رجعياً بالاتفاق.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في الإضرار بهن.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ اللاتي يسكنها إذا طلقتموهن حتى تنقضي عدتهن، فإذا كان الطلاق رجعياً(٢)، فللزوجة السكنى بمنزل الطلاق، وليس لها الخروج منه حتى تنقضي عدتها بالاتفاق، وأما إذا كان الطلاق بائناً، فعند أحمد: الحقُّ في إسكانها للزوج، فيسكنها حيث شاء مما يصلح

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤١٣). والحديث رواه «البخاري» (٤٩٥٣)، كتاب: الطلاق، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، ومسلم (١٤٧١)، كتاب: الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، دون ذكر أن الآية نزلت في قصته.

(٢) «رجعياً» زيادة من «ت».

لها؛ تحصيناً لفراشه، ولو لم تلزمه نفقة، وعند الثلاثة: يلزمها التربص بمنزل الطلاق إلى انقضاء العدة.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ بغير اختيارهن.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ﴾ أي: زناً، فيخرجن لإقامة الحد، ثم يعدن. قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء، والباقون: بكسرها[1].

﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ لتعريضها للعقاب. قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وورش، وحمزة، والكسائي، وخلف: (فقد ظَّلَمَ) بإدغام الدال في الظاء، والباقون: بالإظهار[2].

﴿لَا تَدْرِى﴾ أيها النبي ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الطلاق.

﴿أَمْرًا﴾ أي: رغبة في الرجعة، وهذا دليل على استحباب تفريق الثلاث.

* * *

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قارَبْنَ انقضاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ راجعوهن.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٥ـ١٦٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٦).

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، فَيَبِنَّ منكم.

﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الطلاق، وأما الرجعة، فلا يشترط لها الإشهاد بالاتفاق، وروي عن الشافعي اشتراطه، وهو القديم من مذهبه.

واختلفوا في حصولها بالفعل، فقال الشافعي: لا تصح إلا بالقول، فلا تحصل بفعل كوطء، وقال الثلاثة: تصح بالفعل، فتحصل عند أبي حنيفة بالوطء واللمس والنظر إلى الفرج بشهوة فيهما، وعند مالك بالوطء والمباشرة والتقبيل إذا نوى بذلك الرجعة، وعند أحمد بوطئها، نوى به الرجعة أو لم ينو، ولا تحصل بمباشرتها ولا النظر إلى فرجها ولا الخلوة بها لشهوة، ولا خلاف بينهم في حصولها بالقول، واستحباب الإشهاد لها.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ أيها الشهود.

﴿لِلَّهِ﴾ لأجل الله تعالى خاصة، ولا تنظروا في المشهود عليه.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحث على الشهادة وأدائها ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيطلِّقْ للسُّنة ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ إلى الرجعة.

* * *

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ لم يخطر بباله.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ شرطٌ مبتدأ، جوابه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ يكفيه ما أهمه.

قال ﷺ: «لو أنَّكم تتوكَّلون على الله حَقَّ توَكُّلِه، لرزَقكم كما يرزق

الطير، تغدو خِماصاً، وتَروح بِطَاناً»(١)، والتوكل: سكون القلب في كل موجود ومفقود، وقطعُ القلب عن كل علاقة، والتعلقُ بالله في جميع الأحوال.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (بَالِغُ) بغير تنوين (أَمْرِهِ) بالخفض بإضافة (بالغ) إليه، وقرأ الباقون: بالتنوين، ونصب (أَمْرَهُ)(٢)، والمعنى على القراءتين: منفذٌ حكمَه.

﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ نهاية.

***

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ولما نزل ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قال خلاد بن النعمان(٣) بن قيس الأنصاري: يا رسول الله! فما عدة من لا تحيض، والتي لم تحض، وعدة الحبلى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤)، كتاب: الزهد، باب: التوكل واليقين، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٩٤) من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٦).

(٣) «بن النعمان» زيادة من «ت».

﴿يَئِسْنَ﴾[1] لكبرهن ﴿مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في حكم عدتهن؛ لانقطاع دمهن لكبرهن.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ الجملة خبر المبتدأ.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهن مبتدأ محذوفُ الخبر؛ أي: فعدتهن ثلاثة أشهر، حذف الخبر لدلالة المذكور عليه، فالصغيرة التي لم تحض، والكبيرة التي أيست من الحيض، عدةُ كلٍّ واحدة منهما[2] من الطلاق ثلاثةُ أشهر بالاتفاق، والشابة التي كانت تحيض، فارتفع حيضها قبل بلوغها سنَّ الآيسات، فعند أبي حنيفة والشافعي: لا تنقضي عدتها حتى يعاودها الدم، فتعتد بثلاثة أقراء، أو تبلغ سنَّ الآيسات، فتعتد بثلاثة أشهر، وعند مالك وأحمد: إذا ارتفع حيضها، لا تدري ما رفعه، تعتد به سنةً: تسعة أشهر للحمل، وثلاثة للعدة، فتحل عقب السنة، وإن علمت ما رفعه من مرض أو رضاع ونحوه، فلا تزال في عدة حتى يعود الحيض، فتعتد به، إلا أن تصير آيسة، فتعتد عدة آيسة حينئذ.

وسن الإياس عند أبي حنيفة خمس وخمسون سنة، وعند مالك سبعون، وعند الشافعي اثنتان وستون وعند أحمد خمسون، وأقل سن تحيض له المرأة تسع سنين بالاتفاق.

وعدة المتوفَّى عنها زوجها إذا لم تكن حاملاً أربعة أشهر وعشر بالاتفاق.

واختلاف القراء في (وَاللَّائِي) في الحرفين كاختلافهم في نظيره في سورة الأحزاب [الآية: ٤].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٨).

(٢) «منهما» زيادة من «ت».

﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ ﴾ أي: الحبالى، مطلقاتٍ كُنَّ أو تُوفي عنهن أزواجُهن.

﴿ أَجَلُهُنَّ ﴾ أي: انقضاء عدتهن التي يجوز بعدها النكاح، مبتدأ، خبره ﴿ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ وهما خبر (أُولاتُ)، فإذا كانت المرأة حاملاً، وطُلقت، أو مات زوجها، فعدتها بوضع الحمل بالاتفاق.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ يسهِّلْ عليه أمر الدارين، ويخلِّصْه من شدائدهما.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من الأحكام ﴿ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في أحكامه ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات.

﴿ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ بالمضاعفة.

* * *

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ ﴾ يعني: مطلقاتِ نسائِكم ﴿ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم ﴾ أي: مكاناً من سُكناكم ﴿ مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ قرأ روح عن يعقوب: (وِجْدِكُمْ) بكسر الواو،

والباقون: بضمها[1]؛ أي: من سَعَتكم وهو بيان لقوله: (مِنْ حَيْثُ)، وأبو عمرو يدغم الثاء في السين من قوله (حَيْث سَّكَنتُمْ)[2].

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ تؤذوهن ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ فيخرُجْنَ، وتقدم في أول السورة اختلاف الأئمة في حكم السكنى للرجعية والبائن.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجن من العدة، فالبائن بالطلاق إذا كانت حاملاً لها النفقة والسكنى بالاتفاق، وأما البائن الحائل، فتستحق النفقة والسكنى عند أبي حنيفة كالحامل إلى أن تنقضي عدتها بالحيض، أو بالأشهر؛ خلافاً للثلاثة، ولا نفقةَ من التركة لمتوفًّى عنها زوجُها، ولا كسوةَ، ولو كانت حاملاً بالاتفاق.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ﴾ أي: المطلقات ولداً ﴿لَكُمْ﴾ منهن، أو من غيرهن.

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع، وتقدم اختلاف الأئمة في حكم إرضاع الأمهات، وأخذِهن الأجرةَ في زمن العصمة وبعد الطلاق في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [الآية: ٢٣٣].

﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف في الإرضاع والأجر.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٨).

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الرضاع، وامتنع الأب عن إعطاء الأجرة، والأم عن إرضاعه.

﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾ امرأة ﴿أُخْرَىٰ﴾ وفيه معاتبة للأم على المعاسرة.

* * *

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿لِيُنفِقْ﴾ لام أمر.

﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ على المطلقات والمرضعات على قدر غناه.

﴿وَمَن قُدِرَ﴾ ضُيِّق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ من المال على مقداره.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أعطاها من المال.

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ عاجلاً أو آجلاً. قرأ أبو جعفر: (عُسُراً) و(يُسُراً) بضم السين فيهما، والباقون: بالإسكان[١]، وتقدم في سورة النور اختلاف الأئمة فيمن أعسر بصَداق زوجته وكسوتها ونفقتها، وحكم النسخ بذلك.

* * *

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ تقدم تفسير (وَكَأَيِّنْ)، واختلاف القراء فيه في

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٩).

سورة الحج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ [الحج: ٤٥].

﴿عَتَتْ﴾ أي: عتا أهلها بالتجبر ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: وأمر رسله.

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: لم يغتفر لهم ذلة، بل أُخذوا بالدقائق من الذنوب.

﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ عظيماً، وهو النار في الآخرة، والتعبير بلفظ الماضي في الحساب والعذاب لتحقيق وقوعهما في المستقبل. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (نُكُراً) بضم الكاف، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبةَ كفرها.

﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ﴾ آخرُ[2] ﴿أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خسراناً لا ربح فيه.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٠).

(٢) «آخر» زيادة من «ت».

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ تكرير للوعيد.

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ صفة (لأُولِي الأَلْبَابِ).

﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ يعني: القرآن.

***

﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ رَّسُولًا ﴾ هو محمد ﷺ، والمعنى: بعث رسولاً، لكن الإيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول.

﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ ﴾ صفة (رَسُولاً). قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مُبَيِّنَاتٍ) بكسر الياء، والباقون: بفتحها[١]، ثم علل الإنزال والإرسال، فقال:

﴿ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾ الكفر ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ الإيمان.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٠).

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (نُدْخِلْهُ) بالنون، والباقون: بالياء(١).

﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ ﴾ حال ﴿ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ أي: ما أحسنَ ما رزقه الله! يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

***

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ مبتدأ وخبر.

﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ في العدد، ونصبه عطف(٢) على (سَبْعَ) أي: وخلق من الأرض مثلَهن، قيل: ليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية، وفي التفسير بين كل سماءين مسيرة خمس مئة عام، وكذلك غلظ كل سماء، والأرضون مثل السموات.

﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى، ثم علل الخلق والتنزيل فقال: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ فلا يخفى عليه شيء، وهو عموم على إطلاقه، ونصب (عِلْماً) على المصدر المؤكد؛ لأن المعنى: وأن الله قد علم كل شيء علماً، والله أعلم.

***

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٠-١٧١).

(٢) «عطف» زيادة من «ت».

سورة التحريم

مدنية بالإجماع، وآيها: اثنتا عشرة آية، وحروفها: ألف ومئة وستون حرفاً، وكلمها: مئتان وسبع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾.

[١] كان رسول الله ﷺ قد خلا بسُرِّيته مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس ملك مصر في بيت حفصة، وقد مرت لزيارة أبيها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فجاءت حفصة، فوجدتهما، فأقامت خارج البيت حتى أخرجَ رسولُ الله ﷺ مارية، وذهبت، فدخلت حفصة غَيْرى متغيرة، فقالت: يا رسول الله! أما كان في نسائك أهون عليك مني؟ في بيتي وعلى فراشي! فقال لها رسول الله ﷺ مترضياً لها: «هي حرامٌ عليَّ»، وقال مع ذلك: «والله لا أطؤها أبداً، فلا تخبري عائشة»، وقال: «أبوك وأبو عائشة الخليفتان بعدي»(١)، ثم إن حفصة ـ رضي الله عنها ـ قرعت

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٤٠)، والدارقطني في «سننه» (٤/ ١٥٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما باختلاف يسير.

الجدار الذي بينها وبين عائشة، وأخبرتها لتسرها بالأمر، ولم تر في إفشائها إليها حرجاً، واستكتمتها، فأوحى الله بذلك إلى نبيه ونزل:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ [1] تقدم مذهب نافع في المد والهمز في أول سورة الطلاق.

﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾.

وقيل: شرب عسلاً عند حفصة، فواطأت عائشة سودة وصفية، فقلن له: إنا نشم منك ريحَ المغافير[2] ـ وهو صمغ له ريح منكرة، وكان ﷺ يشتد عليه أن يُشم منه ما يكره، فحرم العسل، فنزلت.

قال ابن عطية[3]: والقول الأول أن الآية نزلت بسبب مارية أصحُّ وأوضح، وعليه تفقه الناس في الآية[4].

فإذا قال الرجل لزوجته: أنت عليَّ حرام، أو ما أحلَّ اللهُ عليَّ حرامٌ، فقال أبو حنيفة: هو ما أراد من الطلاق، فإن لم يرد الطلاق، فليس بشيء، وقال مالك: هو ثلاث في المدخول بها، وينوي في غير المدخول بها، فهو ما أراد من الواحدة أو الاثنتين أو الثلاث، ومتى حرم مالاً أو جارية دون أن يعتق، أو يشترط عتقاً أو نحو ذلك، فليس تحريمه بشيء، وقال الشافعي: إن نوى طلاقاً أو ظهاراً، حصل، أو نواهما، تخير، وثبت ما اختاره، وإن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٢٤).

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٨)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾، ومسلم (١٤٧٤)، كتاب: الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣٠).

(٤) «في الآية» زيادة من «ت».

نوى تحريم عينها، لم تحرم عليه[1]، وعليه كفارة يمين، وكذا إن لم تكن له نية، وإن قاله لأمة، ونوى عتقاً، ثبت، أو تحريمَ عينها، أو لا نية فكالزوجة، وقال أحمد: هو ظهار مطلقاً، ولو نوى الطلاق أو اليمين؛ لأنه صريح في الظهار، فلو قاله لأمته، أو أم ولده، فعليه كفارة يمين كما تقدم في سورة المجادلة في حكم الظهار.

﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ تفسير لـ(تُحَرِّمُ)، والمرضاة مصدر كالرضا؛ أي: تبتغي رضاهن بتحريم المحلَّل، وليس لأحد تحريم ما أحل. قرأ الكسائي: (مَرْضَاتَ) بالإمالة، ووقف عليها بالهاء[2].

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ سَتور للذنب ﴿رَحِيمٌ﴾ عطوف بالرحمة، غفر تعالى لنبيه ﷺ ما عاتبه، ورحمه.

* * *

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ثم أمره أن يكفِّر عن يمينه، فقال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ﴾ أي: بيَّنَ ﴿اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ﴾ أي: تحليل ﴿أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو الكفارة، وتقدم حكمها مستوفىً في سورة المائدة.

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

* * *

---

(١) «عليه» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٥).

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ ﴾ أي: واذكر يا محمد ذلك على جهة التأنيب والتعتب لهن.

﴿ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ ﴾ هي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما. واختلاف القراء في الهمزتين من (النَّبِيءُ إِلَى) كاختلافهم فيهما من (يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا) أول سورة الطلاق [الآية: ١] ﴿ حَدِيثًا ﴾ هو تحريم مارية، وخلافة أبي بكر وعمر.

﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ ﴾ حفصةُ ﴿ بِهِۦ ﴾ عائشةَ ﴿ وَأَظْهَرَهُ ﴾ أطلعه ﴿ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بوحي منه.

﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ ﴾ قرأ الكسائي: (عَرَفَ) بتخفيف الراء؛ أي: عرف بعضَ الفعل الذي فعلته من إفشاء سره؛ أي: غضب من ذلك، وجازاها عليه بأن طلقها، فلما بلغ ذلك عمر، قال: «لو كان في آل الخطاب خيرٌ لما طلقك رسولُ الله»، فأمره الله على لسان جبريل بمراجعتها[1]. وقرأ الباقون: بتشديد الراء[2]؛ أي: أعلم به، وأَنَّبَ عليه.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٢٦)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ١٨٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٢٥ـ٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٥ـ ١٧٦).

﴿ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ هو أمر الخلافة؛ لئلا يشتهر.

﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ ﴾ أي: نبأ حفصة بالخبر، وأنها أفشته إلى عائشة، ظنت أن عائشة فضحتها، فثَمَّ ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ﴾ على جهة التثبت ﴿ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

***

﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) ﴾.

[٤] فلما أخبرها أن الله أخبره، سكتت، وسلمت، واعتزل ﷺ نساءه للحديث الذي أفشته حفصة إلى عائشة، وحلف ألاَّ يدخل عليهن شهراً، فلما ذهب تسع وعشرون ليلة، بدأ بعائشة، فقالت: أقسمتَ أنك لا تدخل شهراً، وإنما أصبحتَ من تسع وعشرين، فقال: «الشهر تسع وعشرون ليلة»(١)، وكان الشهر تسعاً وعشرين ليلة.

﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ ﴾ خطاب لحفصة وعائشة من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء.

﴿ فَقَدْ صَغَتْ ﴾ مالت ﴿ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي: وُجد منكما ما يوجب التوبة بأن سَرَّكما ما كرهه النبي ﷺ من تحريم مارية، وجمع القلوب؛ لئلا يجمع بين تثنيتين في كلمة؛ فراراً من اجتماع المتجانسين، وربما جمع، وتقديره: إن تبتما، قُبلت توبتكما.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩٥)، كتاب: النكاح، باب: موعظة الرجل ابنته، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ومسلم (١٠٨٣)، كتاب: الصيام. باب الشهر يكون تسعاً وعشرين، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ **قرأ الكوفيون**: بتخفيف الظاء، والباقون: بتشديدها[1]، ومعناهما: تتعاونا على إيذائه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ أي: ناصره ﴿وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ عطفاً على الضمير في (مَوْلَاهُ) (وَصَالِح الْمُؤْمِنِينَ) واحد يُراد به الجمع، وهم من صلح من المؤمنين. **قرأ ابن كثير**: (جَبْرِيلُ) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز[2]، **وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف**: بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة، **وقرأ أبو بكر عن عاصم** كذلك، إلا أنه حذف الياء بعد الهمزة، **وقرأ الباقون**: بكسر الجيم والراء من غير همز.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أعوان، المعنى: كلُّ المذكورين ينصرون محمداً ويعينونه، وتخصيص جبريل لتعظيمه.

***

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ۝٥﴾.

[٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾ و(عسى) تكون للوجوب في ألفاظ القرآن إلا في موضعين: أحدهما في سورة محمد ﷺ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ)؛ أي: علمتم وتمنيتم، والثاني: هنا ليس بواجب؛ لأن الطلاق معلق بالشرط، فلما لم يوجد الشرط، لم يوجد التبديل.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٧).

﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ رسولُه ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ قرأ أبو عمرو: (طَلَّقكُّنَّ) بإدغام القاف في الكاف، والباقون: بالإخلاص، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يُبَدِّلَهُ) بفتح الباء وتشديد الدال، والباقون: بإسكان الباء وتخفيف الدال[١].

﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ خاضعات له بالطاعة ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مخلصات ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ طائعات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ عن الذنوب ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ متذللات لأمر الرسول ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات.

﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أي: مشتملات على الثيبات والأبكار، والآية واردة في الإخبار عن القدرة، لا عن الكون في الوقت؛ لأنه تعالى قال: ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾، وهو علم أنه لا يطلقهن، وهذا كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، فهذا إخبار عن القدرة، وتخويف لهم؛ لأنه ليس في الوجود خير من أمة محمد ﷺ.

روي عن أنس بن مالك: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال للنبي ﷺ: «يا رسول الله! لا تكترثْ بأمر نسائك، والله معك، وجبريل معك، وأبو بكر معك، وأنا معك»، فنزلت الآية موافقة نحواً من قول عمر[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٠)، وقراءة (يبدله) في «التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٨).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٣٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٢٨٧). وأصله في «الصحيح».

وروي أيضاً: أن عمر قال لزوجات النبي ﷺ: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن»، فنزلت الآية على نحو قوله[1].

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ ﴾ جنِّبوا.

﴿ أَنفُسَكُمۡ ﴾ بترك المعاصي ﴿ وَأَهۡلِيكُمۡ ﴾ بالنصح والتأديب.

﴿ نَارٗا وَقُودُهَا ﴾ حطبها[2] ﴿ ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ وهي حجارة الكبريت، وقيل: الأصنام، وقرن الناس بالحجارة؛ لأنهم نحتوها واتخذوها أرباباً من دون الله، وقيل من النار نوع لا يتقد إلا بالناس والحجارة كاتقاد هذه النار بالحطب.

﴿ عَلَيۡهَا ﴾ ولاة يعذبون بها الناس ﴿ مَلَٰٓئِكَةٌ ﴾ هم الزبانية ﴿ غِلَاظٞ ﴾ فظاظ على أهل النار ﴿ شِدَادٞ ﴾ أقوياء، بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يضرب أحدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين ألفاً، فيهوون في النار.

﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ ﴾ به ﴿ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ بمحبة وإسراع، وهذه الآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٢)، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ ﴾.

(٢) «حطبها» زيادة من «ت».

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ويقال للكفار عند دخولهم النار ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ونهيهم عن الاعتذار؛ لأنه لا عذر لهم.

***

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ هي ألاَّ يعود إلى الذنب. قرأ أبو بكر عن عاصم: (نُصُوحاً) بضم النون، مصدر كالقعود، وقرأ الباقون: بفتحها[1]، مصدر واسم فاعل بمعنى ناصحة، وصف التوبة بالنصح مجازاً، وإنما هو وصف للتائبين؛ لأنهم ينصحون نفوسهم.

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ ترجية، وروي أن (عَسَى) هنا للوجوب.

﴿ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ عطف على ﴿ يُكَفِّرَ ﴾ .

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ ﴾ ظرف لـ(يُدْخِلكُم) ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ عطف على (النبي).

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ على الصراط.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٨-١٧٩).

﴿ يَقُولُونَ ﴾ إذا طَفِئَ نور المنافقين: ﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ يقولون ذلك إشفاقاً على عادة البشرية.

وعن الحسن: مُتَمِّمة لهم، ولكنهم يدعون تقرباً إلى الله؛ كقوله: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، وهو مغفور له.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ﴾.

[٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ بالسيف ﴿ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ بالحجة وإقامة الحدود ﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ في ذلك ﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ جهنمُ.

***

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ ضَرَبَ ﴾ أي: مَثَّلَ ﴿ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ ﴾ واسمها واعلة ﴿ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ﴾ واسمها واهلة.

﴿ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ ﴾ أي: زوجيهما ﴿ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ﴾ هما نوح ولوط عليهما السلام.

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ بأن أشركتا، لا في الفراش، فقد روي: ما زنت امرأة

نبي قط[١]، وخيانتهما أن كانت امرأة نوح تقول: إنه مجنون، وامرأة لوط تدل على أضيافه.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: زوجاهما ﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه.

﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ الكافرين من أمة نوح ولوط، قطع الله بهذه الآية طمع من يركب المعصية أن ينفعه صلاحُ غيره.

* * *

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعاً، فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ واسمها آسية بنت مزاحم.

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ قريباً من رحمتك، وذلك أنها آمنت، فعلم فرعون، فأوتد يدها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقى على صدرها رحى عظيمة[٢]، واستقبل بها الشمس، فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾، فكشف لها فرأت بيتها، فسهل الله عليها تعذيبها[٣]، وفي معنى

---

(١) جاء من قول ابن عباس وغير واحد من السلف، كما ذكر ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٤٩).

(٢) «عظيمة» زيادة من «ت».

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٤٣١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه من قوله. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٨): رجاله رجال الصحيح.

قولها: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾، من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: الجارُ قبلَ الدار.

﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ هو الكفرُ، وتعذيبه إياها.

﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ القبط.

***

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ عطف على (امرأةَ فرعون) تسلية للأرامل. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (امْرَأَة) و(ابْنَهْ) بالهاء في الأحرف الأربعة، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (عِمْرَانَ) بالإمالة(١).

﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الرجال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ أي: الفرج.

﴿مِن رُّوحِنَا﴾ والمراد: قولُ جبريل ـ عليه السلام ـ لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الآية [مريم: ١٩].

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه، و(بِكَلِمَةِ رَبِّهَا)؛ أي: بعيسى، والتلاوة بالأول ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: بضم الكاف والتاء بغير ألف على الجمع؛ أي: كتبه المنزلة على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام، وقرأ الباقون: بكسر الكاف وفتح

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٩)، والإمالة في «غيث النفع» للصفاقسي (ص: ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٩).

التاء وألف بعدها على التوحيد[1]، والمراد: جنس الكتب المنزلة.

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين لربها، ولم يقل: من القانتات؛ لأن القنوت يعم الذكر والأنثى، فغلب الذكر.

قال ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسيةُ بنتُ مزاحِم امرأةُ فرعون، ومريمُ بنتُ عمران، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنتُ محمد، وفضل عائشةَ على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٠-١٨١).

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٠)، كتاب: الأنبياء، باب قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ومسلم (٢٤٣١)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل خديجة رضي الله عنها، من حديث أبي موسى الأشعري، بلفظ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وقد رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه باللفظ الذي ذكره المصنف رحمه الله.

سُورَةُ المُلْكِ

مكية، وتسمى: الواقية، والمنجية؛ لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر، آيها: ثلاثون آية، وحروفها: ألف وثلاث مئة وثلاثة عشر حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وخمس وثلاثون كلمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

[١] ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تقدم تفسيره أول سورة الفرقان.

﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ﴾ أي: في تصرفه ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عموم، والشيء معناه في اللغة: الموجود.

***

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ هما معنيان يتعاقبان جسمَ الحيوان، يرتفع أحدهما بحلول الآخر.

﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ أي: جعل لكم هاتين الحالتين ليعاملكم معاملة المختبِر.

﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ أخلصُه وأسرعُ إلى الطاعة؛ لأنه لا يُقبل عمل حتى يكون خالصاً لله.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قلت: يا رسول الله! ما معنى قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾؟ فقال: «يقول: أيكم أحسن عقلاً، وأشدكم لله خوفاً، وأحسنكم في أمره ونهيه نظراً، وإن كانوا أقلَّكم تطوعاً»(١).

وقدم الموت في اللفظ؛ لأنه أدعى إلى حسن العمل؛ لتقدمه في النفس هيئة وغلظة.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ لمن تاب.

* * *

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾.

[٣] وتبدل من ﴿ٱلَّذِي﴾ قبلُ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ متطابقات بعضها فوق بعض، متباينات بلا علاقة ولا عماد ولا مماسة، وطباقاً: مصدر؛ أي: طُبقت طباقاً.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٥). وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٣٧).

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ اختلاف. قرأ حمزة، والكسائي: (تَفَوُّتٍ) بضم الواو مشددة من غير ألف، وقرأ الباقون: بألف بعد الفاء وتخفيف الواو، وهما لغتان؛ كالتحامُل والتحمُّل[1].

﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ ﴾ كَرِّرْه إلى السماء؛ لتستيقن إحكامَ خلقهن.

﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ صدوع. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام عن ابن عامر: (هَل تَّرَى) بإدغام اللام في التاء، والباقون: بالإظهار[2].

* * *

﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ كرةً بعد كرة، ودققه؛ لترى خللاً، وجواب الأمر:

﴿ يَنقَلِبْ ﴾ يرجع ﴿ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا ﴾ ذليلاً مبعَداً عن إدراك خلل ما. قرأ أبو جعفر: (خَاسِياً) بنصب الياء منوناً من غير همز، والباقون: بالهمز[3].

﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ منقطع، لم يدرك ما طلب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٥).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٦).

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ القُربى إلى الأرض. **قرأ** أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام: (وَلَقَد زَّيَّنَّا) بإدغام الدال في الزاي، والباقون: بالإظهار[١].

﴿ بِمَصَٰبِيحَ ﴾ بنجوم، سميت بذلك؛ لإضاءتها كالمصباح؛ لأنها زينة السماء.

﴿ وَجَعَلْنَٰهَا ﴾ أي: النجومَ ﴿ رُجُومًا ﴾ جمع رجم؛ أي: مرامي ﴿ لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ يُرجمون بها عند استراق السمع، فينفصل الشهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار، والنارُ مكانها، فيقتل الجني، ويخبله، ولا يزول الكوكب عن مكانه.

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها في البر والبحر، فمن قال غير ذلك، فقد تكلف ما لا علم له به[٢].

﴿ وَأَعْتَدْنَا ﴾ أي: أعددنا ﴿ لَهُمْ ﴾ يعني: الشياطين.

﴿ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ في الآخرة، واحتراقهم[٣] بالشهب في الدنيا.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٦).

(٢) ذكره البخاري في «صحيحه» (٣/ ١١٦٨) معلقاً. ورواه الحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٨٩) بإسناده إلى عبد بن حميد في «تفسيره».

(٣) في «ت»: «بعد إحراقهم».

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ من الشياطين وغيرهم ﴿ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ ورفع (عَذَابُ)[1] خبر مبتدؤه (وَلِلَّذِينَ).

﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ تضمنت هذه الآية عذاب جهنم للكفار المخلدين، وقد جاء في الأثر: «أنه يمر على جهنم زمنٌ تخفق أبوابها قد أَخْلَتْها الشفاعة»[2]، فالذي في هذه الآية في جهنم بأسرها؛ أي: جميع الطبقات، والتي في الأثر هي الطبقة العليا؛ لأنها مقر العصاة.

* * *

﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا ﴾ في جهنم[3] ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا ﴾ لأهلها.

﴿ شَهِيقًا ﴾ هو أقبح ما يكون من صوت الحمار ﴿ وَهِىَ تَفُورُ ﴾ غلياناً.

* * *

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ ﴾ تنشَقُّ ﴿ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ على الكفار. قرأ البزي عن ابن

---

(١) «ورفع عذاب» زيادة من «ت».

(٢) كذا ذكره الثعالبي في «تفسيره» (٤/ ٣٢١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣٩). ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٦٩)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٠): فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف.

(٣) «في جهنم» زيادة من «ت».

كثير: (تَكَاد تَّمَيَّزُ) بتشديد التاء على أنها تتميز، وأدغم إحدى التاءين في الأخرى، وقرأ أبو عمرو: بإدغام الدال في التاء[1].

﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ﴾ طائفةٌ ﴿سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ توبيخاً لهم:

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ رسول يخوفكم هذا العذاب.

* * *

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩﴾.

[٩] ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا﴾ الرسل ﴿وَقُلۡنَا﴾ لهم:

﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ وفرطنا في التكذيب حتى نفينا[2] الإنزال والإرسال.

﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ أي: وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال، ويحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار حين أخبروا عن أنفسهم أنهم كذبوا الرسل.

* * *

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾.

[١٠] ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني: الكفارُ للخزنة في محاورتهم: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ﴾ سماعَ من يعي الحقَّ ﴿أَوۡ نَعۡقِلُ﴾ عقلاً يُنتفع به، ونعي شيئاً، لآمَنَّا، و﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ المستوجبين الخلودَ فيه.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٦).

(٢) في «ش»: «نسينا»، والمثبت من «ت».

﴿ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ ﴾.

[١١] ﴿ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ ﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿ فَسُحْقًا ﴾ نصب على جهة الدعاء عليهم ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ أي: أبعدَهم الله بعداً عن رحمته. قرأ الكسائي، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني: (فَسُحُقاً) بضم الحاء، والباقون: بإسكانها، وهما لغتان مثل: الرعْب والرعُب(١).

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي: إذا غابوا عن الناس في خلواتهم.

﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ الجنة.

***

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ ﴾.

[١٣] ولما كان المشركون ينالون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريل بما قالوا، قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كيلا يسمع إله محمد، فنزل: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٢) بالضمائر دون أن ينطق، فكيف إذا نطق به سراً أو جهراً؟

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٧)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٢١٤).

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ أَلَا يَعْلَمُ ﴾ السرَّ والجهرَ ﴿ مَنْ خَلَقَ ﴾ أي: أوجدَ الأشياءَ.

﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ﴾ العالم بما ظهر من خلقه[1] وما بطن ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ بهم وبأعمالهم.

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ مذللة لينة ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ جوانبها.

﴿ وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ الذي خلقه لكم، أمر إباحة ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ المرجع.

* * *

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم خوَّف الكفار فقال: ﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون، ورويس، والأصبهاني عن ورش: (أَأَمِنْتُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، واختلف عن الأزرق عن ورش في إبدالها ألفاً خالصة، وتسهيلها بين بين، واختلف عن هشام في تسهيلها بين بين، وتحقيقها، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزتين، وهم الكوفيون، وابن ذكوان، وروح، وفصل بين الهمزتين بألف: أبو عمرو،

---

(١) «من خلقه» زيادة من «ت».

وأبو جعفر، وقالون، واختلف عن هشام، وقرأ الباقون: بغير فصل، ممن حقق الثانية أو سهلها، وقنبل راوي ابن كثير خالف أصله في هذا الحرف، فأبدل الهمزة الأولى منهما واواً؛ لضم راء (النُّشُورُ) قبلها، فإذا وصل، قرأ بواو مفتوحة مع المد، واختلف عنه في الهمزة الثانية، فروي عنه تسهيلها، وروي تحقيقها، وأما إذا ابتدأ، فإنه يحقق الأولى، ويسهل الثانية على أصله[1].

﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وهذا المحل من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، نؤمن به ولا نتعرض إلى معناه، ونكل العلم فيه إلى الله، قال ابن عباس: «أأمنتم عَذَابَ مَنْ في السماء إن عصيتموه»[2].

﴿أَن يَخْسِفَ﴾ يغوّرَ ﴿بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما فعل بقارون.

﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ تذهب وتجيء مضطربة.

***

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ذاتَ حجارة كما فعل بقوم لوط. واختلاف القراء في الهمزتين من (السَّمَاءِ أَنْ) في الحرفين كاختلافهم فيهما من (هَؤُلَاءِ آلِهَةً) في سورة الأنبياء [الآية: ٩٩].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٨).

﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ إنذاري إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم العلم.

***

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قبل كفار مكة من الأمم الماضية.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالعذاب، وهو تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديد لقومه. **قرأ** ورش عن نافع: (نَذِيرِي) و(نَكِيرِي) بإثبات الياء وصلاً، **وقرأ** يعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[١].

***

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ﴾ المراد: جنس الطيور ﴿فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾ باسطاتٍ أجنحتَها في الجو عند طيرانها كالسابح في الماء ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتها بعدَ البسط.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع عند القبض والبسط ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ المعنى: ألم يستدلوا على القدرة بثبوت الطير في الهواء؟!

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨٩).

﴿ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ثم استفهم منكراً فقال : ﴿ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ إن أرسل عليكم عذابه ﴿ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ الشيطانُ يغرهم .

* * *

﴿ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ ﴾ الله ﴿ رِزۡقَهُۥۚ ﴾ عنكم باحتباس المطر وغيره من الأسباب؟ فلما لم يتعظوا ، أضرب عنهم فقال :

﴿ بَل لَّجُّواْ ﴾ تمادَوْا ﴿ فِي عُتُوّٖ ﴾ تكبر ﴿ وَنُفُورٍ ﴾ تباعُد عن الإيمان .

* * *

﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ثم ضرب مثلاً فقال : ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا ﴾ واقعاً .

﴿ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ ﴾ يعثر كل ساعة ؛ لوعورة طريقه .

﴿ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا ﴾ قائماً سالماً من العِثار .

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ وهذا مثل للمؤمن والكافر .

* * *

﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ ﴾ خلقكم ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ ﴾ لتسمعوا

المواعظ ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ لتنظروا صنائعه ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ لتتفكروا وتعتبروا.

﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: شكركم قليل، والثاني: لا تشكرونه قليلاً ولا كثيراً.

* * *

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾.

[٢٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ﴾ خلقكم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ تبعثون يوم القيامة.

* * *

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني الكفار للمؤمنين استهزاء: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ بالعذاب.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تعدوننا به؟

* * *

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦﴾.

[٢٦] ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ﴾ أي: علم وقته ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يعلمه غيره.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ والنذير يُعَلِّمُ ما عُلِّم، ويخبر بما أُمر أن يُخبر به.

* * *

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ هذه حكاية حال تأتي، المعنى: فإذا رأوه.

﴿زُلۡفَةٗ﴾ قريباً منهم، يعني: عذاب الآخرة.

﴿سِيٓـَٔتۡ﴾ قَبُحت واسودَّت[1] ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وبانَ عليها الكآبةُ.

﴿وَقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هَٰذَا﴾ العذابُ.

﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ أي: كنتم بسببه تدَّعون؛ أي: تتمنون أن يُعجل لكم؛ لاعتقادكم أنكم لا تبعثون. قرأ الكسائي، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب: (سِيئْت) (وَقِيلَ) بإشمام السين والقاف الضم، وافقهم نافع، وأبو جعفر، وابن ذكوان عن ابن عامر في (سِيئَتْ)، وقرأ الباقون: بإخلاص الكسر فيهما[2]، وقرأ يعقوب: (تَدْعُونَ) بإسكان الدال مخففة، والباقون: بفتحها مشددة، ومعناهما واحد[3].

***

(١) «واسودت» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٠-١٩١).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩١).

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ ﴾ أماتني ﴿ وَمَن مَّعِيَ ﴾ من المؤمنين.

﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ بتأخير آجالنا.

﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ المعنى: نحن مع إيماننا بين الخوف والرجاء، فمن يجيركم أنتم مع كفركم؟ أي: لا ينجيكم أحد من العذاب، متنا أو بقينا. **قرأ** حمزة: (أَهْلَكَنِي اللهُ وَمَنْ مَعِي) بإسكان الياء فيهما، وافقه في الثاني: الكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، **وقرأ** الباقون: بالفتح فيهما(١).

* * *

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ الذي نعبده ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ وثوقاً به.

﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ عند معاينة العذاب ﴿ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ منا ومنكم. **قرأ** الكسائي: (فَسَيَعْلَمُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، واتفقوا على الأول أنه بالخطاب، وهو (فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ)؛ لاتصاله بالخطاب(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، =

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض لا تصلون إليه.

﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ جارٍ ظاهرٍ تراه العيون، وتناله الأيدي.

حكي أن بعض المتجبرين تُليت عنده هذه الآية، فقال: يأتي به رؤوس المعاول، فذهب ماء عينيه، وعمي، فسمع هاتفاً يقول: قد أغرناها، فاستعمل الآن رؤوس المعاول.

قال ﷺ: «إن سورةً من كتاب الله تعالى ما هي إلا ثلاثون آية شَفَعَتْ لرجل، فأخرجته يوم القيامة من النار، وأدخلته الجنةَ، وهي سورةُ تبارك»(١)، والله أعلم.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٢).

(١) رواه أبو داود (١٤٠٠)، كتاب: الصلاة، باب: في عدد الآي، والترمذي (٢٨٩١)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، وقال: حسن، وابن ماجه (٣٧٨٧)، كتاب: الأدب، باب: ثواب القرآن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سورة ن والقلم(١)

مكية، وآيها اثنتان وخمسون آية، وحروفها: ألف ومئتان وستة وخمسون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة كلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾.

[١] ﴿نٓ﴾ قرأ الكسائي، ويعقوب، وخلف، وهشام عن ابن عامر: بإدغام النون الذي هو آخر نون في الواو بغنة؛ إجراء للواو المنفصل مجرى المتصل؛ فإن النون الساكنة تخفى مع حروف(٢) الفم إذا اتصلت بها، واختلف عن ورش، وعاصم، والبزي، وابن ذكوان، وقرأ الباقون: بالبيان للنون عند الواو، وهم: أبو عمرو، وحمزة، وأبو جعفر، وقالون، وورش(٣)، وأبو جعفر على أصله يقف على (نٓ)(٤).

واختلف في (نٓ)، فقال الجمهور من المفسرين: هو حرف مقطوع،

---

(١) «والقلم» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «نون».

(٣) في «ت»: «وقنبل».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٥).

فيدخله من الاختلاف ما يدخل في أوائل السور، ويختص هذا الموضع من الأقوال بأن قال ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، والسدي، والكلبي: إنه الحوت الأعظم الذي تحت الأرضين السبع، واسمه يهموت[1].

﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ الذي كتب به اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ أي: ما يكتبون: الملائكةُ الحفظةُ من أعمال بني آدم.

***

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾.

[٢] وهو قسم جوابه: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك بالنبوة ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾ وهو جواب لقولهم: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر: ٦]، فأقسم الله بالنون والقلم، وما يكتب به الأعمال إنه ليس مجنوناً، وقد أنعم عليه بالنبوة والحكمة.

***

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾ بصبرك على افترائهم.

﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾ أي: مقطوع.

***

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾.

[٤] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ وسمي خلقه ﷺ عظيماً؛ لامتثاله

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٤١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٥). وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٠١) بعد ذكره لهذه الأقوال: لا يصح شيء من ذلك، انتهى.

تأديبَ الله تعالى، والخلق العظيم يجتمع فيه مكارم الأخلاق، وهي تجتمع في النبي ﷺ، وقد أمره الله بمكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فأمره بتوبة آدم، وشكر نوح، ووفاء إبراهيم، ووعد إسماعيل، وحلم إسحاق، وحسن ظن يعقوب، واحتمال يوسف، وصبر أيوب، وإنابة داود، وتواضع سليمان، وإخلاص موسى، وعبادة زكريا، وعصمة يحيى، وزهد عيسى، ففعلها، وهي من مكارم الأخلاق، فأثنى الله عليه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

وسئلت عائشة عن خلقه، فقالت: «كان خلقُه القرآن»[١].

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن رسولَ الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «خياركم أحاسنُكم أخلاقاً»[٢].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً ولا امرأة»[٣].

وعنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول[٤]: «إن المؤمنَ يدرك بحسن خلقه درجةَ قائم الليل وصائم النهار»[٥].

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، بلفظ فيه: . . . فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن».

(٢) رواه البخاري (٥٦٨٨)، كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، ومسلم (٢٣٢١)، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ.

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩١٦٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٢٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٨٨).

(٤) «سمعت رسول الله ﷺ» زيادة من «ت».

(٥) رواه أبو داود (٤٧٩٨)، كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق.

﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ونزل وعداً له ﷺ ووعيداً لهم: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾ فستعلم يا محمد، ويعلمون إذا نزل بهم العذاب.

* * *

﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ بأي الجانبين الجنون: بجانب محمد ﷺ وأصحابه، أم بجانب أبي جهل وأصحابه؟

* * *

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وهو المجنون حقيقة.

﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ الفائزين بكمال العقل.

* * *

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ ﴾ .

[٨] ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه، وذكر سوء خلقه، وعدَّ معايبه، فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله[١]: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ يعني: قريشاً.

* * *

(١) «بقوله» زيادة من «ت».

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ ﴾ .

[٩] وذلك أنهم قالوا في بعض الأوقات لرسول الله ﷺ: لو عبدتَ آلهتنا وعظمتها، لعبدنا آلهتك وعظمناها، فأُمر بالتصميم على معاداتهم.

﴿ وَدُّوا ﴾ تمنَّوْا ﴿ لَوْ تُدْهِنُ ﴾ تَلين وتُصانعهم في دينك.

﴿ فَيُدْهِنُونَ ﴾ فيلاينونك بترك الطعن، ورفع (فَيُدْهِنُونَ) وإن كان جواب التمني؛ لأنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: فهم يدهنون، وفي بعض المصاحف: (فَيُدْهِنُوا) بلا نون.

* * *

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ كثيرِ الحلف، وهذا نهي عن طاعة من يجترىء على الله تعالى، وكثرة الأيمان منهي عنه ﴿ مَّهِينٍ ﴾ ضعيف الرأي والعقل.

* * *

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ ﴾ .

[١١] ﴿ هَمَّازٍ ﴾ مغتاب عياب للناس ﴿ مَّشَّاءٍ ﴾ بين الناس ﴿ بِنَمِيمٍ ﴾ ينقل الكلم على وجه الإفساد، وهذه الأوصاف هي أجناس، لم يُرَدْ بها رجل بعينه، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: في الأخنس بن شريق، وقيل: في أبي جهل، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: الأسود بن عبد يغوث[١].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٤٧).

قال ابن عطية: وظاهر اللفظ عموم من بهذه الصفة، والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمن، لا سيما لولاة الأمور[1].

* * *

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ شحيح بالمال والأفعال الصالحة.

﴿مُعْتَدٍ﴾ متجاوز لحدود الأشياء. روي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (مُعْتَدِي) ﴿أَثِيمٍ﴾ آثم من حيث أعماله قبيحة تكسب الإثم.

* * *

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ جافي سيء الخلق ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الذي وصفناه به، فهذا الترتيب إنما هو في قول الواصف، لا في حصول تلك الصفات في الموصوف، وإلا، فكونه عتلاً هو قبل كونه صاحب خير يمنعه.

﴿زَنِيمٍ﴾ معلّق بالقوم وليس منهم.

* * *

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ **قرأ** نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (أَنْ كَانَ) بهمزة واحدة على الخبر؛ أي: إذا كان، ومعناه: لا تطعه مع هذه المثالب ليساره، **وقرأ** الباقون: بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم، فحقق الهمزتين

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/٣٤٧)، وعنده: «عموم من هذه صفته».

على الأصل: حمزة وروح عن يعقوب، وأبو بكر عن عاصم، وحقق الأولى وسهل الثانية تخفيفاً: ابنُ عامر، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، وهشام، واختلف عن ابن ذكوان(١)، ولهذه القراءة وجهان: أحدهما معناه: لأن كان ذا مال وبنين تطيعه؟ يدل على المحذوف: (وَلاَ تُطِعْ) قبلُ، والوجه الآخر: ألأن كان ذا مال وبنين؟

***

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ كذَّبَ بالقرآن، و ﴿ قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أكاذيبهم، ورفعها بإضمار (هي)(٢) أي: جعل مجازاة النعم التي خُوِّلها من البنين والمال الكفرَ بآياتنا.

***

﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه بقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ سنسوِّدُ وجهه، أو نكويه، والخرطوم: هو الأنف؛ ليكون له علماً يعرف به؛ لأن الكافر يسود وجهه يوم القيامة، وخص الأنف بالذكر؛ لأن الوسم عليه أبشع، وقيل: أبو جهل خُطم أنفه بالسيف يوم بدر(٣).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٤٨ـ٤٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٦ـ١٩٧).

(٢) في «ت»: «هم».

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٥٩٣).

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع.

﴿ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ بستان يقال له: ضروان باليمن دون صنعاء بفرسخين، كان لرجل، وكان إذا جذَّهُ، ترك ما يتعداه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وينتثر عند الدياس للمساكين، فمات، فخلفه بنوه فيها، فاحتالوا لمنع حق الفقراء بخلاً منهم.

﴿ إِذْ أَقْسَمُوا۟ ﴾ حلفوا ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ ليقطعن ثمارها وزرعها ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ في أول الصبح آخر جزء من الليل خفيةً على المساكين.

* * *

﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ لا يقولون: إن شاء الله.

* * *

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ ﴾ بلاء وهلاك ليلاً ﴿ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ ولا يكون الطائف إلا بالليل، وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها.

* * *

﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ أي: المصرومة؛ لهلاك ثمرها، وكلُّ شيء قُطع من شيء فهو صريم، والليل صريم، والصبح صريم؛ لأن كل واحد

منهما ينصرم عن صاحبه، قال ابن عباس: «كالرماد الأسود»[1].

* * *

﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ۝٢١﴾.

[٢١] ﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ﴾ نادى بعضهم بعضاً.

* * *

﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝٢٢﴾.

[٢٢] ﴿أَنِ ٱغْدُواْ﴾ أي: أقبلوا. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف[2]: (أَنُ اغْدُوا) بضم النون في الوصل، والباقون: بكسرها[3].

﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ نخلكم[4] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ قاطعين للنخل.

* * *

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣﴾.

[٢٣] ﴿فَٱنطَلَقُواْ﴾ مضوا إليها ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتسارُّون، يقول بعضهم لبعض:

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٥٠)، و«زاد المسير» لاين الجوزي (٨/ ٣٣٦)، و«تفسير الثعالبي» (١٠/ ١٦).

(٢) «وخلف» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٨)، ولم يذكر خلفاً وأبا جعفر.

(٤) في «ت»: «غلتكم».

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ وهذا مبالغة في النهي عن التمكين من الثمرة.

* * *

﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَغَدَوْا۟﴾ عزموا ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ منعٍ للفقراء، والحرد: المنعُ مع حدَّة وغضب ﴿قَٰدِرِينَ﴾ بزعمهم.

* * *

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ محترقةً ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ طريقَ جنتنا، وليست هذه.

* * *

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] فلما تأملوا وعرفوا أنها هي، قالوا:

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ خيرَها بسبب منعنا المساكين.

* * *

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلُهم وخيرهم؛ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا﴾ هلاَّ ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ تطيعون الله وتعظمونه، وقيل: تستثنون، وسمي الاستثناء تسبيحاً؛ لأنه تعظيم الله، قال

ابن عطية: وهذا يرد عليه قوله: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾[1].

* * *

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] فبادر القوم و﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ بمنعنا المساكينَ.

* * *

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾ يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين؛ فإن منهم من أشار بذلك، ومنهم من استصوبه، ومنهم من سكت راضياً، ومنهم من أنكره.

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] فنادوا على أنفسهم بالويل، و﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ في منعنا حقَّ الفقراء.

* * *

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾ ليتوب علينا، ويرد جنتنا، رُوي أنهم تابوا، فأُبدلوا جنة خيراً منها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يُبَدِّلَنَا) بفتح الباء وتشديد الدال، والباقون: بإسكان الباء وتخفيف الدال[2].

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٧٢)، و«معجم =

﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ عذاب أولئك ﴿ ٱلْعَذَابُ ﴾ الذي نعذب به أهل مكة بالقتل والأسر والهزيمة في الدنيا؛ لشركهم وكفرهم، وهو راجع إلى قوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أعظمُ منه وأشدُّ.

﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ لاحترزوا عما يؤديهم إليه.

* * *

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في الآخرة.

﴿ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الخالصِ.

* * *

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] فقال المشركون للمسلمين: إن بعثنا على زعمكم، فإنا نُعطى أفضلَ منكم، فنزل تكذيباً لهم: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١) الألف للاستفهام على وجه التوبيخ؛ أي: لا نجعل ذلك، وفيه إضمار: أفلا تعقلون، معناه: من كان له عقل يعلم أنه لا يكون ثواب المسلمين كثواب المجرمين.

* * *

= القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٩).

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٣٢٩)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٥١).

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ هذا الحكمَ الفاسدَ، التفات فيه تعجيبٌ من حكمهم، واستبعادٌ له.

* * *

﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ ﴾ منزلٌ من السماء ﴿ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ تقرؤون.

* * *

﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ أي: إن لكم ما تختارونه وتشتهونه. قرأ البزي: (لَمَا تَّخَيَّرُونَ) بالمد وتشديد التاء، والباقون: بالتخفيف بغير مد[١].

* * *

﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ ﴾ نعت (أَيْمَانٌ)؛ أي: ثابتة علينا.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ ﴾ لا نخرج من عهدتها إلى يومئذ، ولما تضمن ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا ﴾ معنى القسم، أجابه بقوله: ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ أي: لأقسمنا لكم أيماناً موثقة بما تحكمون به لأنفسكم، فيجب علينا الوفاء بها.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٩).

﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين؟

* * *

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ لله بزعمهم، وهي الأصنام يكفلون لهم بذلك، فإن كان كذلك ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في زعمهم .

* * *

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ يَوْمَ ﴾ أي: واذكرْ يومَ ﴿ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ أي: يشتد الأمر، قال ابن عباس: «هو أشدُّ ساعة في القيامة»، يقال: كشفت الحرب عن ساقها؛ أي: شدتها.

﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ ويعني: الكفارَ والمنافقينَ على جهة التوبيخ.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ السجودَ؛ لأن ظهورهم تصير كصياصي البقر، كأن سفافيد الحديد فيها.

* * *

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ خَاشِعَةً ﴾ ذليلةً ﴿ أَبْصَارُهُمْ ﴾ والمراد: أربابها، و ﴿ خَاشِعَةً ﴾ نصب على الحال، وخص الأبصار بالذكر؛ لأن الخشوع فيها أبينُ منه في كل جارحة[1] .

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٣٩).

﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٞۖ﴾ تظهر عليهم ظهوراً يخزيهم .

﴿وَقَدۡ كَانُواْ﴾ هنا[1] ﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ الصلاة .

﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ وأصحاء، فلا يأتون، فلذلك منعوا السجود ثَمَّ، وخص السجود بالذكر من حيث هو أعظم الطاعات، ومن حيث به وقع امتحانهم في الآخرة .

***

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤﴾ .

[٤٤] ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾ وعيد، ولم يكن ثَمَّ مانع، ولكنه كما تقول: دعني مع فلان؛ أي: سأعاقبه، والحديث المشار إليه هو القرآن .

﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ والاستدراج: هو الحمل من رتبة إلى رتبة، حتى يصير المحمول إلى شر، وإنما يستعمل الاستدراج في الشر؛ أي: نجعلهم كلما أحدثوا خطيئة، جددنا لهم نعمة، وننسيهم الاستغفار. قرأ أبو عمرو: (بِهَذَا الْحَدِيث سَّنَسْتَدْرِجُهُمْ) بإدغام الثاء في السين[2] .

***

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ .

[٤٥] ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ أي: أُمهلهم ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ وسُمي إحسانه

---

(١) «هنا» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠١) .

كيداً واستدراجاً؛ لأنه في صورتهما؛ لأنه سبب هلاكهم، وفي معنى الاستدراج قولُ النبي ﷺ: «إن الله يُمهل الظالمَ، حتى إذا أخذه لم يُفْلِته»(١)، والمتين: القوي الذي له متانة.

* * *

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ يعطونكه ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك، والمراد: توبيخ الكفار؛ لأنه لو سألهم أجراً فأثقلهم غرمُ ذلك، لكان لهم بعض العذر في إعراضهم وفرارهم.

* * *

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ اللوح ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يقولون وبه يحكمون.

* * *

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ثم أمر الله تعالى نبيه بالصبر لحكمه، وأن يمضي لما أُمر به من التبليغ، واحتمال الأذى والمشقة، ونُهي عن الضجر والعجلة التي وقع فيها

---

(١) رواه البخاري (٤٤٠٩)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾، ومسلم (٢٥٨٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

يونس ـ عليه السلام ـ، فقال: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ فيهم بما يشاء.

﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ في عجلته وغضبه.

﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ داعياً في بطن الحوت ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ مملوء غيظاً.

* * *

﴿ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) ﴾.

[٤٩] ﴿ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ ﴾ أسند الفعل دون علامة تأنيث؛ لأن تأنيث النعمة غير حقيقي، المعنى: لو لم تنله رحمة ﴿ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ ﴾ لأُلقي من بطن الحوت ﴿ بِالْعَرَاءِ ﴾ بالأرض الفضاء ﴿ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ يُذم ويلام بالذنب، ولكنه رُحم، فنُبذ غيرَ مذموم.

* * *

﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) ﴾.

[٥٠] ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾ اختاره واصطفاه بالنبوة.

﴿ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الأنبياء.

* * *

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) ﴾.

[٥١] ثم أخبر تعالى نبيه بحال نظر الكفار إليه، فقال: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ قرأ نافع (لَيَزْلِقُونَكَ) بفتح الياء، والباقون: بضمها[١]، المعنى: قارب الكفار أن يصيبوك بأعينهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، =

﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ .

* * *

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ .

[٥٢] فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن.

﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ من الجن والإنس، والله أعلم.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٢).

سورة الحاقة

مكية، وآيها: اثنتان وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربعة وثمانون حرفاً، وكلمها: مئتان وست وخمسون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: «خرجت يوماً بمكة متعرضاً لرسول الله ﷺ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فجئت فوقفت وراءه، فافتتح سورة الحاقة، فلما سمعت سرد القرآن، قلت في نفسي: إنه لشاعر كما تقول قريش، حتى بلغ إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ثم مر حتى انتهى إلى آخر السورة، فأدخل الله في قلبي الإسلام»[1].

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾﴾.

[١] قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ اسم فاعل من حقَّ الشيء يحق: إذا كان صحيح الوجود، والمراد: القيامة؛ لأنها حقت، فلا كاذبة لها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧)، وإسناده ضعيف؛ شريح بن عبيد لم يدرك عمر رضي الله عنه. انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٩/ ٦٢).

﴿ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ استفهام تعجيب؛ تفخيماً لشأنها، التقدير: الحاقة أيُّ شيء هي؟! و﴿ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ رفع بالابتداء، و(ما) رفعٌ بالابتداء أيضاً، و(الْحَاقَّةُ) الثانية خبر (ما)، والجملة خبر الأول، وهذا كما تقول: زيد وما زيد؟! على معنى التعظيم؛ ليتخيل السامع أقصى جهده.

* * *

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ ﴾.

[٣] ثم زادها تفخيماً فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ أي: إنك لا تعلمها إذا لم تر ما فيها من الأهوال.

* * *

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام: (كَذَّبَت ثَّمُودُ) بإدغام التاء في الثاء، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون: بالإظهار(١).

﴿ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴾ القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بالمخافة، و(ثَمُودُ) اسم عربي معرفة فإذا أُريد به القبيلة، لم ينصرف، وإذا أُريد به الحي، انصرف، وأما (عَادٌ)، فكونه على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط فهو مصروف.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٥).

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ بالصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة، وقيل: بطغيانهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ شديدةٍ تصرصر في هبوبها.

﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ شديدةٍ عتت على خزنتها فلم يضبطوها.

* * *

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ سَخَّرَهَا ﴾ أرسلها بشدة وقهر ﴿ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ متتابعة لم يتخللها غير ذلك. روي عن قنبل ويعقوب: الوقفُ بالياء على (لَيَالِي)، وهذه الأيام التي تسميها العرب: أيام[١] العجوز ذاتُ برد ورياح شديدة، سميت بذلك؛ لأنها كانت في عجز الشتاء.

﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا ﴾ في تلك الأيام والليالي ﴿ صَرْعَىٰ ﴾ هَلْكى، جمع صريع.

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ ساقطة فارغة.

* * *

---

(١) «أيام» زيادة من «ت».

﴿ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨ ﴾.

[٨] ﴿ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴾ أي: بقاء. **قرأ** أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام: (فَهَل تَّرَى) بإدغام اللام في التاء، والباقون: بالإظهار[١].

* * *

﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩ ﴾.

[٩] ﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ ﴾ **قرأ** أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي: (قِبَلَهُ) بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: ومن معه، **وقرأ** الباقون: بفتح القاف وإسكان الباء[٢]؛ أي: من تقدَّمه من الأمم.

﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ ﴾ أي: المنخسفات؛ يعني: قوم لوط ﴿ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴾ أي: بالخطيئة، وهي الشرك. **قرأ** أبو جعفر: (والْمُوتَفِكَاتُ) بإسكان الواو، و(الْخَاطِيَةِ): بفتح الياء بغير همز فيهما، واختلف عن قالون في (والْمُوتَفِكَاتُ)، **وقرأ** الباقون بالهمز فيهما[٣].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠ و٣٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٧-٢٠٨).

﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ يعني : لوطاً وجميعَ الرسل .

﴿ فَأَخَذَهُمْ ﴾ العذابُ .

﴿ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ زائدة في الشدة .

***

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ثم عدد تعالى على الناس نعمه في قوله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾ في وقت الطوفان الذي كان على قوم نوح ، والطغيان : الزيادة على الحدود المتعارفة ، روي أنه علا على كل شيء خمسة عشر ذراعاً .

﴿ حَمَلْنَٰكُمْ ﴾ أي : آباءكم ﴿ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴾ على وجه الماء بسفينة نوح عليه السلام .

***

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ ﴾ أي : الفعلةَ ، وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿ تَذْكِرَةً ﴾ عظةً .

﴿ وَتَعِيَهَآ ﴾ نصب عطف ؛ أي : ولتعيها ؛ أي : وتحفظَها ﴿ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ حافظة لما تسمع . قرأ نافع (أُذْنٌ) بإسكان الذال ، والباقون : برفعها[١] .

***

---

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٩٩) ، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٠٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٩) .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ثم ذكَّر تعالى بأمر القيامة فقال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ هو القرن الذي ينفخ فيه، وهو من نور، فَمُه أوسعُ من السموات.

﴿ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾ هي الأولى التي للفزع، ومعها يكون الصعق، ثم نفخة البعث.

* * *

﴿ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَحُمِلَتِ ﴾ رُفعت[1] ﴿ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ ﴾ بجميع ما فيها.

﴿ فَدُكَّتَا ﴾ دُقَّتا ﴿ دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ لا تثنى؛ لشدتها.

* * *

﴿ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴾ قامت القيامة والطامة الكبرى.

* * *

﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ تفطَّرت ﴿ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴾ ضعيفة بعد قوتها.

* * *

﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَٱلۡمَلَكُ ﴾ اسم جنس يريد به: الملائكة ﴿ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ ﴾ جوانبها؛ يعني: السماء؛ لأنها إذا انشقت، انتقلت الملائكة إلى جوانبها حتى يأمرهم

---

(١) في «ت»: «وقعت».

الرب تعالى فينزلون، فيحيطون بالأرض ومن عليها.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: فوق رؤوسهم؛ يعني: الحملة.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾ من الملائكة.

روي أن حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة، أُمدوا بأربعة، فصاروا ثمانية على صور الأوعال، ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء(١).

وعن ابن عباس: «أنهم ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عدتهم إلا الله»(٢).

***

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ العاملُ فيه: ﴿تُعْرَضُونَ﴾ على الله.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سريرة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَخْفَى) بالياء على التذكير؛ للفصل بـ(مِنْكُمْ)، وقرأ الباقون: بالتاء لتأنيث (خَافِيَةٌ)(٣).

---

(١) قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ٤٥) بعد أن ذكره: وأبو حيان لم يقل بصحة شيء من ذلك حيث قال: ذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة، ضربنا عن ذكرها صفحاً. ثم قال الألوسي: وأكثر الأخبار في هذا الباب لا يعول عليها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٠).

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ ﴾ سروراً بما فيه خطاباً لجماعة .

﴿ هَآؤُمُ ﴾ اسم الفعل ؛ أي : خذوا ﴿ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ الهاء للوقف .

* * *

﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ ﴾ أيقنت ﴿ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ أي : أُحاسب في الآخرة . روي عن قنبل ، ويعقوب : الوقف بالياء على (مُلاَقِي) .

* * *

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ في حالة من العيش مرضية .

* * *

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ رفيعة .

* * *

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ ثمرتها ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ قريبة المتناول للقائم والقاعد والنائم .

* * *

﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] فيقال لهم : ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا ﴾ نصبٌ على المصدر .

﴿ بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ من الصلاح ﴿ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

***

﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴾ بأن تلوى يسراه إلى خلف ظهره، فيأخذه بها ﴿ فَيَقُولُ﴾ حزناً[1] مما فيه: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾.

***

﴿ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾.

***

﴿ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ يَٰلَيۡتَهَا﴾ أي: الموتةُ التي كانت في الدنيا.

﴿ كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ القاطعة لحياتي، فلم أُبعث.

***

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ مَآ ﴾ نفي ﴿ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴾ يساري لم يدفع عني شيئاً من عذاب الله.

***

---

(١) في «ت»: «خوفاً».

﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ ضلت عني حجتي. قرأ يعقوب: (كِتَابِي) (حِسَابِي) (مَالِي) (سُلْطَانِي) بحذف الهاء منها وصلاً، وأثبتها وقفاً، وافقه حمزة في (مَالِي) و(سُلْطَانِي)، وأثبتها الباقون في الحالين اتباعاً للإمام(١).

* * *

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] فثمَّ يُقال للخزنة: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ اجمعوا يديه إلى عنقه في الغُلِّ.

* * *

﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ نصب بفعل يفسره ﴿ صَلُّوهُ ﴾ أي: أدخلوه النار.

* * *

﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا ﴾ طولها ﴿ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ نصب على التمييز، قال حذاق من المفسرين: هي بالذراع المعروفة منا، وإنما خوطبنا بما نعرفه ونحصله، وقال الحسن: الله أعلم بأي ذراع هي، وعن كعب: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها(٢).

﴿ فَٱسْلُكُوهُ ﴾ وسلكه فيها أن تلوى على جسده.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٨٩).

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ثم علل ذلك مستأنفاً فقال : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ المستحقِّ للعظمة ، فمن تَعَظَّم تيهاً ، استوجب ذلك .

* * *

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَلَا يَحُضُّ ﴾ يحثُّ ﴿ عَلَىٰ ﴾ بذلِ ﴿ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ فضلاً أن يبذل من ماله ، وأضاف الطعامَ إلى المسكين من حيث له إليه نسبة .

* * *

﴿ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] ﴿ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴾ قريب ينفعه .

* * *

﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٣٦] ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴾ هو صديد أهل النار ؛ لأنه غُسالة قروح وجروح بطونهم .

* * *

﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴾ الكافرون ، والخاطِىء : الذي يفعل ضد الصواب متعمداً لذلك ، والمخطىء : الذي يفعله غير متعمد . قرأ

أبو جعفر: (الْخَاطُونَ) بحذف الهمزة وضم الطاء، والباقون: بكسر الطاء وهمزة مضمومة بعدها[1].

* * *

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿فَلَآ﴾ ردٌّ لكلام المشركين؛ أي: ليس كما يقول المشركون، وتبتدىء.

﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ترون من الأجسام والأشباح.

* * *

﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ من الأرواح، وما استأثر الله بعلمه.

* * *

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ﴾ أي: تلاوة.

﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: محمداً ﷺ يقوله رسالة عن الله تعالى.

* * *

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون تارة ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ واتصاف

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٣).

إيمانهم بالقلة هو الإيمان اللغوي؛ لأنهم قد صدقوا بأشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئاً؛ إذ كانوا يصدقون أن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأمر به رسول الله ﷺ هو حق صواب.

***

﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ ﴾ كما تزعمون أخرى.

﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ والقلة هنا بمعنى العدم. **قرأ** ابن كثير، ويعقوب، وابن عامر بخلاف عن راويه ابن ذكوان: (يُؤْمِنُونَ) (يَذْكُرُونَ) بالغيب فيهما، **وقرأهما** الباقون: بالخطاب، ومنهم حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف على أصله في تخفيف الذال من (تذَكَّرُونَ)، ورجح أبو عمرو القراءة بالخطاب بقوله: (فَمَا مِنكُمْ)[1].

***

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ تَنزِيلٌ ﴾ رفع بالابتداء؛ أي: هو تنزيل.

﴿ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ نزَّله على لسان جبريل عليه السلام.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٤).

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ ﴾ أي : اختلق ﴿ عَلَيْنَا ﴾ محمد ﷺ .

﴿ بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ وأتى بشيء من عند نفسه .

* * *

﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ لَأَخَذْنَا ﴾ لانتقمنا ﴿ مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ أي : بالقوة والقدرة ؛ لأن قوة كل شيء في ميامنه .

* * *

﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ وهو نياط القلب ، وهو عرق أبيض غليظ كالقصبة متصل بالقلب ، إذا انقطع ، مات صاحبه .

* * *

﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ ﴾ عن قتل[١] محمد ﷺ ﴿ حَاجِزِينَ ﴾ مانعين يحجزوننا ، وإنما قال : ﴿ حَاجِزِينَ ﴾ بالجمع ، وهو فعل واحد ؛ رداً على معناه ؛ كقوله : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي : القرآن ﴿ لَتَذْكِرَةٌ ﴾ عظة ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين يتقون عقاب الله .

---

(١) «قتل» زيادة من «ت» .

﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم ﴾ أيها الناس ﴿ مُّكَذِّبِينَ ﴾ فنجازيهم على تكذيبهم.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ من حيث كفروا به، ويرون من آمن به ينعم، وهم يعذبون.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: إن القرآن ليقين حق.

* * *

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ تنزيهاً له.

وروي أن رسول الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «اجعلوها في ركوعكم»[١]، فالتزم ذلك جماعة من العلماء، وتقدم ذكر الاختلاف في ذلك آخر سورة الواقعة، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، وابن ماجه (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب: التسبيح في الركوع والسجود، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٩٨)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

سُورَةُ المعَارِج

مكية، وآيها: أربع وأربعون آية، وحروفها: ثمان مئة وأحد وستون حرفاً، وكلمها: مئتان وست عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾.

[١] ﴿سَأَلَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (سَالَ) بألف من غير همز مثل قال، فألف (سَأَلَ) بدل من الهمزة، وهو لغة في السؤال، خففت الهمزة وجعلت ألفاً، وقرأ الباقون: بهمزة مفتوحة من السؤال على الأصل(١).

﴿سَائِلٌ﴾ المعنى: استفهمَ مستفهمٌ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ أي: عن عذاب نازلٍ على من ينزل.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٩).

﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ .

[٢] فقال الله مجيباً له: ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ بالعذاب، قال بعضهم لبعض: مَنْ أهلُ هذا العذاب، ولمن هو؟ سلوا عنه محمداً، فسألوه، فأنزل الله الآية: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾(١) يردُّه.

* * *

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ .

[٣] ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لتعلُّق إرادته به .

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي: مصاعد الملائكة، جمع مَعْرَج .

* * *

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ .

[٤] ﴿تَعْرُجُ﴾ أي: تصعد ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ الحفظَة بأعمال بني آدم كل يوم. قرأ الكسائي: (يَعْرُجُ) بالياء على التذكير إرادة الجمع، والباقون: بالتاء على التأنيث إرادة الجماعة(٢)، وقرأ أبو عمرو: (ذِي الْمَعَارِج تَّعْرُجُ) بإدغام الجيم في التاء(٣).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٠).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٠).

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ هو جبريل عليه السلام .

﴿إِلَيْهِ﴾ [إلى محل قربته وكرامته، وهو السماء][1] .

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من سني الدنيا، لو صعد فيه غير الملك؛ لأن الملك يصعد من منتهى أمر الله من أسفل السفل إلى منتهى أمره من فوق السماء السابعة في يوم واحد، ولو صعد فيه بنو آدم، لصعدوه في خمسين ألف سنة.

* * *

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ .

[٥] ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على أذاهم ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ هو ما لا جزع فيه، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

* * *

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾﴾ .

[٦] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ يعني: العذابَ ﴿بَعِيدًا﴾ لإنكارهم البعث.

* * *

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ .

[٧] ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ سهلاً؛ لقدرتنا عليه؛ لأن ما هو آت قريب.

* * *

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨﴾.

[٨] ﴿يَوۡمَ﴾ ظرف لـ(قريباً) ﴿تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ وهو عكر الزيت.

* * *

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩﴾.

[٩] ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾ وهو الصوف المصبوغ ألواناً.

* * *

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠﴾.

[١٠] ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا﴾ قرأ أبو جعفر: (يُسْأَلُ) بضم الياء مجهولاً؛ أي: لا يسأل قريب عن قريبه؛ أي: لا يطالَب به، وقرأ الباقون: بفتح الياء معلوماً[١]؛ أي: يسأل قريب قريباً؛ لاشتغال كلٍّ بشأن نفسه، واختلف عن البزي، فروي عنه الوجهان.

* * *

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١﴾.

[١١] ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ أي: يُرونهم، يعني: يبصر الأحماء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، وليس في القيامة مخلوقٌ إلا وهو نصب عين صاحبه.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٠)، وذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٦٥٠)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٠-٢٢١) عن ابن كثير، وقال ابن مجاهد: الرواية بالضم غلط.

﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ يتمنى المشرك ﴿لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي: (يَوْمَئِذٍ) بفتح الميم، والباقون: بكسرها، ومن حيث أضيف إلى غير متمكن، جاز فيه الوجهان ﴿بِبَنِيهِ﴾.

* * *

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢﴾.

[١٢] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾.

* * *

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣﴾.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته ﴿ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ﴾ تضمه ويأوي إليها. قرأ ابن كثير: (بِبَنِيهِي) (وَأَخِيهِي) و(تُؤْوِيهِي) وشبهه بياء يصلها بهاء الكناية في الوصل حيث وقع.

* * *

﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤﴾.

[١٤] ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ يودُّ لو يفتدي بهم جميعاً.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الفداء من عذاب الله.

* * *

﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥﴾.

[١٥] ﴿كَلَّآ﴾ لا ينجيه من عذاب الله شيء، ثم ابتدأ تعالى فقال: ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿لَظَىٰ﴾ من أسماء جهنم، سميت بذلك لتلظِّيها؛ أي: لتلهبها عليهم.

﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ نَزَّاعَةً ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (نَزَّاعَةً) نصب على الحال من (لَظَى)؛ لما فيها من معنى التلظِّي؛ كأنه قال: إنها النار التي تتلظى نزاعةً، فهي حال مؤكدة، وقرأ الباقون: بالرفع خبر مبتدأ محذوف[1]؛ أي: هي نزاعة ﴿ لِّلشَّوَىٰ ﴾ جمع شواة، وهي جلدة الرأس وما ليست مقتلاً كالأطراف، تلخيصه: تقتلع النار منهم كل عضو غير مقتل، ثم يعود هكذا أبداً.

***

﴿ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ تَدْعُوا ﴾ قال ابن عباس: «تدعوهم بأسمائهم ثم تلتقطهم كالتقاط الطير[2] الحبَّ»[3]، وقيل: معناه: تعذب.

﴿ مَنْ أَدْبَرَ ﴾ عن الإيمان ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ عن الحق.

***

﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَجَمَعَ ﴾ المال ﴿ فَأَوْعَىٰ ﴾ جعله في وعاء، ولم يؤدِّ حقَّ الله منه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٢).
(٢) «الطير» سقط من «ت».
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٠)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٨٩).

قرأ ورش عن نافع، وأبو عمرو: بإمالة رؤوس الآيات الأربع؛ بخلاف نهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، **وقرأها** الباقون: بالفتح[1].

* * *

﴿ ۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ ﴾.

[١٩] ﴿ ۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ هو عامٌّ ﴿ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ حال مقدرة، والهلع: أشد الجزع وهو اضطراب يعتري الإنسان عند المخاوف وعند المطامع ونحوها، تفسيره ما بعده.

* * *

﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ ﴾.

[٢٠] وهو ﴿ إِذَا مَسَّهُ ﴾ أصابه ﴿ ٱلشَّرُّ ﴾ الفقرُ والمرض ﴿ جَزُوعًا ﴾ حال مقدرة.

* * *

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ ﴾ المالُ والصحة ﴿ مَنُوعًا ﴾ لحقِّ الله تعالى منه.

* * *

﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ﴾.

[٢٢] ﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾ استثناء من الإنسان.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٢_٢٢٣).

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، ولا يُخِلُّون بالمكتوبة في أوقاتها.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ هو الزكاة.

* * *

﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ لِّلسَّآئِلِ ﴾ الذي يسأل ﴿ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ المتعفف عن السؤال، فيحرم لذلك.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ الجزاء.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ خائفون.

* * *

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ نزولُه، اعتراض يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله، وإن بالغ في طاعته.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴾.

* * *

﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ ﴾ و(على) بمعنى (من) ﴿ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾.

* * *

﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ تقدم تفسيره في سورة المؤمنين.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ حافظون، وتقدم تفسيره. واختلاف القراء في (لِأَمانَاتِهِمْ) في سورة المؤمنين أيضاً [الآية: ٨].

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ ﴾ قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (بِشَهَادَاتِهِمْ) بألف بعد الدال على الجمع؛ لاختلاف الأنواع، والباقون: بغير ألف على الإفراد(١).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧١)، و«النشر في=

﴿قَآئِمُونَ﴾ يقيمونها عند الأحكام، فلا يكتمونها.

قال ﷺ: «إذا علمتَ مثلَ الشمس، فاشهدْ، وإلاَّ فَدَعْ»[1].

وتقدم معنى الشهادة في أول سورة المنافقين، وتقدم حكم تحمُّل الشهادة وأدائها وأخذ الأجرة عليها ومذاهب الأئمة في ذلك في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا﴾ [الآية: ٢٨٢].

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يداومون. واتفق القراء على الإفراد في (صَلاَتِهِمْ) هنا، وفي الأنعام[2]؛ بخلاف الحرف المتقدم في المؤمنين؛ لأنه لم يكتنفها فيهما ما اكتنفها في المؤمنين قبل وبعد؛ من تعظيم الوصف في المتقدم، وتعظيم الجزاء في المتأخر، فناسب لفظ الجمع، ولذلك قرأ به أكثر القراء، ولم يكن ذلك في غيرها، فناسب الإفراد، والله أعلم، وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين: للدلالة على فضلها، وإنافتها على غيرها.

* * *

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٤).

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف. انظر: «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٨).

(٢) «وفي الأنعام» زيادة من «ت».

﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴾ بثواب الله.

* * *

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وتقدم اختلاف القراء فيه في سورة الكهف عند قوله تعالى: (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ) ﴿ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴾ نحوك مسرعين مديمي النظر إليك. نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه، ويستهزئون به فقال الله لهم: مالهم ينظرون إليك، ويجلسون عندك، وهم لا ينتفعون بما يسمعون[١] ؟!

* * *

﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ فرقاً شتى.

* * *

﴿ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴾ نزلت لأن بعض الكفار قال: إن كان ثم آخرة وجنة، فنحن أهلها وفيها؛ لأن الله لم ينعم علينا في الدنيا بالمال والبنين وغير ذلك إلا لرضاه عنا. قراءة العامة: (يُدْخَلَ) بضم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٨٥). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٢).

الياء وفتح الخاء على بناء الفعل للمفعول، وقرأ المفضل عن عاصم: بفتح الياء وضم الخاء على بناء الفعل للفاعل[1].

* * *

﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردٌّ لقولهم وطمعهم؛ أي: ليس الأمر كذلك، ثم أخبر عن خلقهم فقال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ من النطف والعلق والماء المهين، وهم كافرون، فبم يفتخرون؟!

* * *

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ تقدم نظيره في سورة الواقعة، وهو ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الآية: ٧٥] ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ يعني: مشرق كل يوم من السنة ومغربه، وتقدم الكلام على قوله ﴿ وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ [الصافات: ٥] و﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: ١٧] في أول سورة الصافات، وهو قسم جوابه: ﴿ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾.

* * *

﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي: نهلكهم ونأتي بقوم أمثلَ منهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٤).

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أي: بعاجزين.

* * *

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) ﴾.

[٤٢] ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا ﴾ في دنياهم ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا ﴾ قرأ أبو جعفر: (يَلْقَوْا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف[1].

﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ فيه العذاب، ونسختها آية القتال.

* * *

﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) ﴾.

[٤٣] وتبدل من ﴿ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ القبور ﴿ سِرَاعًا ﴾ إجابة الداعي ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم: بضم النون والصاد، جمع نَصْب، وهي الأوثان، وقرأ الباقون: بفتح النون وإسكان الصاد، مفرد (نَصْب)[2]، وهو ما نُصب فعبد [من] دونِ الله ﴿ يُوفِضُونَ ﴾ يسرعون.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٥-٢٢٦).

﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ حال من ضمير ﴿ يَخۡرُجُونَ ﴾ ؛ أي : ذليلة خاضعة .

﴿ تَرۡهَقُهُمۡ ﴾ تظهر عليهم ﴿ ذِلَّةٞۚ ﴾ هوان ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا، والله أعلم .

* * *

سُورَةُ نُوحٍ

عليه السلام

مكية، وآيها: ثمان وعشرون آية، وحروفها: تسع مئة وتسعة وعشرون حرفاً، وكلمها: مئتان وأربع وعشرون كلمة.

عن أُبي بن كعب(١) ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ: «من قرأَ سورةَ نوح، كان من المؤمنين الذين تُدركهم دعوةُ نوح»(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾.

[١] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ واسمه عبد الغفار، وسمي نوحاً؛ لكثرة نوحه على نفسه، وصرف نوح مع عجمته وتعريفه؛ لخفته وسكون الوسط من حروفه، وتقدم ذكر نسبه وتاريخ مولده ومحل قبره في [سورة آل عمران، وتقدم ذكر الاختلاف في عمره حين بعثه الله إلى قومه في](٣) سورة

---

(١) «أبي بن كعب» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٣). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ٩٥).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

الأعراف، وتقدم ذكر تاريخ ركوبه في السفينة وخروجه منها وما بين الطوفان والهجرة الشريفة النبوية المحمدية في سورة هود، وتقدم ذكر المدة التي لبثها في قومه ينذرهم في سورة العنكبوت.

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ وكانوا يعبدون الأوثان.

﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ نصب؛ أي: بأن أنذر، وهي الناصبة للفعل.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عذاب الآخرة والطوفان إن لم يؤمنوا.

***

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾.

[٢] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أُنذركم وأُبين لكم.

***

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾.

[٣] ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ بطاعته ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من الإيمان. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (أَنُ اعْبُدُوا الله) بضم النون في الوصل، والباقون: بكسرها[١]، فمن قرأ بالضم اتباعاً لضمة الباء، وتركاً لمراعاة الحائل لخفة السكون، فهو كأن ليس ثَمَّ حائل، ومن قرأ بالكسر، فهو الأصل في التقاء الساكنين من كلمتين، **وقرأ** يعقوب: (وَأَطِيعُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[٢].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٩).

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ (مِنْ) زائدة؛ أي: يغفر ذنوبكم.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ معافَيْنَ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت موتكم بلا إهلاك.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ بتعذيبكم ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ فبادروا في أوقات الإمهال. قرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: (وَيُوَخِّرْكُمْ) (لاَيُوَخَّرُ) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز.

﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، لآمنتم.

***

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾.

[٥] فلما أيس من إيمانهم لما أخبر ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً متصلاً، نصب بـ(دَعَوْتُ).

***

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان، مفعول ثان لـ(دعوتُ). قرأ الكوفيون، ويعقوب: (دُعَائِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٠).

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ ذنوبهم[١] .

﴿ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ لئلا يسمعوا كلامي. قرأ الدوري عن الكسائي: (آذَانِهِمْ) بالإمالة، والباقون: بالفتح[٢] .

﴿ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ ﴾ تغطَّوا بها ﴿ وَأَصَرُّوا۟ ﴾ أقاموا على المعصية.

﴿ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ عن الإيمان ﴿ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ عظيماً.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ مصدر في موضع الحال؛ أي: مجاهِراً.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ ﴾ صوتي مراراً، وبالغت في إعلاني. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي أَعْلَنْتُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٣] .

---

(١) «ذنوبهم» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٠).

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (٢/ ٣٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٠).

﴿ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ ﴾ الكلامَ ﴿ إِسْرَارًا ﴾ بأن كلمتهم واحداً واحداً سراً؛ أي: نصحتهم بكل طريق.

* * *

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] وكان قد منع عنهم المطر، وعقمت نساؤهم، وغارت مياههم.

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾ من الشرك ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ للتائبين.

* * *

﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ كثير الدُّرور.

* * *

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ يكثر أموالكم وأولادكم ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين.

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ جارية، ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء، والاستسقاء: هو الدعاء بطلب السقيا على وجه مخصوص، فإذا أجدبت الأرض، وقحط المطر، سُنَّ الاستسقاء بالاتفاق.

واختلفوا في حكمه، فقال أبو حنيفة: لا صلاة في الاستسقاء، إنما الدعاء والاستغفار، وإن صلوا فرادى، فحسن، وقال صاحباه: يصلي الإمام بالناس ركعتين بلا أذان ولا إقامة كالعيد بالتكبيرات الزوائد عند محمد، وعند أبي يوسف: لا يكبر سوى تكبيرة الإحرام، وهو المشهور،

ثم يخطب واحدة، وقال مالك: يصلي ركعتين، يكبر في كل ركعة تكبيرة واحدة كسائر الصلوات، ثم يخطب خطبتين كالعيد، ويجعل بدل التكبير الاستغفار، وقال الشافعي: يصلي ركعتين كالعيد، ولا يختص بوقته، يكبر في الأولى بعد استفتاحه سبعاً، وفي الثانية بعد الرفع خمساً، ويرفع يديه في الجميع، ويخطب كالعيد، لكن يستغفر الله بدل التكبير، وقال أحمد: وقتها وصفتها وأحكامها كالعيد، فيصلي ركعتين، يكبر في الأولى بعد استفتاحه ستاً، وفي الثانية بعد الرفع خمساً، ويرفع يديه مع كل تكبيرة، ثم يخطب واحدة يفتتحها بالتكبير كالعيد، ويكثر فيها الاستغفار والدعاء.

والقراءة في الركعتين جهراً بالاتفاق.

ويستحب للإمام تحويل ردائه بعد أن يستقبل القبلة، ويفعل الناس كذلك عند الثلاثة؛ خلافاً لأبي حنيفة، وأجازه محمد بن الحسن للإمام فقط.

وإن خرج أهل الذمة، لم يمنعوا عند الثلاثة، ولم يختلطوا بالمسلمين، ولم يفردوا بيوم، ومنع أبو حنيفة وأصحابه من خروجهم.

* * *

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ لا تخافون لله عَظَمة.

* * *

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ تاراتٍ، حالاً بعد حال، نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم أتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي: مطابقة، جعل كلَّ واحدة طبقاً للأخرى.

***

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ وهو في السماء الدنيا؛ لأنه إذا كان في واحدة منهن، فهو فيهن.

قال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص: «إن الشمس والقمر أَقفاؤهما إلى الأرض، وإقبال نورهما وارتفاعه في السماء»(١)، وهو الذي يقتضيه لفظ (السِّراج).

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مصباحاً مضيئاً تبصَر فيه الأشياء، وضوء القمر أقوى من نور القمر، وقيل: الشمس في السماء الخامسة، وقيل: في الرابعة، وقال عبد الله بن عمر: «هي في الشتاء في الرابعة، وفي الصيف في السابعة»(٢).

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٧٥).

(٢) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٣٤): وهذا شيء لا يوقف على معرفته إلا من علم الهيئة.

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ استعارة من حيث أُخذ آدم ـ عليه السلام ـ من الأرض، ثم صار الجميع نابتاً منه، وقوله: ﴿ نَبَاتٗا ﴾ مصدر(١) واقع موقع إنبات؛ أي: فنبتُّم نباتاً.

* * *

﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا ﴾ مقبورين.

﴿ وَيُخۡرِجُكُمۡ ﴾ للبعث ﴿ إِخۡرَاجٗا ﴾ لموقف العرض والجزاء.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴾ بسيطة.

* * *

﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا ﴾ طرقاً ﴿ فِجَاجٗا ﴾ واسعة.

* * *

﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] فلما لم يطيعوه، ويئس نوح من إيمانهم ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي ﴾ لم يجيبوا دعوتي.

---

(١) «مصدر» زيادة من «ت».

﴿ وَٱتَّبَعُواْ ﴾ يعني: السفلة والفقراء ﴿ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ ﴾ هم الرؤساء منهم.

﴿ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ضلالاً في الدنيا، وعقوبة في الآخرة. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم بخلاف عنه: (وَوَلَدُهُ) بفتح الواو واللام، والباقون: بضم الواو وإسكان اللام، وهما بمعنى(١).

* * *

﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ أي: كبيراً عظيماً، وهو كذبهم على الله.

* * *

﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ أي: عبادتها ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر: (وُدّاً) بضم الواو، والباقون: بفتحها(٢).

﴿ وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ وهي أصنام كانت أعظم أصنامهم، فخصوا بالذكر، وكان الطوفان دفنها، فأخرجها الشيطان لمشركي العرب، فعبدت كلبٌ وَدّاً، وهمدان سُواعاً، ومذحج يغوث، ومراد يعوق، وحمير نسراً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٢).

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ ﴾ أي: الأصنام، وهو إخبار نوح عنهم، وهو منقطع مما حكاه عنهم، والمعنى: قد أضل هؤلاء ﴿ كَثِيرًا ﴾ من الناس.

روي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا، صَوَّرهم أهلُ ذلك العصر من حجر، وقالوا ننظر إليها، فنذكر أفعالهم، فهلك ذلك الجيل، وكبر تعظيم الآخر لتلك الحجارة، ثم كذلك حتى عبدت[1]، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها إلى قبائل العرب، ثم دعا نوح عليهم إلى الله تعالى فقال: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ هلاكاً، فأهلكوا، وذكر الظالمين؛ لتعم الدعوة كلَّ من جرى مجراهم.

* * *

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ ﴾ قرأ أبو عمرو: بفتح الطاء والياء وألف بعدهما من غير همز، وضمَّ الهاء مثل عَطاياهُم، وقرأ الباقون: (خَطِيئَاتِهِمْ) بكسر الطاء وياء ساكنة بعدها وبعد الياء همزة مفتوحة وألف وتاء مكسورة وكسر الهاء للإتباع[2]، وكلا القراءتين جمع خطيئة، و(ما) مزيدة للتأكيد والتفخيم، المعنى: من أجل خطيئاتهم.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٣).

﴿أُغۡرِقُواْ﴾ بالطوفان ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ وجاء بالفاء للإيذان أنهم عذبوا بالإحراق عقب الإغراق ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ أحداً يصرف عنهم بأس الله تعالى.

* * *

﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾.

[٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أحداً يدور في الأرض، وَديَّار أصله دَيْوار، وهو فَيْعال من الدوران؛ أي: من يجيء ويذهب.

وروي أن نوحاً ـ عليه السلام ـ لم يدع بهذه الدعوة إلا من بعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم، وأعقم أرحام النساء قبل العذاب بسبعين سنة(١).

* * *

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح، فيقول: احذر هذا؛ فإنه كذاب، وإن أبي حَذَّرنيه، فيموت الكبير، وينشأ الصغير عليه.

﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا﴾ مائلاً عن الحق.

﴿كَفَّارٗا﴾ عظيمَ الكفر، قال ذلك لما علم حالهم؛ لمكثه ألف

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٩)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٧٧).

سنة إلا خمسين عاماً ينذرهم وهم لا يؤمنون، فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم، ولم يكن فيه صبي وقت العذاب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٧]، ولم يوجد التكذيب من الأطفال.

* * *

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ اسم أبيه لامخ وقيل لمك بن متوشلح، وأمه شمخاء بنت أنوش، وكانا مؤمنين، [وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: لا تلدُ الحيةُ إلا حية](١)، قال ابن عباس: لم يكفرْ لنوحٍ أبٌ ما بينه وبين آدم عليه السلام(٢).

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ أي: داري ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ تعميم بالدعاء لمؤمني كل أمة. قرأ هشام عن ابن عامر، وحفص عن عاصم: (بَيْتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٣).

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ هلاكاً، وذهابَ رسم، فاستجاب الله دعوته، وأهلكهم، والله أعلم.

* * *

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٣٤٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٤).

سورة الجن

مكية، وآيها: عشرون وثماني آيات، وحروفها: سبع مئة وتسعة وخمسون حرفاً، وكلمها: مئتا كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ①﴾.

[١] ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أصله وحي؛ من وحي إليه، فقلبت الواو همزة لضمها.

﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وكانوا تسعة من جن نصيبين اليمن، استمعوا قراءة النبي ﷺ، وتقدم ذكر أسمائهم وقصتهم وحكمهم في سورة الأحقاف، والجن أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية أو الهوائية.

﴿فَقَالُوا﴾ لما رجعوا إلى قومهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ بليغاً؛ لأنهم تعجبوا من حسنه وغزارة معانيه. قرأ ابن كثير: (قُرَانًا) بالنقل، والباقون: بالهمز(١).

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٧).

﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ .

[٢] ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ يدعو إلى الإيمان ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ ﴾ بالقرآن .

﴿ وَلَن نُّشْرِكَ ﴾ بعد اليوم ﴿ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ وفيه دلالة على أنه ﷺ لم يرهم، ولم يقرأ عليهم، وإنما اتفق حضورهم وقت قراءته، فسمعوها، فأخبر الله به نبيه .

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ .

[٣] ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أي جلالُ ربنا وعظمتُه[١]، والجَدُّ: البخت والحظ، والمعنى: تعاظم جلاله وقدرته عن المحدَثات .

﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ اختلف القراء في (أَنَّهُ تَعَالَى) وما بعدها إلى قوله (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ)، وتلك اثنتا عشرة همزة، فقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بفتح الهمزة فيهن، وافقهم أبو جعفر في ثلاثة: (وَأَنَّهُ تَعَالَى)، (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ)، (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ)، وقرأ الباقون: بكسرها في الجميع[٢]، فمن كسر، استأنف فوقف على أواخر الآيات، ومن فتح، عطف على أنه عطف على (أَنَّهُ اسْتَمَعَ)، واتفقوا على فتح (أَنَّهُ اسْتَمَعَ)، (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ)؛ لأنه لا يصح أن يكون من قولهم، بل هو مما أوحى الله إليه ﷺ، بخلاف الباقي؛ فإنه يصح أن يكون

---

(١) «وعظمته» زيادة من «ت» .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٧_٢٤٠) .

من قولهم، ومما أوحى، والله أعلم. وأبو عمرو يدغم الذال في الصاد من قوله: (مَا اتَّخَذ صَّاحِبَةً)(١).

* * *

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلُنا إبليس ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ كذباً وعدواناً.

* * *

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ حَسِبْنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ المعنى: كان في ظننا أن أحداً لا يكذب على الله بنسبة الزوجة والولد إليه. قرأ يعقوب: (تَقَوَّلُ) بفتح القاف والواو مشددة، والباقون: بضم القاف وإسكان الواو مخففة(٢). إلى هنا تم الكلام.

* * *

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾.

[٦] وابتدأ كلام الله سبحانه، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٩ـ٢٤٠).

فأمسى في أرض قفرة، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح.

﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: زاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم.

﴿رَهَقًا﴾ طغياناً وسفهاً؛ بأن قالوا: سُدْنا الجنَّ والإنسَ.

* * *

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ أي: الجنَّ ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا كفار الإنس.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

* * *

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾.

[٨] ثم رجع إلى قول الجن، وهو قوله: ﴿وَأَنَّا﴾ أي: تقول الجنُّ: إنا.

﴿لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طلبنا بلوغ السماء، واللمس مستعار من المس: الطلب؛ كالجس.

﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ﴾ قرأ أبو جعفر: (مُلِيَتْ) بفتح الياء بغير همز، والباقون: بالهمز[١] ﴿حَرَسًا شَدِيدًا﴾ من الملائكة يحرسون ﴿وَشُهُبًا﴾ من النجوم محرقة.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤١).

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا ﴾ أي: السماء ﴿ مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ فيه إيذان بخلو بعض السماء من الحرس قبل بعثة النبي ﷺ، فلما بُعث، منعوا منها بالكلية، يدل عليه: ﴿ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ المعنى: كنا قبل نستمع.

﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ صفة لـ(شِهَاباً)؛ أي: أُرصد، يعني: أُعِدَّ له ليرمى به.

***

﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بحراسة السماء.

﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ خيراً.

***

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ المؤمنون الأبرار ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: قوم دون ذلك، وهم المقتصدون.

﴿ كُنَّا طَرَآئِقَ ﴾ مذاهب ﴿ قِدَدًا ﴾ فرقاً مختلفة الأهواء، والقدة: القطعة من الشيء.

***

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ ﴾ أيقنّا ﴿ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ ﴾ كائنين ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أينما كنا .

﴿ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴾ أي : هاربين منها إلى السماء .

* * *

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ القرآنَ ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ ﴾ أي : فهو لا يخاف ، مبتدأ وخبر ، وليس بنهي ، ولو كان نهياً ، لقيل : فلا يخف .

﴿ بَخۡسٗا ﴾ نقصاً ﴿ وَلَا رَهَقٗا ﴾ ظلماً .

* * *

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ ﴾ وهم من آمن بمحمد ﷺ ﴿ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ ﴾ الجائرون ، وهم الذين جعلوا لله نداً ، يقال : أقسط الرجل : إذا عدل ، فهو مُقْسِط ، وقَسَطَ : إذا جار ، فهو قاسِط .

﴿ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ ﴾ توخَّوا وتعمَّدوا ﴿ رَشَدٗا ﴾ خيراً وهداية .

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ توقد بهم يوم القيامة . إلى هنا من كلام الجن .

* * *

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ثم قال الله تعالى إخباراً عن الكفار : ﴿ وَأَلَّوِ ﴾ (وَأَنْ) مخففة من الثقيلة ، تقديره : (وَأَنَّهُ لَو) ﴿ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ طريقة الإسلام .

﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ كثيراً ، وذلك بعد ما رُفع عنهم المطر سبع سنين .

* * *

﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ ﴾ لنختبرهم كيف يشكرون ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ ﴾ عن عبادته ﴿ يَسْلُكْهُ ﴾ ندخله . قرأ الكوفيون ، ويعقوب : (يَسْلُكْهُ) بالياء ؛ أي : يُدخله ربه ، وقرأ الباقون : بالنون التي للعظمة[١] ﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ شاقاً .

* * *

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ ﴾ المبنية للصلاة ﴿ لِلَّهِ ﴾ تُفرد للصلاةِ والدعاءِ

---

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٥٦) ، و«التيسير» للداني (ص : ٢١٥) ، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٥) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٤) .

وكلّ ما هو خالص لله تعالى، ولا يُجعل فيها لغير الله نصيب، وتقدم الكلام في حكم المسجد وصيانته وتحريم البصاق فيه في سورة التوبة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [الآية: ١٨].

وأما حكم القاضي في المسجد، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يجوز؛ لأن رسول الله ﷺ كان يقضي بين الخصوم في المسجد، وكذا الخلفاء الراشدون بعده، ومذهب الشافعي: يُكره كراهة تنزيه، فلو اتفقت قضية أو قضايا وقت حضوره في المسجد لصلاة أو غيرها، فلا بأس بفصلها، وأما الحدود، فلا تقام في المساجد بالاتفاق.

﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ فلا تعبدوا فيها غيره سبحانه.

***

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ثم رجع عن الإخبار عن الكفار إلى الإخبار عن الجن، فقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ ﴾ قرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الهمزة، والباقون: بفتحها(١) ﴿ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ هو محمد ﷺ ﴿ يَدْعُوهُ ﴾ يعبد الله تعالى، ويقرأ القرآن بنخلة عند سوق عكاظ.

﴿ كَادُوا۟ ﴾ يعني: الجن، وهم النفر الذين جاؤوه من جن نصيبين.

﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ أي: يركب بعضهم بعضاً، يزدحمون حرصاً على

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٤-٢٤٥).

سماع القرآن. قرأ هشام عن ابن عامر: (لُبَداً) بضم اللام؛ كحُطَم، واحد يدل على الكثرة، وقرأ الباقون: بكسرها[1]؛ كمِعَد، جمع لِبْدَة، وهي الجماعة.

***

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿قُلْ﴾ قرأ أبو جعفر، وعاصم، وحمزة: (قُلْ) بغير ألف على الأمر؛ أي: قل للمتظاهرين عليك، وقرأ الباقون: بالألف على الخبر[2]، يعني: قال رسول الله ﷺ، وهو يرجع إلى قوله: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ).

﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ إلهاً معبوداً.

﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ في العبادة وغيرها، فلم تتظاهرون علي؟!

***

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ غياً.

﴿وَلَا رَشَدًا﴾ خيراً، وإنما هو تعالى المالك لذلك.

***

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته.

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٦).

﴿ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ ملجأ.

* * *

﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] وتستثنى من ﴿ لَآ أَمْلِكُ ﴾ إلى ﴿ رَشَدًا ﴾ ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ وتعطف على ﴿ بَلَٰغًا ﴾ ﴿ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ ﴾ المعنى: لا أملك إلا تبليغَ الرسالة.

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فلم يؤمن ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ جمعه للمعنى.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ ﴾ فيه إضمار معناه: انتظرهم يا محمد، وأمهلهم حتى إذا رأوا، يعني: المشركين ﴿ مَا يُوعَدُونَ ﴾ من العذاب.

﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ عند حلوله بهم ﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ أعواناً هم أم المؤمنون.

* * *

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ ﴾ أي: ما أدري ﴿ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ من العذاب.

﴿ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴾ أجلاً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير،

وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ رفع على نعت قوله: (رَبِّي).

﴿ فَلَا يُظْهِرُ ﴾ لا يُطْلع.

﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ مما يختص به علمه.

* * *

﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ أي: اصطفى ﴿ مِن رَّسُولٍ ﴾ فإنه يظهره على ما يشاء مما هو قليل من كثير.

﴿ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ ﴾ يسير ﴿ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ يدي الرسول.

﴿ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ حَفَظَة من الملائكة يحرسونه من الشيطان.

* * *

﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: بضم الياء؛ أي: ليُعلم الناسَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٧).

أن الرسل قد بلغوا، وقرأ الباقون: بفتح الياء[1]؛ أي: ليعلمَ الله.

﴿أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ﴾ أي: الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ والآية مضمنة أنه تعالى قد علم[2] ذلك، فعلى هذا الفعل المتضمن انعطف.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ أي: علم ما عند الرسل، وأحاط علمه به. قرأ حمزة، ويعقوب: (لَدَيْهُمْ) بضم الهاء، والباقون: بكسرها[3].

﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ أي: معدوداً محصوراً، فلم يخف عليه شيء، ونصب (عدداً) على الحال، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٨).

(٢) «قد علم» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٨).

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

مكية إلا قولَه تعالى: ﴿۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ﴾ إلى آخر السورة؛ فإن ذلك نزل بالمدينة، آيها: عشرون آية، وحروفها: ثماني مئة وثمانية وثلاثون حرفاً، وكلمها: مئة وسبع كلمات.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾.

[١] روي أن رسول الله ﷺ لما جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ في غار حراء، وحاوره بما حاوره، ورجع رسول الله ﷺ إلى خديجة ـ رضي الله عنها ـ فقال: «زَمِّلوني زملوني»، فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾(١) أصله: المتزمل، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: معناه: الملتفِّفُ بثوبه، يقال: تزمَّلَ بثوبه: إذا تغطَّى به.

---

(١) انظر: قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/١٠٨): قلت: غريب.
وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/٣٨٦): جمهور المفسرين والزهري بما في البخاري من أنه عليه السلام لما جاءه الملك في غار حراء وحاوره بما حاوره، رجع رسول الله ﷺ إلى خديجة فقال: «زملوني زملوني»، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾. وعلى هذا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾.

﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ .

[٢] ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ ﴾ للصلاة، ونصبه ظرف، وكسر الميم للساكنين.

﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وكان قيام الليل فريضة في الابتداء.

* * *

﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] وبيَّن قَدْرَه فقال: ﴿ نِّصْفَهُۥٓ ﴾ ظرف أيضاً.

﴿ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ ﴾ من النصف ﴿ قَلِيلًا ﴾ إلى الثلث.

* * *

﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ على النصف إلى الثلثين، خَيَّره بين هذه المنازل. **قرأ** عاصم، وحمزة، ويعقوب: (أَوِ انْقُصْ) بكسر الواو، والباقون: بضمها[١] ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ أي: بينه تبييناً.

سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت مَدّاً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم»[٢].

* * *

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ هو القرآن؛ لما فيه من الأوامر والنواهي والحدود.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥١).

(٢) رواه البخاري (٤٧٥٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: مد القراءة.

وسئل ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ قال: «أحياناً يأتيني مثلَ صلصلةِ الجرس، وهو أشدُّه عليَّ، فيفصم عني وقد وعيتُ ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملَكُ رجلاً يكلمني، فأعي ما يقول».

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فينفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً(١).

والخطاب الخاص بالنبي ﷺ كـ(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) ونحوه عام للأمة، إلا بدليل يخصه، وهذا قول أحمد والحنفية والمالكية، وقال أكثر الشافعية: لا يعمهم إلا بدليل، وخطابه ﷺ لواحد من الأمة هل يعم غيره؟ قال الشافعي والحنفية والأكثر: لا يعم، وقال أبو الخطاب من أئمة الحنابلة: إن وقع جواباً، عمَّ، وإلا فلا.

* * *

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته كلها، وناشئة جمع ناشى، سميت بذلك؛ لأنها تنشأ؛ أي: تبدو، فكل ما حدث بالليل وبدأ فقد نشأ، وقيل: إن (ناشئة) حبشية معربة.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر (وِطَآءً) بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها؛ أي: أثبتُ قياماً، وقرأ الباقون: بفتح الواو وإسكان الطاء من غير مد، وإذا وقف حمزة، نقل حركة الهمزة إلى الطاء، فحركها

---

(١) رواه البخاري (٢)، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (٢٣٣٣)، كتاب: الفضائل، باب: عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد، من حديث عائشة رضي الله عنها.

على أصله[1]، معناه: أشد وأثقل على المصلي من صلاة النهار.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أصحُّ قولاً؛ لهدوء الناس، وسكون الأصوات.

* * *

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ تصرُّفاً وتقلُّباً في مهماتك وشغلك كما يتردد السابح في الماء.

* * *

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾.

[٨] ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطعْ إليه عما سواه، وأخلص له إخلاصاً.

* * *

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾.

[٩] ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ قرأ ابن عامر، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (رَبِّ) بخفض الباء على نعت الرب في قوله: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ)، وقرأ الباقون: بالرفع على الابتداء[2]، وتقدم

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥٣-٢٥٤).

الكلام على قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ و﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] و﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [الصافات: ٥] في أول سورة الصافات.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: فوض إليه أمرك.

* * *

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني: قريشاً ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ وهو ألاَّ تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم، ونسختها آية القتال.

* * *

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ وعيد لهم؛ أي: لا تشتغل بهم فكراً، وكِلْهم إلي.

﴿أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ بفتح النون: أي: التنعيم، وبكسرها؛ أي: الإنعام، وبضمها: المسرة، والتلاوة بالأول ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾ إمهالاً ﴿قَلِيلًا﴾ فلم يكن إلا اليسير حتى قتلوا ببدر.

* * *

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ قيوداً ثقالاً، كلما ارتفعوا بها في جهنم، استفلَتْ بهم ﴿وَجَحِيمًا﴾ ناراً محرقة.

* * *

﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ ينشب في حلوقهم، فلا يسوغ فيها.

﴿ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ زيادة على تعذيبهم.

* * *

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ يَوْمَ ﴾ العامل فيه الفعل الذي تضمنه ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ ﴾ المعنى: استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم ﴿ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ تتحرك وتتزلزل لهول ذلك اليوم.

﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا ﴾ رملاً ﴿ مَّهِيلًا ﴾ سائلاً بعد اجتماعه.

* * *

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ رَسُولًا ﴾ هو محمد ﷺ.

﴿ شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يوم القيامة بالكفر والإيمان ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾.

* * *

﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] نكر الرسول، ثم دخل حرف التعريف في ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ ليعود المعرف على المنكر بعينه، وهو موسى ـ عليه السلام ـ، وتمثيلُه لهم أمرَهم بفرعون وعيدٌ؛ كأنه يقول: فحالُهم من العذاب والعقاب إن كفروا صائرة[1] إلى مثل حال فرعون.

---

(١) في «ت»: «سائرة».

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ شديداً ثقيلاً.

* * *

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ ﴾ أنفسكم ﴿ إِن كَفَرْتُمْ ﴾ بقيتم على الكفر.

﴿ يَوْمًا ﴾ مفعول ﴿ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ لا ظرفاً لـ ﴿ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ ثم لأن الكفر لا يكون يوم.

﴿ يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ جمع أشيب، وهو الأبيض الرأس.

* * *

﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ ﴾ منشق ﴿ بِهِۦ ﴾ يعني: باليوم؛ لشدته، وبما عليه من الملائكة؛ كانفطار الخشبة بالقدوم، ولم يقل: منفطرة؛ لأن السماء تذكر وتؤنث، فمن ذكر، ذهب إلى المعنى؛ لأن معناها السقف؛ لقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، ومن أنث، ذهب إلى اللفظ.

﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ ﴾ تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿ مَفْعُولًا ﴾ كائناً بلا بد.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ الآياتِ المخوفة ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ عظةٌ.

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ بالإيمان.

* * *

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ ﴾ أقلَّ[١] ﴿ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (ثُلْثَي) بإسكان اللام، والباقون: بضمها ﴿ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ قرأ ابن كثير، والكوفيون: بنصب الفاء والثاء وضم الهاءين عطفاً على (أَدْنَى)؛ أي: وتقوم نصفه وثلثه، وقرأ الباقون: بخفض الفاء والثاء وكسر الهاءين عطفاً على (ثُلُثَي)[٢]؛ أي: وتقوم أقلَّ من ثلثي الليل ومن نصفه ومن ثلثه.

﴿ وَطَآئِفَةٌ ﴾ أي: تقوم أنت وتقوم طائفة ﴿ مِّنَ ﴾ أصحابك ﴿ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ ﴾ يعني: المؤمنين، وكانوا يقومون معه.

﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ ﴾ [فيعرف مقادير جميع ذلك ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ لن تطيقوا معرفة ذلك ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ فعاد عليكم بالعفو والتخفيف بترك ما فرض من قيام الليل][٣].

---

(١) «أقل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٩٥-٤٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥٥).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ من غير توقيت لصلاة، وقيل: القرآن هنا: الصلاة، عبر عنها به؛ لأنه بعض أركانها، ونسخ بالصلوات الخمس، ثم أومأ إلى علة النسخ فقال: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ ﴾ فيثقل عليهم قيام الليل، و(أَنْ) مخففة من الثقيلة؛ أي: علم أنه سيكون.

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ يسافرون للتجارة ﴿ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: رزقه ﴿ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: يجاهدون لا يطيقون قيام الليل.

﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ ﴾ أي: القرآن، كان هذا في صدر الإسلام، ثم نُسخ بالصلوات الخمس، وذلك قوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضة ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ الواجبة.

﴿ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ ﴾ هو الإنفاق في سبل الخير غير المفروض.

﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ﴾ مما تؤخّرونه إلى الوصية، ونصب (خَيْراً) (وَأَعْظَمَ) على المفعول الثاني لـ(تَجِدُوهُ)، فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين.

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ ﴾ لذنوبكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ كان السلف الصالح يصلون إلى طلوع الفجر، ثم يجلسون للاستغفار إلى صلاة الصبح، والله أعلم.

* * *

سورة المدثر

مكية، وآيها: ست وخمسون آية، وحروفها: ألف وعشرة أحرف، وكلمها: مئتان وخمس وخمسون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾.

[١] روي أن رسول الله ﷺ قال: «كنتُ على جبل حِراء، فنوديت: يا محمد! إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري، فلم أر شيئاً، فنظرت فوقي، [فرأيت شيئاً، وفي رواية: فنظرت فوقي][١]، فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض ـ يعني: الملك الذي ناداه ـ، فرعبت، ورجعت إلى خديجة، فقلت: دَثِّروني دَثِّروني، فنزل جبريل وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾»[٢]، الكلام فيه كـ(الْمُزَّمِّل)؛ أي: المتلفِّف بثوبه، من الدثار، وهو ما فوق الشعار الذي يلي الجسد، وقيل: هي أول سورة نزلت، والأصح أن أول ما نزل:

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) رواه البخاري (٤٦٣٨)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المزمل، ومسلم (١٦١)، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه.

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق: ١] كما ورد به الحديث الصحيح(١).

* * *

﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ قُمۡ ﴾ من مَضْجَعِك ﴿ فَأَنذِرۡ ﴾ خوِّف الكفارَ النارَ إن لم يؤمنوا.

* * *

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴾ عَظِّمْه مما يقول عبدة الأوثان.

* * *

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ وَثِيَابَكَ ﴾ أي: نفسك ﴿ فَطَهِّرۡ ﴾ من الذنب، قال ابن عباس: «لا تلبَسْها على معصية ولا غدر، البسها وأنت طاهر»(٢)، وقيل: معناه: ثيابك فقصر؛ لأن تقصيرها طهرة لها؛ لأن العرب كانوا يجرون ثيابهم فخراً وخيلاء، فربما أصابتها نجاسة.

* * *

﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ وَٱلرُّجۡزَ ﴾ قرأ أبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: بضم الراء، والباقون: بكسرها(٣)، وهما لغتان معناهما واحد، كالذِّكر والذُّكر،

---

(١) انظر: تخريج الحديث المتقدم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٤٥)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٩٣).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥٩).

والمراد: الأوثان، وقيل: الضم للصنم، والكسر للنجاسة ﴿فَٱهْجُرْ﴾ لا تقربها.

* * *

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ لا تُعط مالكَ مصانعةً لتُعطى أكثر منه، و(تَسْتَكْثِرُ) رفع لأنه مستقبل في معنى الحال؛ أي: لا تعط مستكثراً، قال الضحاك: وهذا خاص بالنبي ﷺ، ومباح لأمته، لكن لا أجر لهم فيه(١).

* * *

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ أي: لأمره ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على الطاعة.

* * *

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾.

[٨] ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، يعني: النفخة الثانية.

* * *

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾.

[٩] ﴿فَذَٰلِكَ﴾ أي: وقت النقرة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ شديد.

* * *

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٣٦٤).

﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يعسر فيه الأمر عليهم .

﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ هين، تأكيد، وفيه إشعار بيسره على المؤمنين .

* * *

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ونزل في الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان يسمى : الوحيد في قومه[(١)] أي : لا نظير له في ماله وشرفه في بيته ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ أي : خلقته من بطن أمه فريداً لا مال له ولا ولد .

* * *

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ثم أنعمت عليه ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ كثيراً له مدد بالنماء؛ كالزرع والضرع والتجارة .

* * *

﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ حضوراً بمكة، لا يغيبون، وكانوا عشرة أو أكثر .

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٢). وانظر : «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٢) .

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴾ ببسط في[1] العيش وطول العمر والولد بسطاً .

* * *

﴿ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ ﴾ .

[١٥] ﴿ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴾ له من المال والولد .

* * *

﴿ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ ﴾ .

[١٦] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردع له عن الطمع ، ثم علل الردع على سبيل الاستئناف فقال :

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا ﴾ القرآن .

﴿ عَنِيدٗا ﴾ معانداً ، فما زال الوليد بعد هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك .

* * *

﴿ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ ﴾ .

[١٧] ﴿ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ سأكلفه مشقة من العذاب .

* * *

---

(١) في «ت» : «بسطت له في» .

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ ماذا يقول في القرآن لما سمعه من النبي ﷺ، وكان يقرأ ﴿حمٓ﴾ السجدة، فقال لقومه بني مخزوم: سمعت منه كلاماً ما هو بكلام إنس ولا جن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق[(١)]، فلم يرض قومه بذلك ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقوله قدحاً[(٢)] وهيأه.

***

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿فَقُتِلَ﴾ لُعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره، واستهزاء به.

روي أنه لما قال ما قال حين سمع القرآن، قالت قريش: صبأ الوليد، والله لتصبأن قريش كلهم، وكان يقال للوليد: ريحانة قريش، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إلى الوليد حزيناً، وكلمه بما أحماه، فقام الوليد فناداهم، فقال: تزعمون أنه مجنون، فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون: إنه كاهن، فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً؟ فقالوا: لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: إنه[(٣)] ساحر، فقال[(٤)]: أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٣)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٢/ ٢٤٥).

(٢) «ما يقوله قدحاً» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «ما هو إلا».

(٤) «فقال» زيادة من «ت».

وولده ومواليه؟ ففرحوا بقوله، وتفرقوا متعجبين منه[1].

* * *

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تكرير للمبالغة.

* * *

﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجوه الناس؛ ليعلم ما عندهم.

* * *

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ كلح وجهه وكرَّهه ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في الكلوح.

* * *

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عن الإيمان واتباع محمد ﷺ.

* * *

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا﴾ الذي يقول محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يروى عن السحرة.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٧٣)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٦٥١).

﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴾ يعني : يساراً وجبراً ، وهما عبدان من بلد فارس كانا بمكة ، وكان رسول الله ﷺ يجلس عندهما ، فقال الوليد : ما هذا القرآن إلا قول جبر ويسار .

* * *

﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ سَأُصۡلِيهِ ﴾ سأدخله ﴿ سَقَرَ ﴾ اسم من أسماء جهنم ، وهو بدل من ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُوداً﴾ ، ولم ينصرف للتعريف والتأنيث .

* * *

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ هو تعظيم لشأنها .

* * *

﴿ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ شيئاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته ، ثم يعود كما كان .

* * *

﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلۡبَشَرِ ﴾ مغيرة للجلد حتى تجعله أسود .

* * *

﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ ﴾ .

[٣٠] ﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾ هم خزنتها: مالك، ومعه ثمانية عشر على بابها، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهيب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نزعت منهم الرحمة، يدفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد في جهنم. قرأ أبو جعفر: (تِسَعْةَ عْشَرَ) بفتح السين وإسكان العين الأولى والثانية لتوالي الحركات[1].

* * *

﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١ ﴾ .

[٣١] ولما نزلت هذه الآية، قال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة، وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين، فنزل تجهيلاً لهم: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ ﴾[2] لا يطاقون، وليسوا كما يتوهمون.

﴿ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ ﴾ تسعة عشر ﴿ إِلَّا فِتۡنَةٗ ﴾ ضلالاً.

﴿ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بأن يقولوا استهزاءً: لم كانوا تسعة عشر؟

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٦٢ـ٢٦٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٥).

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم اليهود صِدْقَ محمد؛ لأن عددهم في التوراة تسعة عشر[1]، وتعطف على ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَٰنًا﴾ تصديقاً؛ لموافقة محمد كتابهم، ثم بالغ في نفي احتمال الشك، فعطف على ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾، فقال:

﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من غيرهم في عدد الملائكة، ثم عطف على ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ أيضاً.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك بالمدينة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بمكة.

﴿مَاذَآ﴾ أيّ شيء الذي ﴿أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العدد المستغرب ﴿مَثَلًا﴾ استبعاداً أن يكون هذا من عند الله، والمراد بالمثل: الحديث نفسه.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة، وهدى من صدَّقَ.

﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ولما قال أبو جهل: أما كان لمحمد أعوان إلا تسعة عشر؟!

نزل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾[2] من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار ﴿إِلَّا هُوَ﴾ ثم رجع إلى ذكر سقر.

فقال: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِلْبَشَرِ﴾.

* * *

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] وقوله: ﴿كَلَّآ﴾ رد على الكافرين وأنواع الطاغين على الحق، ثم

---

(١) «تسعة عشر» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٥٠٦).

أقسم تعالى فقال: ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾ تخصيص تشريف وتنبيه على النظر في عجائبه، وقدرة الله تعالى في حركاته المختلفة التي هي مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يخل.

* * *

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ **قرأ** نافع، ويعقوب، وحمزة، وخلف، وحفص عن عاصم: (إِذْ) بإسكان الذال من غير ألف (أَدْبَرَ) بهمزة مفتوحة وإسكان الدال بعدها على وزن أَفْعَلَ، **وقرأ** الباقون: (إِذَا) بألف بعد الذال (دَبَرَ) بفتح الدال من غير همز قبلها على وزن فَعَلَ[١]، ومعناهما واحد؛ أي: ولى ذاهباً.

* * *

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أضاء وتبيَّنَ.

* * *

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] وجواب القسم: ﴿إِنَّهَا﴾ أي: سقر[٢].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/٥٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٢٦٣).

(٢) «أي: سقر» زيادة من «ت».

﴿ لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾ جمع كُبْرى؛ أي: البلايا العِظام.

* * *

﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ ونصب (نَذِيراً) حال؛ أي: إنها لكبيرة في حال الإنذار، وذكَّر (نذيراً)، لأنه بمعنى العذاب، قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها[1].

* * *

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] وتبدل من ﴿ ٱلْحَيَوٰةُ ﴾ ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ ﴾ أن يسبق إلى الخير.

﴿ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ عنه إلى الشر؛ نحو: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] وهو أمر وعيد وتهديد.

* * *

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ أي: رهنٌ بعملها في النار، والهاء في (رَهِينَةٌ) للمبالغة، أو على تأنيث اللفظ، لا على معنى الإنسان، ولو كانت صفة، لقيل: رهين.

* * *

﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴾ هم الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق،

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٧٦)، و«تفسير القرطبي» (١٩/ ٨٥).

وهو استثناء[1] ظاهره الانفصال، وتقديره: لكن أصحاب اليمين، وذلك لأنهم لم يكتسبوا ما هم مرتهنون به.

* * *

﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠﴾.

[٤٠] ﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ بينهم.

* * *

﴿عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١﴾.

[٤١] ﴿عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ ماذا حل بهم؟

* * *

﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢﴾.

[٤٢] فإذا خرج الموحدون من النار، قال المؤمنون لمن فيها، وذلك أن الله أطلع أهل الجنة في الجنة حتى رأوا أهل النار وهم في النار، فسألوهم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾ أدخلكم.

﴿فِي سَقَرَ﴾ قرأ أبو عمرو: (سَلَكّكُمْ) بإدغام الكاف، في الكاف والباقون: بالإظهار.

* * *

﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣﴾.

[٤٣] فأجاب الكفار و﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ لله تعالى.

---

(١) «استثناء» زيادة من «ت».

﴿ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴾ ولا نحض على إطعامه.

* * *

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴾ ندخل في الباطل مع المبطلين.

* * *

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ البعث.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴾ الموت[1].

* * *

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] قال الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين.

* * *

---

(١) «الموت» زيادة من «ت».

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ ﴾ مواعظِ القرآن[١] ﴿ مُعْرِضِينَ ﴾ نصب على الحال.

***

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ ﴾ جمع حمار ﴿ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: بفتح الفاء؛ أي: استنفرها غيرُها، وقرأ الباقون: بكسرها[٢]؛ أي: طلبت النفار من نفسها؛ لشدة خوفها.

***

﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ هم الرماة الذين يتصيدون.

***

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ولما قالوا للنبي ﷺ: إن سرك أن نتبعك، فليصبح عند رأس كل منا كتاب منشور من الله تعالى إلى فلان نؤمر فيه باتباعك، نزل:

---

(١) «مواعظ القرآن» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٠)، و«تفسير البغوي» (٤/٥٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٦٥_٢٦٦).

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا﴾[1] قراطيس ﴿ مُّنَشَّرَةً﴾ تنشر وتقرأ.

* * *

﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردع عن اقتراحهم الآيات ﴿ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ لأنهم لو خافوا النار، لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة.

* * *

﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردع عن إعراضهم، ثم ابتدأ فقال: ﴿ إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآنَ ﴿ تَذْكِرَةٌ﴾ عظة.

* * *

﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ اتعظ به.

* * *

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ ﴾ قرأ نافع: (تَذْكُرُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٧١)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٦٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٦٦).

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ لهم الهدى .

﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ بأن يُتقى ويُطاع ويُحذر عصيانه .

﴿ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ بأنْ يغفرَ لعباده إذا اتقوه ، والله أعلم .

* * *

سُورَةُ القِيَمَة

مكية، وآيها: أربعون آية، وحروفها: ست مئة واثنان وخمسون حرفاً، وكلمها: مئة وتسع وتسعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾.

[١] ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ تقدم مذهب السوسي في إسكان الميم من (أُقْسِمْ) في سورة الواقعة [الآية: ٧٥]، وقرأ قنبل عن ابن كثير: (لَأُقْسِمُ) الحرف الأول فقط بحذف الألف التي بعد اللام، فتصير لام توكيد، واختلف عن البزي، وقرأ الباقون: بالألف(١)، فتكون لام الابتداء، و(أقسم) خبر مبتدأ محذوف معناه: لأنا أقسم ﴿بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أقسم الله به تنبيهاً منه لعظمته وهوله.

***

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ التي لا تزال تلوم نفسها في الدنيا، وإن

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧).

اجتهدت في الإحسان، وهو قسم كالأول على الصحيح، ولا خلاف بين القراء في إثبات الألف التي بعد اللام فيه، و(النَّفْس) في الآية اسم جنسٍ لنفوس البشر.

***

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾.

[٣] وجواب القسم مضمر فيه، تقديره: لَتُبْعَثُنَّ، يدل عليه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الذي ينكر البعث ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بعدَ تفرُّقها. قرأ ابن عامر، وحمزة، وأبو جعفر: (أَيَحْسَبُ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[١].

***

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿بَلَىٰ﴾ هو إيجاب ما نفي، والمعنى: بلى نجمعها.

﴿قَٰدِرِينَ﴾ نصب على الحال ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ والبنان: الأصابع؛ أي: نضمها على صغرها ولطافتها بعضَها على بعض كما كانت من غير نقصان، وقيل: معناه: نجعلها في حياته هذه شيئاً واحداً كخف البعير، فلا يقدر على عمل لطيف كالكتابة، فتقل منفعته بيده، ففي هذا توعُّد ما.

***

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ يكذب بما قُدَّامه من البعث.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧).

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾.

[٦] ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ متى[١] ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سؤالَ استهزاء وتكذيب.

***

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾.

[٧] ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (بَرَقَ) بفتح الراء؛ أي: شَقَّ عينَه وفتَحها؛ من البريق، وهو التلألؤ، وقرأ الباقون: بكسرها[٢]؛ أي: شَخَصَ عند الموت، فلا يطرف؛ مما يرى من العجائب.

***

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾.

[٨] ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ الخسوف والكسوف معناهما واحد، وهو ذهاب ضوء أحد النَّيرين أو بعضه.

وصلاة الكسوف سنة[٣] مؤكدة بالاتفاق، فإذا كسفت الشمس أو القمر، فزعوا للصلاة.

واختلفوا في صفتها، فقال أبو حنيفة: صلاة كسوف الشمس ركعتان كهيئة النافلة، ويصلي بهم إمام الجمعة، ويطيل القراءة، ولا يجهر، ولا يخطب، وخسوف القمر ليس له اجتماع، ويصليها الناس في منازلهم

---

(١) «متى» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨).

(٣) «سنة» زيادة من «ت».

ركعتين كسائر النوافل، وقال الثلاثة: الصلاة لكسوف الشمس ركعتان في جماعة، كل ركعة بركوعين، يطيل الأولى، ويقصر الثانية يسيراً، ويقرأ في كل ركعتين مرتين.

واختلف الثلاثة في صلاة خسوف القمر، فقال مالك فيها كقول أبي حنيفة، وقال الشافعي وأحمد: هي كصلاة كسوف الشمس.

واختلفوا في الجهر بالقراءة، فقال مالك: لا يجهر في كسوف الشمس؛ كقول أبي حنيفة، وقال الشافعي: يجهر في كسوف القمر دون الشمس، وقال أحمد: يجهر فيهما، ويخطب لهما عند الشافعي خطبتين بأركانهما في الجمعة، ويحث على التوبة والخير، وعند مالك وأحمد لا يخطب؛ كمذهب أبي حنيفة.

* * *

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾.

[٩] ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أسودين مكوَّرين كأنهما ثوران عقيران في النار.

* * *

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾.

[١٠] ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ المهرب.

* * *

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾.

[١١] ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن الفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ تتحصن به.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ المصير، فيحاسب الخلائق ويجازيهم.

* * *

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ ﴾ قبلَ موته من خير وشر عَمِلَه.

﴿ وَأَخَّرَ ﴾ من حسنة وسيئة سنَّها يُعمل بهما بعده.

* * *

﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ إضراب بمعنى الترك، لا على معنى إبطال القول الأول.

﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ شاهد، والهاء في (بَصِيرَةٌ) للمبالغة، ويراد بالبصيرة: جوارحُه، والملائكةُ الحفظة.

* * *

﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ أي: ولو جاء بكل معذرة، ما قُبلت منه.

* * *

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] وكان ﷺ إذا لُقِّنَ الوحيَ، يحرك لسانه مسارعة إلى حفظه قبل

فراغ جبريل، مخافة أن يتفلت منه، فنزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾[1] بالقرآن.

﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ حذراً أن يفوتك منه شيء؛ أي: لا تقرأه حتى يفرغ جبريل من قراءته.

* * *

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك.

﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: قراءته عليك وجَريانَه على لسانك.

* * *

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾.

[١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: قرأه رسولنا جبريل عليك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فاستمع قراءته.

* * *

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾.

[١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بأن نُبيِّنه لك حتى تفهمه، فكان جبريل إذا أتى النبيَّ ـ عليهما السلام ـ بالوحي، أطرق، فإذا ذهب عنه، قرأه كما وعده الله تعالى.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥)، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (٤٤٨)، كتاب: الصلاة، باب: الاستماع للقراءة، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ كَلَّا ﴾ رجوع إلى مخاطبة قريش، وردٌّ عليهم وعلى أقوالهم في رد الشريعة بقوله: (كَلَّا)؛ أي: ليس كما تقولون، وإنما أنتم قوم ألهتكم[1] الدنيا بشهواتها، فذلك قوله: ﴿ بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ الدنيا.

* * *

﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ فلا تعملون لها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: (يُحِبُّونَ) و(يَذَرُون) بالغيب، **وقرأهما** الباقون: بالخطاب على تقدير: قل لهم يا محمد[2].

* * *

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ولما ذكر الآخرة، أخبر بشيء من حال أهلها بقوله: ﴿ وُجُوهٌ ﴾ رفع بالابتداء، وابتدأ بالنكرة لأنها تخصصت بقوله:

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ ظرف لخبر المبتدأ، وهو ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ أي: ناعمة حسنة من نضرة النعيم.

* * *

---

(١) في «ت»: «غلبتكم».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠-١١).

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ من نظر العين، وحمل هذه الآية جميعُ أهل السنة على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى بلا كيف ولا تحديد كما هو معلوم موجود، لا يشبه الموجودات، كذلك لا يشبه المرئيات في شيء، فإنه ليس كمثله شيء سبحانه.

قال ﷺ: «إنكم ترون ربَّكم يومَ القيامة كما ترون القمرَ ليلةَ البدر لا تُضامون في رؤيته»(١).

والمعتزلة ينفون رؤية الله تعالى، ويذهبون في هذه الآية إلى أن المعنى: إلى رحمة ربها ناظرة، وإلى ثوابه، أو إلى ملكه، فقدروا مضافاً محذوفاً، وتقدم الكلام على ذلك، واختلاف(٢) الأئمة على رؤيته سبحانه في الآخرة في سورة الأنعام.

***

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ عابسة متكرِّهة.

***

﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ تَظُنُّ ﴾ تتيقَّن ﴿ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ داهية عظيمة تفقر؛ أي: تكسر فقار الظهر.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٩٧)، كتاب: التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾، ومسلم (٦٣٣)، كتاب، المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) في «ت»: «اتفاق».

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ (٢٦) ﴾ .

[٢٦] ﴿ كَلَّآ ﴾ زجر لقريش، وتذكيرهم بموطن من مواطن الهول، وهي حالة الموت والمنازعة ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ﴾ النفسُ ﴿ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾ جمع تَرْقُوة، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق أعلى الصدر موازية للحلقوم، ولكل أحد ترقوتان، لكن من حيث هذا الأمر في كثيرين، جُمع؛ إذ النفس المرادة اسم جنس.

***

﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ أي: يرقيه ليشفى ما فيه. قرأ حفص عنه عاصم: (مِنْ رَاقٍ) بإظهار النون مع سكتة عليها خفيفة، وقرأ الباقون: بإدغام النون في الراء[1]، وروي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (رَاقِي).

***

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٨) ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَظَنَّ ﴾ أي: تيقن ﴿ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴾ فراق الدنيا.

***

﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩) ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾ آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦١)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٥٥-٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠).

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ أي: مرجع العباد إلى الله يساقون إليه.

***

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ فَلَا صَدَّقَ ﴾ يعني: أبا جهل لم يصدق برسول الله ﷺ.

﴿ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ لله. أمال رؤوس الآي من قوله (وَلاَ صَلَّى) إلى آخر السورة: ورش، وأبو عمرو بين بين بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، واختلف عن أبي بكر في (سُدَى)، فروي عنه الإمالة والفتح. وقرأ الباقون: بإخلاص الفتح فيهما[1].

***

﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ ﴾ بالقرآن ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ عن الإيمان.

***

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ يتبختر في مشيته[2] إعجاباً، أصله يَتَمَطَّطُ.

***

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ ﴾ مبتدأ وخبر، معناه: وليكنْ ما تكره.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١ و٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١).

(٢) في «ت»: «مشيه».

﴿فَأَوْلَىٰ﴾ فهو أولى بك من غيره، فهو وعيد لأبي جهل.

***

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ وعيدٌ ثانٍ كرره تأكيداً، تلخيصه: ويل لك في الدنيا، ثم في القبر، ثم حين البعث، ثم في النار مهملاً.

روي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية، أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء، وهزه مرة أو مرتين، ولكزه في صدره، وقال له: «أَوْلى لكَ فأولى، ثم أولى لك فأولى»، فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟! والله لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً، وإني لأعزُّ من مشى بين جبليها، فلما كان يوم بدر، صرعه الله شر مصرع، وقتله أسوأ قتلة، وكان رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل أمة فرعوناً، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل»(١).

***

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هو أبو جهل ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ مهملاً لا يؤمر ولا ينهى.

***

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٥٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٩٢).

﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ﴾ .

[٣٧] ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴾ تُصَبُّ في الرحم، فيستدل على ذلك بالقدرة على البعث. قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (يُمْنَى) بالياء على التذكير إرادة المني، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث إرادة النطفة، واختلف عن هشام(١).

* * *

﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ ﴾ .

[٣٨] ﴿ ثُمَّ كَانَ ﴾ المنيُّ ﴿ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ اللهُ منها الإنسان، وعدَّل أعضاءه.

* * *

﴿ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ ﴾ .

[٣٩] ﴿ فَجَعَلَ مِنۡهُ ﴾ من المني ﴿ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ﴾ الصنفين.

﴿ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ وهو استدلال آخر بالإبداء على الإعادة.

* * *

﴿ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠ ﴾ .

[٤٠] ﴿ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ ﴾ الذي فعل هذا.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١-١٣).

﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فيعيد الأجسام كهيئتها للبعث.

روي أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحانك اللهم وبحمدك بلى»[1]، والله أعلم.

* * *

(1) رواه أبو داود (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء في الصلاة، من حديث أبي هريرة.

سورة الإنسان

مكية، وقيل: مدنية، وقيل: منها آية مكية، وهي قوله: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، والباقي مدني، وآيها: إحدى وثلاثون آية، وحروفها ألف وأربع وخمسون حرفاً، وكلمها: مئتان واثنتان وأربعون كلمة.

روي أنها نزلت في صنيع علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في إطعامه عشاءه وعشاء أهله وولده لمسكين ليلةً، ثم ليتيم ليلة، ثم لأسير ثالثة، متواليات(١)، والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿هَلْ﴾ بابها المشهور للاستفهام المحض، ومعناها هنا: قد.

﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعني: آدم عليه السلام ﴿حِينٌ﴾ مدة ﴿مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أربعون سنة ملقى من طين بين مكة والطائف قبل أن تنفخ فيه الروح.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٠٨).

﴿ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ [لا يُذكر ولا يُعرف، ولا يُدرى ما اسمه، ولا ما يراد به، فكان شيئاً، ولم يكن مذكوراً][1]، ولا منوهاً به في العالم.

* * *

﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ثم بين خلق بنيه فقال: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ يعني: بني آدم، والإنسان هنا هو اسم الجنس ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ ﴾ نعت؛ أي: أخلاطٍ، واحدها مَشَج ـ بفتح الميم والشين ـ يعني: ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم، فيكون منهما الولد، فماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا صاحبه، كان الشبه له، وما كان من عصب وعظم، فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر، فمن ماء المرأة.

﴿ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ حال؛ أي: خلقناه مريدين ابتلاءه؛ بأن نختبره بالأمر والنهي.

﴿ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ ذا سمع وبصر.

* * *

﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ﴾ بينا له ﴿ ٱلسَّبِيلَ ﴾ أي: الطريقَ إلى الهدى والضلالة.

﴿ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ حالان قسمتهما (إما)؛ أي: بأن يشكر فيؤمن، أو يكفر فيضل.

* * *

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾.

[٤] ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ هيأنا[١] ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ يسحبون بها في النار. قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي، وأبو بكر، ورويس، وهشام: (سَلَاسِلاً) منوناً مصروفاً؛ لأن الأصل الصرف، ووقفوا عليه بالألف بدلاً منه، وقرأ الباقون: بغير تنوين على المشهور عند النحاة، ووقف منهم بالألف صلة للفتحة واتباعاً لخط المصحف: أبو عمرو، وحفص، وروح، والبزي، وابن ذكوان بخلاف عنهم سوى أبي عمرو، ووقف الباقون بغير ألف، وهم: حمزة، وقنبل، وخلف[٢].

﴿وَأَغۡلَٰلًا﴾ في أعناقهم تُشد فيها السلاسل.

﴿وَسَعِيرًا﴾ ناراً مستعرة يُعذَّبون بها.

* * *

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾.

[٥] ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ هم الصادقون المطيعون ﴿يَشۡرَبُونَ﴾ في الآخرة خمراً.

﴿مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿كَافُورًا﴾ وهو اسم عين ماء في الجنة.

---

(١) زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٢٢ـ٥٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٤ـ٣٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٩ـ٢٠).

﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ ﴾ .

[٦] ﴿ عَيۡنٗا ﴾ نصب بحال (كافور)[١] ﴿ يَشۡرَبُ بِهَا ﴾ أي: يشربها، فالباء زائدة.

﴿ عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ أي: أولياؤه ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾ يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم؛ لأن أنهار الجنة تكون منقادة لأهلها، كما أن الأشجار تكون منقادة لهم، فيتبعهم النهر إلى حيث شاؤوا.

* * *

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ ﴾ .

[٧] روي أن الحسن والحسين مرضا، فنذر علي وفاطمة وفضة جاريتهما إن عوفيا صيام ثلاثة أيام، فعوفيا، فلم يكن عندهم شيء، فاستقرض علي ثلاثة أصواع من شعير من يهودي، فطحنت فاطمة صاعاً، وخبزته خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها قدامهم ليفطروا، فقال سائل: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد أهل[٢] الجنة، فآثروه به، وباتوا لم يطعموا شيئاً، وأصبحوا صياماً، فلما قدموا الصاع الثاني، في الليلة الثانية، وهو خمسة أقراص ليفطروا عليه، وقف عليهم يتيم سائلاً، فآثروه ولم يطعموا شيئاً، وأصبحوا صياماً، وفي الليلة الثالثة[٣] قدموا الصاع

---

(١) في «ت»: «تبعاً (للكافور)».

(٢) «أهل» زيادة من «ت».

(٣) «وفي الليلة الثالثة» زيادة من «ت».

الثالث، وهو خمسة أقراص ليفطروا عليه، وقف عليهم أسير، فآثروه ولم يطعموا شيئاً فنزل استئنافاً: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾[1] إذا نذروا في الطاعة، وتقدم الكلام في حكم النذر في سورة البقرة.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ منتشراً؛ من استطار الحريق: انتشر.

***

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ حب الطعام وشهوتهم له.

﴿مِسْكِينًا﴾ لا مال له ﴿وَيَتِيمًا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ يعني: أسارى الكفار؛ فإنه كان ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: «أحسِنْ إليه»[2].

***

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ لم يقولوا ذلك باللسان، ولكن من اعتقادهم وضميرهم، فأخبر الله بذلك عن قلوبهم.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ على ذلك ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ بأن تشكرونا عليه.

***

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٩)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٩٣)، وقال: وهذا حديث لا يشك في وضعه، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٣٣).

(٢) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٧٠): قال الولي العراقي: لم أقف عليه.

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا ﴾ لا انبساطَ فيه ﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ شديداً .

* * *

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾ الذي يخافون ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ ﴾ أعطاهم ﴿ نَضْرَةً ﴾ حسناً في وجوههم ﴿ وَسُرُورًا ﴾ في قلوبهم .

* * *

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ على طاعته ﴿ جَنَّةً ﴾ أدخلهم فيها ﴿ وَحَرِيرًا ﴾ ألبسهموه .

* * *

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ﴾ نصب على الحال ﴿ فِيهَآ ﴾ في الجنة ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ السُّرُر في الحِجال، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا، وتقدم في سورة (يس) .

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ﴾ يؤذيهم حرُّها ﴿ وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ برداً شديداً .

* * *

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا ﴾ قريبةً منهم ظلالُ أشجارها .

﴿وَذُلِّلَتْ﴾ سُخِّرَت وانقادت ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قِطْف، وهو ما يقطف من الثمار ﴿تَذْلِيلًا﴾ المعنى: سُهِّل لهم اجتناؤها.

***

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ﴾ جمع إناء، وهي الأوعية ﴿مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ الكوب: ما لا عروةَ له ولا أُذُنَ من الأواني ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾.

***

﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] خبر (كانت) ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ وإنما كرر القوارير؛ للتبيين، ومعناه: صفاؤها كالقوارير، وبياضها كالفضة. قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: (قَوَارِيراً قَوَارِيراً) بتنوينهما، ووقفوا عليهما بالألف، وقرأ ابن كثير، وخلف: في الأول بالتنوين، ووقفا عليه بالألف، والثاني بغير تنوين، ووقفا عليه بغير ألف، والباقون: بغير تنوين فيهما، ووقف حمزة، ورويس عليهما[١] بغير ألف، واختلف عن روح، ووقف هشام عليهما بالألف صلة للفتحة، ووقف الباقون، وهم: أبو عمرو، وحفص، وابن ذكوان على الأول بالألف، وعلى الثاني بغير ألف، فحصل من ذلك أن من لم ينون وقف على الأول بالألف إلا حمزة، وعلى الثاني بغير ألف إلا هشاماً[٢]، وهو كـ(سَلَاسِلا) في الصرف وتركه كما تقدم ﴿مِن فِضَّةٍ﴾

---

(١) «عليهما» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٣-٦٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٥-٣٩٦)، و«معجم=

بيان لأصل القوارير ﴿قَدَّرُوهَا﴾ نعت لـ(قَوارير) ﴿تَقْدِيرًا﴾ أي: تقدرها لهم الغلمان(١)، قدروا الكأس(٢) على قدر ريِّهم.

***

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ اسم عين في الجنة يوجد منها طعم(٣) الزنجبيل.

***

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] وتبدل من ﴿كَأْسًا﴾ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ﴾ أي: توصف.

﴿سَلْسَبِيلًا﴾ يعني: سَلِسَة لينة تتسلسل في الحلق.

***

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ دائمون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وانشغالهم(٤) بالخدمة ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ من سلكه على البساط واللؤلؤ إذا نُثر من الخيط على البساط، كان أحسنَ منه منظوماً.

***

= القراءات القرآنية» (٨/ ٢٢-٢٣).

(١) في «ت»: «قدرها لهم السقاة».

(٢) «الكأس» زيادة من «ت».

(٣) «طعم» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «وانتشارهم في».

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ ظرف، وليس مفعولاً لـ(رَأَيْتَ)، تقديره: إذا أوجدت الرؤية في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعاً(١) .

في الحديث: «أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً مَنْ ينظرُ إلى مُلْكِه مسيرةَ ألفِ عامٍ، يرى أقصاه كما يرى أدناه»(٢) .

* * *

﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ ﴾ .

[٢١] ﴿ عَٰلِيَهُمْ ﴾ أي: فوقهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ هو ما رَقَّ من الديباج ﴿ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ هو ما غَلُظَ من الحرير(٣) . **وقرأ** أبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: (عَالِيَهُمْ) بفتح الياء وضم الهاء، والنصب على الحال، والعامل فيه (لَقَّاهُمْ) و(جَزَاهُمْ)، **وقرؤوا** (خُضْرٌ) بالرفع نعت (ثِيَابٌ)، (وَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض نعت (سُنْدُسٍ)، **وقرأ** ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: (عَالِيَهُمْ) كأبي عمرو(٤)، و(خُضْرٍ) بالخفض نعت (سُنْدُسٍ)، (وَإِسْتَبْرَقٌ) بالرفع عطف على الـ(ثياب)، **وقرأ** حفص عن عاصم: (عَالِيَهُمْ) كما تقدم (خُضْرٌ

---

(١) «واسعاً» زيادة من «ت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٣)، عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفاً عليه من قوله.

(٣) في «ت»: «الديباج».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٤ـ٦٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٦ـ٢٧).

وَإِسْتَبْرَقٌ) بالرفع فيهما، فخضرٌ نعت ثياب، وإستبرقٌ عطف على الثياب، وقرأ الكسائي، وخلف: (عَالِيَهُمْ) كما تقدم (خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض فيهما نعت (سُنْدُسٍ)، وقرأ نافع: (عَالِيْهِمْ) بإسكان الياء وكسر الهاء على الرفع بالابتداء، و(خُضْرٌ وإِسْتَبْرَقٌ) بالرفع فيهما كحفص، وقرأ حمزة (عَالِيْهِمْ) كنافع (خُضْرٍ ووَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض فيهما كالكسائي، وقرأ أبو جعفر: (عَالِيْهِمْ) كنافع، و(خُضْرٌ) بالرفع، (وَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض كأبي عمرو.

﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي الكهف والحج ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١] [الحج: ٢٣]؛ للإيذان بأنهم[1] يحلون من الجنسين معاً، ومفترقاً.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ طاهراً من الأقذار، لم تَدُسْه[2] الأقدام، ولم تمسه الأيدي الوسخة كخمر الدنيا، ولا يصير بولاً، وذلك أنهم إذا طعموا وشربوا، فيصير ما أكلوا طِيباً[3] يخرج من أبدانهم كأطيب من ريح المسك، وتضمر بطونهم، وتعود شهوتهم.

* * *

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] فثَمَّ يقال لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ النعيمَ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ لعملكم.

﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ في الدنيا ﴿مَّشْكُورًا﴾ مجازًى عليه.

---

(١) في «ت»: «أنهم».

(٢) في «ت»: «تدنسه».

(٣) في «ت»: «رشحاً».

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴾ متفرقاً، آية بعد آية، وذكر التوراة[١] بلفظ الإنزال؛ لأنها نزلت مرة واحدة، وهذا تثبيت لمحمد ﷺ، وتقوية لنفسه على أفعال قريش وأقوالهم.

* * *

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ عليك بتبليغ الرسالة ﴿ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ﴾ من الكفار ﴿ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ هو تخيير في أن يعرف الذي ينبغي ألا يطيعه بأي وصف كان من هذين؛ لأن كل واحد منهم[٢] فهو آثم، وهو كفور، ولم تكن الأمة حينئذ من الكثرة[٣] بحيث يقع الإثم على العاصي.

* * *

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾ أي: صَلِّ.

﴿ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ المعنى: دم على الصلاة المفروضة في هذين الوقتين.

* * *

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ ﴾ مصلياً متهجداً.

---

(١) في «ت»: «التورية».

(٢) «منهم» ساقطة من «ت».

(٣) «من الكثرة» ساقطة من «ت».

﴿ لَيۡلٗا طَوِيلٗا ﴾ ثلثيه، أو نصفه، أو ثلثه.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ ﴾.

[٢٧] ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني: كفار قريش ﴿ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾ يختارون الدنيا على الآخرة ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ ﴾ بعد موتهم ﴿ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴾ لا ينهضون له، وهو يوم القيامة.

* * *

﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨ ﴾.

[٢٨] ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ ﴾ قوّينا ﴿ أَسۡرَهُمۡۖ ﴾ توصيل أعضائهم[١] بعضِها ببعض.

﴿ وَإِذَا شِئۡنَا ﴾ إهلاكَهم، أهلكناهم، ثم ﴿ بَدَّلۡنَآ ﴾ جعلنا ﴿ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴾ في الخلقة ﴿ تَبۡدِيلًا ﴾ و(إِذَا) هنا موضع إن.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ ﴾.

[٢٩] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ السورةَ ﴿ تَذۡكِرَةٞۖ ﴾ عظةٌ.

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ بأن يتقرب إليه بطاعته.

* * *

---

(١) في «ت»: «عظامهم».

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ ذلك. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: (يَشَاؤونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[١] ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ لأن الأمر إليه، وفيه دليل على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، خيرها وشرها، جارية بمشيئته على أي وجه كانت.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بالسر والسرائر[٢] ﴿ حَكِيمًا ﴾ حكم عليكم ألا تشاؤوا إلا بعد مشيئته.

* * *

﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ۝٣١ ﴾ .

[٣١] ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ ﴾ وهم المؤمنون ﴿ فِى رَحْمَتِهِۦۚ ﴾ بهدايتهم لطاعته.

﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين، ونصبه بفعل يفسره ﴿ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴾ في الآخرة، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٨).

(٢) في «ت»: «بالخير والشر».

سورة المرسلات

مكية في قول الجمهور، وقيل: فيها مدني قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ على تأويل من قال: إنها حكاية حال عن المنافقين في القيامة، وآيها: خمسون آية، وحروفها: ثماني مئة وستة عشر حرفاً، وكلمها: مئة وإحدى وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾.

[١] ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ يعني: الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، و﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ نصب على الحال.

* * *

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢﴾.

[٢] ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾ يعني: الرياح الشديدة الهبوب ﴿عَصْفًا﴾ مصدر.

* * *

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ يعني: الرياح اللينة ﴿نَشْرًا﴾ مصدر أيضاً.

﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ يعني: الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل.

***

﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ يعني: الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء. **قرأ** أبو عمرو، وخلاد عن حمزة بخلاف عنه: بإدغام التاء في الذال، **وقرأ** الباقون: بالإظهار[١].

***

﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ عُذْرًا ﴾ **قرأ** يعقوب من رواية روح: بضم الذال، والباقون: بإسكانها ﴿ أَوْ نُذْرًا ﴾ **قرأ** أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بإسكان الذال، والباقون: بضمها[٢]، فإسكان الذال فيهما على أنهما مصدران، وضم الذال يصح معه المعنى، ويصح أن يكون جمعاً لنذير وعاذر اللذين هما اسم فاعل، والمعنى: أن الذكر يلقى بإعذار وإنذار، وأما النصب في قوله: (عُذْراً أَوْ نُذْراً)، فيصح إذا كانا مصدرين أن يكون ذلك

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥ـ١٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٣ـ٣٤).

على البدل من الذكر، ويصح أن يكون مفعولاً للذكر كأنه قال[1]: فالملقيات أن تذكر عذراً، ويصح أن يكون عذراً مفعولاً من أجله؛ أي: يلقى الذكر من أجل الإعذار، وأما إذا كان عذراً أو نذراً جمعاً، فالنصب على الحال، والواو الأولى للقَسَم، والباقي للعطف؛ لأنه تعالى أقسم بالمرسلات، وعطف عليها الباقي.

* * *

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾.

[٧] وجواب القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ من البعث والعذاب ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ كائن لا محالة.

* * *

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾.

[٨] ثم ذكر متى يقع فقال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ مُحِيَ نورُها.

* * *

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾.

[٩] ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ شُقَّت.

* * *

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾.

[١٠] ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾ قُطعت من أماكنها[2].

---

(١) «قال»: ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «أساكنها».

﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ **قرأ** أبو عمرو، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني: (وُقِّتَتْ) بواو مضمومة مبدلة من الهمزة، واختلف عن أبي جعفر في تخفيف القاف وتشديدها، **وقرأ** الباقون: (أُقِّتَتْ) بالهمز وتشديد القاف[1]، وهما لغتان، والعرب تعاقب بين الواو والهمزة؛ كقولهم وَكَّدْتُ، وأَكَّدْتُ، ووَرَّخْتُ، وأَرَّخْتُ، ومعناهما: جُمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة؛ ليشهدوا على الأمم.

* * *

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ أُخرت، وضرب الأجل لجمعهم، يعجِّبُ العبادَ من ذلك اليوم.

* * *

﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ثم بين تعالى فقال: ﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴾ بين الخلائق.

* * *

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾ من أين تعلم كنهه ولم تر مثله؟

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٦-٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٤-٣٥).

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ ﴾.

[١٥] ﴿ وَيۡلٞ ﴾ مبتدأ وهو نكرة لما فيه من معنى الدعاء قال ابن عباس: «ويلٌ: واد في جهنم»(١) ﴿ يَوۡمَئِذٖ ﴾ ظرفه ﴿ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ بالبعث.

* * *

﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ﴾.

[١٦] ﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ يعني: الأمم الماضية حين كذبوا رسلهم.

* * *

﴿ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ ﴾.

[١٧] ﴿ ثُمَّ ﴾ نحن ﴿ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ السالكين سبيلَهم في الكفر والتكذيب؛ يعني: كفار مكة.

* * *

﴿ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ ﴾.

[١٨] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثلَ فعلنا بالمكذبين ﴿ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ بكل من أجرم.

* * *

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩ ﴾.

[١٩] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ كرره في هذه السورة عشر مرات مبالغةً في التهديد؛ نحو: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢٠٢)، وقد جاء مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ضعيف، والمراد: المني. واتفق القراء على إدغام القاف في الكاف في هذا الحرف، وذكر النقاش أنه في قراءة ابن كثير، ونافع براوية قالون، وعاصم في رواية حفص: بالإظهار، قاله في «الإيضاح».

* * *

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ موضع حريز(١)، وهو الرحم.

* * *

﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ ﴾ أي: مؤخراً إلى مقدار من الزمان ﴿ مَّعْلُومٍ ﴾ وهو وقت الولادة.

* * *

﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي: (فَقَدَّرْنَا) بتشديد الدال؛ من التقدير؛ أي: قدرناه تقديراً مرة بعد مرة، وقرأ الباقون: بتخفيفها؛ من القدرة(٢).

---

(١) «حريز» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات =

﴿ فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾ روى ابن مسعود عن النبي ﷺ: أنه فسر القادرون بالمقدِّرين(١).

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بقدرتنا على ذلك.

* * *

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ أوعيةً، جمع كافت، وهو الوعاء.

* * *

﴿ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾ منتصبان بـ(كِفَاتاً) على المفعولية، فالأرض تكفتُ الأحياء على ظهرها، وتكفتُ الأموات في بطنها.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ﴿ شَـٰمِخَـٰتٍ ﴾ مرتفعاتٍ ثوابتَ.

﴿ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴾ عذباً.

* * *

= القرآنية» (٨/ ٣٧).

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٦٠).

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٨ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ بأمثال هذه النعم .

* * *

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩ ﴾ .

[٢٩] ثم أخبر تعالى أنه يقال لهم يوم القيامة : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ ﴾ من العذاب ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ في الدنيا .

* * *

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ ﴾ .

[٣٠] ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ ﴾ تكرير للأول ﴿ إِلَىٰ ظِلّٖ ﴾ يعني : إلى دخان جهنم . قرأ رويس عن يعقوب : (انْطَلَقُوا) الحرف الثاني بفتح اللام، والباقون : بكسرها[١] .

﴿ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴾ لأنه إذا ارتفع، افترق ثلاث فرق؛ لعظمته . قرأ أبو عمرو : (ثَلَاث شُّعَبٍ) بإدغام الثاء في الشين[٢] .

* * *

﴿ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ ﴾ .

[٣١] ﴿ لَّا ظَلِيلٖ ﴾ نعت (ظِلٍّ)؛ أي : لا كَنينٍ يُظلهم من حر ذلك اليوم .

---

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٧) .

(٢) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٧) .

﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ لا يردُّ عنهم شيئاً من لهب النار.

***

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ جمع شرارة، وهو ما تطاير من النار، كلُّ شرارة ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ وهو البناء العظيم.

***

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ثم رد الضمير إلى لفظ النار دون معناها، فقال: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (جِمَالَةٌ) بغير ألف بعد اللام مع كسر الجيم على جمع جَمَل، وقرأ الباقون: بالألف، جمع (جمالة) التي هي جمع جَمَل، ومنهم رويس عن يعقوب: بضم الجيم، والباقون: بكسرها، فمن قرأ بضم الجيم، أراد الأشياء العظام المجموعة، والقراءة بالكسر قال ابن عباس وسعيد بن جبير: «هي حبال سفن البحر، يُجمع بعضُها إلى بعض لتكون كأوساط الرجال»(١) ﴿صُفْرٌ﴾ جمع أصفر؛ يعني: لون النار؛ فإن الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر، وشبه الشرار بالقصر؛ لعظمه، وبالجمال للعظم والطول واللون، وهذا تشبيه بما يشاهد.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤٩)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١١)، عن سعيد بن جبير.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

* * *

﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] ﴿ هَٰذَا ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿ يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أي: هذا المذكور في يوم لا ينطقون فيه(١) خوفاً ودهشاً.

* * *

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٣٦] ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾ بالاعتذار(٢) ﴿ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ عطف ﴿ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ على ﴿ يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾ فلا يعتذرون.

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

* * *

﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ بين الخلائق ﴿ جَمَعْنَاكُمْ ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ من المكذبين من قبلكم، فتحاسبون جميعاً.

* * *

---

(١) «فيه» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «في الاعتذار».

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ حيلة تدفعون بها عنكم العذاب ﴿ فَكِيدُونِ ﴾ فاحتالوا لأنفسكم. قرأ يعقوب: (فَكِيدُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[١].

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ إذ لا حيلة لهم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ من الشرك؛ لأنهم في مقابلة المكذبين.

﴿ فِى ظِلَٰلٍ ﴾ جمع ظل؛ أي: في ظلال الشجر.

﴿ وَعُيُونٍ ﴾ ماء. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وابن ذكوان: بكسر العين، والباقون: بضمها[٢].

* * *

﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٠).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٠).

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ويقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾ بلا داء ولا تخمة.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا بطاعتي.

* * *

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدة.

* * *

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

* * *

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ثم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾ في الدنيا[١].

﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ كافرون مستحقون للعذاب.

* * *

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث عرَّضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل.

* * *

---

(١) «في الدنيا» زيادة من «ت».

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ ﴾ صلُّوا ﴿ لَا يَرْكَعُونَ ﴾ قال ابن عباس: «إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يُدعون إلى السجود فلا يستطيعون»[١]. قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: (قِيلَ) بإشمام القاف الضم[٢].

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

* * *

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ ﴾ بعدَ القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ إذا لم يؤمنوا به؟! وهذا توقيف وتوبيخ. وروي عن يعقوب أنه قرأ: (تُؤْمِنُونَ) بالخطاب على المواجهة، ورويت عن ابن عامر، قاله ابن عطية في «تفسيره»[٣]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤١).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤١).

سورة النبأ

مكية، ليس فيها نسخ ولا حكم، وآيها: أربعون آية، وحروفها: سبع مئة وسبعون حرفاً، وكلمها: مئة وثلاث وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾.

[١] لما دعا النبي ﷺ أهل مكة إلى التوحيد، وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن، جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد؟ فنزل قوله تعالى: ﴿عَمَّ﴾[١] أصله (عَنْ) (مَا) أدغمت النون في الميم، وحذفت الألف فرقاً بين الاستفهام والخبر. ووقف البزي، ويعقوب بخلاف عنهما (عَمَّهْ) بزيادة هاء بعد الميم[٢] ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ هؤلاء المشركون؛ أي: يسأل بعضهم بعضاً، ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه؛ كأنه لفخامته خفي جنسه، فيسأل عنه، وهو استفهام توقيف وتعجيب منهم.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٠/ ١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٥).

﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ﴾ .

[٢] ثم بين شأن المسؤول عنه، فقال: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وهو القرآن.

***

﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ بأن أنكر[١] بعض، وكذب بعض، وقولهم: سحر، وكهانة، وشعر، وجنون، وغير ذلك.

قال الزجَّاج: الكلام تام في قوله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)، ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول: يتساءلون عن النبأ العظيم، فاقتضى إيجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه الحال والمحاورة اقتضاباً للجواب[٢] وإسراعها إلى موضع قطعهم، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وله أمثلة كثيرة[٣].

***

﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ كَلَّا ﴾ ردٌّ على الكفار في تكذيبهم.

﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ عاقبةَ تكذيبهم، وهو وعيد لهم في المستقبل.

***

---

(١) في «ت»: «شك».

(٢) في «ت»: «للحجة».

(٣) نقل كلام الزجاج: ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢٣)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٠٣).

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ كرر الزجر تأكيداً، وجيء بـ(ثُمَّ) ليؤذِنَ أن الوعيد الثاني أشدُّ من الأول، وأن مدته أطول.

* * *

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ ﴾ .

[٦] ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ فراشاً يُمْهَد للأناسي كالمهد للصبي.

* * *

﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ للأرض حتى لا تميد؛ كتثبيت البيت بالوتد.

* * *

﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أصنافاً ذكوراً وإناثاً.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ راحة لأبدانكم، وقيل: قطعاً لأعمالكم؛ لأن أصل السبت: القطع.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ غطاء يستر كل شيء بظلمته.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ ﴾.

[١١] ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ وقتَ معاش[١] تتقلبون فيه، وتبتغون من فضل الله ما قسم لكم من رزقه.

* * *

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا ﴾ أي: سبع سماوات ﴿ شِدَادًا ﴾ جمع شديدة؛ أي: قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ ﴾.

[١٣] ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ مضيئاً جامعاً بين النور والحرارة؛ يعني: الشمس.

* * *

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ ﴾.

[١٤] ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾ السحائب إذا عصرت بالرياح فيُخرج منها.

---

(١) «وقت معاش» زيادة من «ت».

﴿ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ مُنْصَبّاً بكثرة.

* * *

﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿ حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير.

﴿ وَنَبَاتًا﴾ كالتبن والحشيش وما تنبته الأرض مما تأكل الأنعام.

* * *

﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَجَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ أَلْفَافًا ﴾ ملتفة الأشجار، واحدها: لِفٌّ ولَفيفٌ.

* * *

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ للثواب والعقاب.

* * *

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ بدل من ﴿ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾، ﴿ فَتَأْتُونَ ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿ أَفْوَاجًا﴾ جماعاتٍ مختلفةً، ونصبه على الحال.

* * *

﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ قرأ الكوفيون: (وَفُتِحَتِ) بتخفيف التاء،

والباقون: بالتشديد[1]؛ أي: شُقَّت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: ذات أبواب مفتحة.

* * *

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ ذُهِبَ بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هباءً يُرى كالسراب.

* * *

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ طريقاً وممراً، فالمؤمن يمر عليها ليدخل الجنة، والكافر يدخلها، وقيل: (مِرْصَاداً) مِرْقَباً ترقُب منه الملائكة الخلائقَ، فيُدخلون المؤمنَ الجنة، والكافرَ النار.

* * *

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ للكافرين ﴿مَـَٔابًا﴾ مرجعاً.

* * *

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ قرأ حمزة، ورويس عن يعقوب: (لَبِثِينَ) بغير ألف بعد اللام، واللَّبِثُ: مَنْ شأنه اللبثُ والمقامُ في المكان، وقرأ الباقون:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٦_٤٧).

بالألف[١]، واللابث من وجُد منه اللبث، وإن قلَّ، ونصبه حال مقدرة من الضمير في (الطَّاغِينَ) ﴿فِيهَآ أَحۡقَابًا﴾ جمع حُقْب: ثمانون سنة، كل يوم منها ألف سنة، وليس المراد منه عدداً محصوراً، فكلما مضى حقب، تبعه حقب، إلى غير نهاية، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود.

* * *

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤﴾.

[٢٤] ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا﴾ من حر ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ من عطش.

* * *

﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥﴾.

[٢٥] ﴿إِلَّا حَمِيمٗا﴾ وهو ما بلغ نهاية الحر ﴿وَغَسَّاقٗا﴾ هو الزمهرير. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بتشديد السين، والباقون: بتخفيفها[٢].

* * *

﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦﴾.

[٢٦] ﴿جَزَآءٗ﴾ مصدر ﴿وِفَاقًا﴾ أي: موافقاً لسوء أعمالهم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٨).

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ ﴾ لا يخافون ﴿ حِسَابًا ﴾ لأنهم لم يصدِّقوا بالبعث .

* * *

﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ أي : تكذيباً ، وهو مصدر بلغة العرب .

* * *

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ ﴾ نصب بمضمر يفسره ﴿ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴾ حال ؛ أي : مكتوباً في اللوح ، وهذه الآية اعتراض بين (كِذَّاباً) .

* * *

﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] وقوله : ﴿ فَذُوقُوا۟ ﴾ أي : يقال لهم : ذوقوا جزاءكم .

﴿ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ فوق عذابكم .

* * *

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ أي : فوزاً بالبغية .

* * *

﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ ﴾ .

[٣٢] ﴿ حَدَآئِقَ ﴾ بيان ﴿ مَفَازًا ﴾ أي: بساتين عليها جدران ﴿ وَأَعۡنَٰبٗا ﴾ تفسير الـ(حدائق)؛ أي: فيها أنواع الأشجار المثمرة.

* * *

﴿ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ ﴾ .

[٣٣] ﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾ يعني: نساء قد تكعَّبت ثُديُهن، وهُنَّ النَّواهد.

﴿ أَتۡرَابٗا ﴾ مستوياتٍ في السن.

* * *

﴿ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴾ مملوءةً.

* * *

﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥ ﴾ .

[٣٥] ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا ﴾ باطلاً من الكلام ﴿ وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾ قرأ الكسائي: بتخفيف الذال مصدر كَذَب مخففاً، وقرأ الباقون: بتشديدها[١] مصدر كذَّب مثقلاً، المعنى: لا يسمعون في الجنة باطل الكلام، ولا كلامَ من يكذب ولا يكذِّبُ صاحبه، واتفقوا على تشديد (كِذَّاباً) في الحرف المتقدم[٢] لوجود فعله معه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٩).

(٢) «المتقدم» ساقطة من «ت».

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ ﴾ بمقتضى وعده، ونصبه مصدر.

﴿ عَطَآءً ﴾ تفضُّلاً منه، وهو بدل من (جَزَاءً).

﴿ حِسَابًا ﴾ كافياً، ومنه: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر علي حتى قلت: حسبي، ونصبه صفة.

* * *

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبُّ) بالرفع على الاستئناف، و﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ خبره، **وقرأ** ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: (رَبِّ) بالخفض إتباعاً لقوله: (مِنْ رَبِّكَ)، **وقرؤوا** أيضاً (الرحمن) بالخفض إتباعاً لقوله: (رَبِّ السَّمَوَاتِ) **وقرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (رَبِّ) بالخفض؛ لقربه من قوله: (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ)، **وقرؤوا**: (الرَّحْمَنُ) بالرفع؛ لبعده منه على الاستئناف(١).

﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ الضمير لأهل السموات والأرض ﴿ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ أي: لا يملكون شفاعة إلا بإذنه تعالى.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٤١-٥٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٥٠).

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرف لـ(لاَ يَمْلِكُونَ) ﴿ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ قال ابن عباس عن النبي ﷺ: «الرُّوحُ خَلْقٌ غيرُ الملائكةِ هم حفظة لنا»[١]، وقيل: هو جبريل عليه السلام[٢].

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ أي: متقابلين[٣]، ونصبه على الحال. قرأ أبو عمرو: (وَالْمَلاَئِكَة صَّفّاً) بإدغام التاء في الصاد[٤].

﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ جميع الخلائق ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ في الكلام.

﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ أي: حقاً في الدنيا، وهو الشهادة بالتوحيد.

***

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ﴾ الثابتُ وقوعُه، وهو يوم القيامة.

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ مرجعاً بالإيمان.

***

---

(١) ذكره الثعالبي في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٦١٢).

(٣) «أي متقابلين» زيادة من «ت».

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٥٠).

﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا ﴾ وهو عذاب الآخرة، وكلُّ ما هو آت قريب.

﴿ يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ ﴾ المراد بالمرء[1]: الجنس؛ أي: ينظر ثَمَّ كلُّ امرىء.

﴿ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ ﴾ من خير وشر.

﴿ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ ﴾ في الدنيا ﴿ تُرَٰبَۢا ﴾ ولم أر حساباً.

روي أن الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة، فيقتص من بعضها لبعض، ثم يقول لها بعد ذلك: كوني تراباً، فيعود جميعها تراباً، فإذا رأى الكفار ذلك، تمنوا مثله[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) «بالمرء» ساقطة في «ت».

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مكية، وآيها: ست وأربعون آية، وحروفها: سبع مئة وثلاثة وسبعون حرفاً، وكلمها: مئة وتسع وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١)﴾.

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة التي تنزِع أرواحَ الكفار.

﴿غَرْقًا﴾ أي: إغراقاً، وهو النزع بشدة.

* * *

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)﴾.

[٢] ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ الملائكة تنشط أرواح المؤمنين.

﴿نَشْطًا﴾ أي: تحلُّها حلاً رفيقاً.

* * *

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)﴾.

[٣] ﴿وَالسَّابِحَاتِ﴾ الملائكة بنزولها[١] كالسباحة.

﴿سَبْحًا﴾ مسرعين كالفرس الجواد، يقال له: سابح: إذا أسرع في جريه.

---

(١) في «ت»: «نزولها».

﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ ﴾ الملائكة تسبق الشياطين إلى الأنبياء.

﴿ سَبۡقٗا ﴾ بالوحي، ونصبها كلها مصدر.

* * *

﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ ﴾ الملائكة وُكِّلوا بأمورٍ[1] عرفهم الله العملَ بها من تدبير أمر الدنيا ﴿ أَمۡرٗا ﴾ حال؛ أي: يدبرون مأموراتٍ.

* * *

﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ ﴾.

[٦] أقسم الله بالمذكورات، وجواب القسم محذوف، تقديره: لَتُبعثنَّ، وإنما حذف؛ لدلالة ما بعده عليه، وهو: ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ هي النفخة الأولى، وصفت بما يحدث بسببها؛ لأنها يرجف كل شيء ويتزلزل، ويموت كل الخلائق لشدتها.

* * *

﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ النفخة الثانية، ردفت الأولى، وبينهما أربعون سنة، فيحيا كل شيء بإذن الله سبحانه.

* * *

﴿ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ قُلُوبٞ ﴾ مبتدأ ﴿ يَوۡمَئِذٖ ﴾ ظرفه صفته ﴿ وَاجِفَةٌ ﴾ شديدة الاضطراب.

---

(١) في «ت»: «أمور».

﴿ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] خبره ﴿ أَبْصَٰرُهَا ﴾ أبصارُ أربابِ القلوب ﴿ خَٰشِعَةٌ ﴾ ذليلة؛ لهول ما ترى.

* * *

﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ يَقُولُونَ ﴾ أي: أرباب القلوب والأبصار استهزاءً وإنكاراً للبعث: ﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾ أي: نعود بعد الموت أحياء؟! والحافرة: اسم لابتداء الأمر وأوله، ومنه: رجع فلان في حافرته: إذا رجع من حيث جاء.

* * *

﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ثم زادوا إنكار البعث استبعاداً، فقالوا: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ بالية، العامل في (أَئِذَا) محذوف؛ أي: أنبعث؟ واختلف القراء في (أَئِنَّا) (أَئِذَا)، فقرأ أبو جعفر: (إِنَّا) بالإخبار (أَئِذَا) بالاستفهام، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب: (أَئِنَّا) بالاستفهام، (إِذَا) بالإخبار، وقرأ الباقون: بالاستفهام فيهما[١]، فكل من استفهم، فهو على أصله من تحقيق الهمزتين والتسهيل وإدخال الألف كما تقدم في سورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، ورويس:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٣_٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٥٥).

(نَاخِرَةً) بألف بعد النون، والباقون: بغير ألف[1]، وهما لغتان معناهما واحد؛ مثل: حَذِر، وحاذِر.

* * *

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿قَالُوا۟﴾ أي: منكرو البعث: ﴿تِلْكَ﴾ أي: رجعتُنا هذه.

﴿إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ باطلة ذات خسران؛ أي: إن صح أنا نبعث، فلنخسرنَّ.

* * *

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] قال الله عز وجل ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ يعني: الرادفة التي يعقبها البعث.

﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحة ﴿وَٰحِدَةٌ﴾ لا تكرر؛ لشدتها.

* * *

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] فإذا نفخت ﴿فَإِذَا هُم﴾ كلُّ الخلائق.

﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ بوجه الأرض أحياءً بعدما كانوا ببطنها أمواتاً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/٥٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/٥٦)، قال ابن مجاهد: كان الكسائي لا يبالي كيف قرأها بألف أم بغير ألف.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾.

[١٥] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ أي: قد جاءك يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ أمال رؤوسَ الآي من قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ) إلى آخر السورة: ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، ووافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، واختص الكسائي دونهما بإمالة (دَحَاهَا)(١).

* * *

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦﴾.

[١٦] ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ تقدم تفسير نظيره واختلاف القراء فيه في سورة (طه)، وكذا اختلافهم هاهنا، والواد المقدس: وادٍ بالشام، قال منذر بن سعيد: هو بين المدينة ومصر.

* * *

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧﴾.

[١٧] ﴿ٱذْهَبْ﴾ أي: قيل له: اذهب ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحدَّ في الكفر.

* * *

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾.

[١٨] ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ أي: أدعوك ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/٥٦).

وابن كثير، ويعقوب: بتشديد الزاي، والباقون: بتخفيفها[1]، ومعناهما التطهُّرُ من النقائص، والتلبُّسُ بالفضائل.

* * *

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾.

[١٩] ثم أمر موسى بأن يفسر له التزكي الذي دعاه إليه بقوله: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: أدلك على معرفته بالبرهان.

﴿فَتَخْشَىٰ﴾ الله تعالى، والعلم تابع للهدى، والخشية تابعة للعلم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

* * *

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قلبَ العصا حيةً، واليد بيضاءَ[2]، ووُحِّدَتا؛ لأنهما في حكم آية واحدة.

* * *

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١﴾.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾ أنها[3] من الله ﴿وَعَصَىٰ﴾ ربَّه بعد ظهور الآية.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٥٨-٥٩).

(٢) في «ت»: «البيضاء».

(٣) في «ت»: «بأنها».

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ عند رؤية الثعبان رعباً، وقيل: معناه: أدبر عن الإيمان يسعى في الأرض فساداً.

* * *

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ فَحَشَرَ ﴾ جمع قومه ﴿ فَنَادَىٰ ﴾ فيهم.

* * *

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ لا ربَّ فوقي.

* * *

﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ﴾ أي: عقوبةَ ﴿ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ أخذاً منكلاً في الدنيا بالإغراق، وفي الآخرة بالإحراق، وقال ابن عباس: «نَكالَ كلمتيه[١] الآخرة: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، والأولى: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨]، وكان بينهما أربعون سنة»[٢].

* * *

---

(١) أي: كلمتا فرعون.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٠).

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ الذي فُعل بفرعون ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ عظةً ﴿ لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ اللهَ عز وجل .

***

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ثم خاطب منكري البعث فقال : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ أصعبُ خلقاً .

﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ مبتدأ محذوف الخبر ؛ أي : أم السماء أشدُّ؟ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَنْتُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ في سورة الأنبياء ، ثم وصف خلق السماء فقال : ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ .

***

﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ثم بين البناء فقال : ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ والسمكُ : الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها .

﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ جعلها مستوية بلا عيب .

***

﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أي : أظلمه ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ أبرز نورَ شمسها ، وأضيف الليل والشمس إلى السماء ؛ لأن الليل ظلها ، والشمس سراجها .

***

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بعد خلق السماء، ونصب (وَالأَرْضَ) بمضمر[١] يفسره ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾ بسطها للسكنى.

قال ابن عباس: «خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها، ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك»[٢].

* * *

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ثم فسر البسط فقال: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا ﴾ بتفجير عيونها ﴿ وَمَرْعَىٰهَا ﴾ أي رِعْيَها ـ بكسر الراء ـ، وهو الكلأ، ونسب الماء والمرعى إلى الأرض من حيث هما منها يظهران.

* * *

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَٱلْجِبَالَ ﴾ نصب بمضمر يفسره ﴿ أَرْسَىٰهَا ﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن.

* * *

﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ أي: منفعة تنتفعون بها أنتم ومواشيكم،

---

(١) في «ت»: «بفعل».

(٢) رواه الطبري في تفسيره» (٣٠/ ٤٥). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٠).

ونصب (متاعاً) بمعنى قوله: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ لأن معناه: أمتع بذلك.

* * *

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ الداهية العظمى؛ يعني: صيحة القيامة؛ لطمومها كلَّ هائلة من الأمور، فتعلو فوقها، والطامة عند العرب: الداهية التي لا تستطاع.

* * *

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] وتبدل من ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ عملَ في الدنيا من خير وشر.

* * *

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ ﴾ أُظهرت ﴿ لِمَن يَرَىٰ ﴾ لمن يجب له دخولُها.

* * *

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ في كفره.

* * *

﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ على الآخرة باتباع الشهوات.

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ أي: مأواه، والهاء عوض عنها بالألف واللام.

* * *

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ أي: مقامه بين يدي ربه للحساب.

﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ ﴾ الأمارة بالسوء ﴿ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ ما تهواه من اتباع الشهوات المحرمة.

* * *

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ ليس له سواها مأوى.

* * *

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ متى ظهورها؟ من مرسى السفينة، وهو حيث تنتهي إليه، وتستقر فيه.

* * *

﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] روي أنه ﷺ لم يزل يسأل عن الساعة حتى نزل: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن

﴿ذِكۡرَىٰهَآ﴾[1] أي: من ذكر تحديدها؛ أي: لست من ذلك في شيء، وليس عندك علمُها.

* * *

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤﴾.

[٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ منتهى علمها متى يكون، لا يعلمه غيره تعالى.

* * *

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ مخوِّف من يخشى القيامة ومن لا يخشاها، فاختص بمن يخشاها؛ مدحاً لهم؛ لأن الإنذار يؤثر فيمن يخشاها، ولا يؤثر فيمن لا يخشاها؛ كقوله: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، معناه: ومن لا يخافُ وعيد. قرأ أبو جعفر: (مُنْذِرٌ) بالتنوين، والباقون: بغير تنوين[2].

* * *

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾.

[٤٦] ﴿كَأَنَّهُمۡ﴾ يعني: كفار مكة ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا﴾ يعاينون القيامة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣١٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي الباب من حديث طارق بن شهاب رضي الله عنه وغيره. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٥٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٦٧).

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا، أو في القبور.

﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي: عشية اليوم[1]، أو ضحى العشية، وهو بكرة ذلك اليوم، فأضاف الضحى إلى العشية من حيث هما طرفان للنهار، وقد بدأ بذكر أحدهما، فأضاف الآخر إليه تجوزاً وإيجازاً، والله أعلم.

* * *

(١) في «ت»: «يوم».

سورة عبس

مكية، وآيها: أربعون وآيتان(١)، وحروفها: خمس مئة وستة وثلاثون حرفاً، وكلمها: مئة وثلاث وثلاثون كلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾.

[١] روي أن ابن أم مكتوم ـ واسمه عبد الله بن شريح بن مالك الفهري من بني عامر بن لؤي، وكان أعمى ـ أتى رسولَ الله ﷺ وعنده صناديدُ قريش يدعوهم إلى الإسلام، فقال ابن أم مكتوم: «يا رسول الله! علِّمني مما علَّمك الله»، وكرر ذلك، ولم يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه، وعبس وجهه، وأعرض عنه، وأقبل على القوم يكلمهم، فنزل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ﴾(٢) كَلَح ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرض بوجهه.

***

---

(١) في «ت»: «أربعون آية».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٩).

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ .

[٢] ﴿أَن جَآءَهُ﴾ أي: لأن جاءه ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: «مَرْحباً بمن عاتبني فيه ربي»، وبسط له رداءه، ويقول: «هل لك من حاجة؟»، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما، وفوض إليه أمر التأذين، قال أنس بن مالك: «رأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء»(١).

* * *

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ .

[٣] ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ أي: أي شيء يجعلك دارياً.

﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ يتطهر من الذنوب بما يسمع منك.

* * *

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾ .

[٤] ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾ يتَّعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ العظةُ التي سمعها منك. قرأ عاصم: (فَتَنْفَعَهُ) بنصب العين على جواب التمني؛ لأن قوله: (أَوْ يَذَّكَّرُ) في حكم قوله: (لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)، وقرأ الباقون: بالرفع عطفاً على (يَذَّكَّرُ)(٢).

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٣)، و«تفسير القرطبي» (١٩/ ٢١٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧٢-٧٣).

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ ﴾.

[٥] ثم أكد تعالى عتب نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴾ عن الله، وعن الإيمان؛ بما له من المال.

* * *

﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: (تَصَّدَّى) بتشديد الصاد؛ أي: تتصدى، وقرأ الباقون: بالتخفيف على الحذف(١)؛ أي: تتعرض له، وتُقبِلُ عليه.

* * *

﴿ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ ﴾.

[٧] ثم قال تعالى محقراً لشأن الكفار: ﴿ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ ألا يؤمنوا(٢)؛ أي: وما يضرك أن لا يفلح؟ إن عليك إلا البلاغ، وهذا حض على الإعراض عن أمرهم، وترك الاكتراث بهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ ﴾.

[٨] ثم قال مبالغاً في العتب: ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴾ يسرع طالباً للخير.

* * *

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) في «ت»: «ألا يؤمن».

﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ ﴾ .

[٩] ﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ اللهَ تعالى .

* * *

﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ ﴾ .

[١٠] ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ تَشاغلُ وتُعرض عنه . قرأ البزي : (عَنْهُ تّلَهَّى) بتشديد التاء ، والباقون : بتخفيفها[١] ، وأمال رؤوس الآي من أول السورة إلى (تلَهَّى) : ورش ، وأبو عمرو بخلاف عنهما ، وافقهما على الإمالة : حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وقرأ الباقون : بالفتح[٢] .

روي أن رسول الله ﷺ بعد نزولها ما عبس في وجه فقير قط ، ولا تصدى لغني[٣] ، فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون في تقريب الضعيف من أهل الخير ، وتقديمه على الشريف العاري من الخير ، بمثل ما خوطب النبي ﷺ في هذه السورة ، وهذه الآيات ليس فيها إثبات ذنب له عليه السلام ، بل إعلام الله أن ذلك المتصدَّى له ممن لا يتزكى ، وفعل النبي ﷺ لما فعل وتصدِّيه لذلك الكافر كان طاعة لله ، وتبليغاً عنه واستئلافاً له كما شرعه الله ، لامعصية ومخالفة له .

* * *

---

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٧٢) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٤٣٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧٥) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٢٠) ، و«الغيث» للصفاقسي (ص : ٣٨١) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧٤) .

(٣) انظر : «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٧٠٢) .

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردع على[1] المعاتبَ عليه، وعن معاودة مثله ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي: آيات القرآن ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ موعظة.

* * *

﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ يتضمَّن وعداً ووعيداً على نحو قوله: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [المزمل: ١٩] و﴿ مَـَٔابًا ﴾ [النبأ: ٣٩].

* * *

﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ثم أخبر عن جلالته عنده فقال: ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

* * *

﴿ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ رفيعةِ القدر عند الله ﴿ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴾ من أيدي الشياطين.

* * *

﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾ كَتبَةٍ، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم سافِر.

---

(١) في «ت»: «عن».

﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿ كِرَامٍ ﴾ أي: على الله ﴿ بَرَرَةٍ ﴾ مطيعين، جمع بارّ.

* * *

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ لُعن الكافرُ ﴿ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ بنعم الله تعالى مع إحسانه إليهْ على طريق التعجب، نزلت في عتبة بن أبي لهب(١).

* * *

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ لفظه استفهام، ومعناه التقرير.

* * *

﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ثم فسر فقال: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ أطواراً: نطفة، ثم علقة، إلى آخر خلقه.

* * *

﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ ﴾ نصب بمضمر يفسره ﴿ يَسَّرَهُۥ ﴾ بيَّنَ له سبيلَ الخير والشر.

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» عن عكرمة، كما ذكر السيوطي في «لباب النقول» (ص: ٢٢٧). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٣٨).

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ جعله في قبر يستره، قبرته: دفنته.

* * *

﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ ﴾ بعدَ القبر ﴿ أَنشَرَهُۥ ﴾ أحياه. واختلاف القراء في الهمزتين من (شَاءَ أَنْشَرَهُ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

* * *

﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ كَلَّآ ﴾ رد(١) لما عسى أن يكون للكفار من الاعتراضات في هذه الأقوال المسرودة ﴿ لَمَّا ﴾ أي: لم ﴿ يَقْضِ ﴾ الإنسان ﴿ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ ما فرض عليه، نفي مؤكِّد لطاعة الإنسان لربه، وإثبات أنه تركَ حقَّ الله، ولم يقض أمره.

* * *

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ فليتفكر عُتْبَةُ في أول طعامه الذي يأكله كيف يصير في آخره من حال إلى حال، فكذلك يتفكر في حياته، ثم في آخرها كيف يصير من حال إلى حال.

---

(١) «رَدٌّ» زيادة من «ت».

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ثم بين تحويله فقال: ﴿أَنَّا﴾ قرأ الكوفيون: (أَنَّا) بفتح الهمزة على نية تكرير الخافض، مجازه: فلينظر إلى أَنَّا، وافقهم رويس عن يعقوب وصلاً، وقرأ الباقون: بكسر الهمزة على الاستئناف، وافقهم رويس في الابتداء(١).

﴿صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ من السماء؛ يعني: المطر.

***

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ بالنبات.

***

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير مما يتغذى به.

***

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ وهو القَتُّ الرطبُ؛ وسمي به؛ لأنه يُقضب مرة بعد مرة؛ أي: يقطع، واختلف في تفسير القت، فقيل: هو حب الغاسول، وهو

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧٦).

الأشنان، وقيل: هو حب يابس أسود، يُدفن فيلين قشره، ويزال، ويطحن ويخبز، يقتاته أعراب طيء[1].

***

﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو ما يُعصر منه الزيت ﴿ وَنَخْلًا﴾ جمع نخلة.

***

﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَحَدَآئِقَ﴾ بساتين ﴿ غُلْبًا﴾ غلاظ الأشجار، واحدها أغلب.

***

﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَفَٰكِهَةً﴾ يريد: ألوان الفواكه ﴿ وَأَبًّا﴾ هو ما ترعاه البهائم.

***

﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ مَّتَٰعًا﴾ مصدر؛ أي: منفعة ﴿لَّكُمْ﴾ يعني: الفاكهة.

﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ يعني: العشب.

***

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ صيحة القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تصخ الأسماع؛ أي: تبالغ في إسماعها حتى تكاد تُصِمُّها، وهي النفخة الثانية.

---

(١) انظر: «روضة الطالبين» للنووي (٢/ ٢٣٢)، وعنه نقل المصنف رحمه الله.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ .

[٣٤] ثم بين وقتها فقال : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ .

* * *

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ .

[٣٥] ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ .

* * *

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ .

[٣٦] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ لاشتغاله بنفسه ، وعلمه أنهم لا ينفعونه .

* * *

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ .

[٣٧] ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ﴾ أي : حال .

﴿يُغْنِيهِ﴾ يَشْغَلُه عن الاهتمام بشأن غيره .

* * *

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ .

[٣٨] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة من أثر الوضوء .

* * *

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ .

[٣٩] ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ بالسرور ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل .

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ غبار .

* * *

﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ تعلوها ظلمة كالدخان مع الغبرة .

* * *

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الذين يُصنع بهم هذا ﴿ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ الذين جمعوا إلى الكفر الفجور، وهو الفسق، فلذلك يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة، ولا شيء أقبح من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، والله أعلم.

* * *

سورة التكوير

مكية، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: أربع مئة وخمسة وعشرون حرفاً، وكلمها: مئة وأربع كلمات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾.

[١] ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ﴾ رفع بفعل يفسره ﴿كُوِّرَتْ﴾ أي: أظلمت، وأصل التكوير: جمعُ بعض شيء إلى بعض، ثم يلف، فإذا فعل بها ذلك، ذهب ضوءها.

* * *

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ تناثرت من السماء، وتساقطت على الأرض، وذلك لأن النجوم معلقة بالسلاسل، والسلاسل في أيدي الملائكة، فإذا مات مَنْ في السماء والأرض، تساقطت تلك السلاسل من أيدي الملائكة، ثم سقطت النجوم وتناثرت.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ ذُهب بها عن وجه الأرض.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ ﴾ الحواملُ من الإبل التي أتى عليها عشرة أشهر، واحدتها عُشَراء ﴿ عُطِّلَتْ ﴾ تُركت هَمَلاً بلا راع.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ ﴾ كلُّ دوابِّ الأرض(١) ﴿ حُشِرَتْ ﴾ جُمعت بعدَ البعث؛ ليقتص بعض من بعض، فإذا اقتص منها، صارت تراباً.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ **قرأ** ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (سُجِرَتْ) بتخفيف الجيم، والباقون: بتشديدها(٢)؛ أي: أُوقدت وصارت ناراً تضطرم.

* * *

---

(١) في «ت»: «البحر».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨١).

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قُرنت بأشكالها .

روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين[١] الرجل السوء مع الرجل السوء في النار»[٢]. قرأ أبو عمرو: (النُّفُوس زُّوِّجَتْ) بإدغام السين في الزاي في هذا الحرف لا غير[٣].

***

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ ﴾ هي البنت تُدفن حيةً؛ سميت بذلك؛ لما يُطرح عليها من التراب فيؤودها؛ أي: يثقلها حتى تموت، وكان العرب يفعلون ذلك مخافة العار والحاجة ﴿ سُئِلَتْ ﴾ تبكيتاً لقاتلها .

***

﴿ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ لم وُئدت؟ فتقول: قُتلت بغير ذنب. قرأ أبو جعفر: (قُتِّلَتْ) بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها[٤].

---

(١) «بين» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٤٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٤). وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٢).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨١).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴾ [١٠].

[١٠] ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ ﴾ صحفُ الأعمال ﴿ نُشِرَتۡ ﴾ فُتحت وبُسطت، فتقع صحيفة المؤمن في يده فيها مكتوب: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾، وتقع صحيفة الكافر في يده فيها مكتوب: ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب: بتخفيف الشين، والباقون: بتشديدها.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾ [١١].

[١١] ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾ نُزعت عن أماكنها، وطُويت.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴾ [١٢].

[١٢] ﴿ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن ذكوان عن ابن عامر، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (سُعِّرَتْ) بتشديد العين، والباقون: بتخفيفها؛ بخلاف عن أبي بكر راوي عاصم(١).

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴾ [١٣].

[١٣] ﴿ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴾ قُرِّبت للمتقين ليدخلوها.

= (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٤).

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] فذكر الله سبحانه اثني عشر شيئاً، وقال: إذا وقعت هذه الأشياء، فهنالك ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ أي: كلُّ النفوس ﴿ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ من خير وشر.

* * *

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ (لا) زائدة، معناه: أقسم ﴿ بِٱلْخُنَّسِ ﴾ الرواجع، جمع خانسة وخانس.

* * *

﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ونعت (الخنس) ﴿ ٱلْجَوَارِ ﴾ السيارة. قرأ يعقوب: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وقفاً، وأمال فتحة الواو: الدوري عن الكسائي[(١)] ﴿ ٱلْكُنَّسِ ﴾ الغُيَّب، نعت (الْجَوَارِ)، وأصل الخنوس: الرجوع إلى خلف، والكنوس: الاستتار، المراد بها: النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، و[(٢)]سميت بذلك؛ لأنها تخنس؛ أي: ترجع في مجراها؛ وتكنس[(٣)]: أي: تستتر بضوء الشمس كما تستتر الظباء في كنسها؛ أي: بيوتها.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨)، وذكر الإمالة الدمياطي في «إتحاف فضلاء البشر» (ص: ٤٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٥).

(٢) «و» ساقطة من «ت».

(٣) «وتكنس» زيادة «ت».

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ أقبل بظلامه .

* * *

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ انتشر ضوءه بطلوع الفجر ، فشبه ذلك بالتنفس مجازاً .

* * *

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] وجواب القسم : ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي : القرآنَ ﴿ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ على الله ، وهو جبريل عليه السلام ، وأضيف القول إليه ؛ لأنه قاله عن الله سبحانه .

* * *

﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ أي : شديد القوى ﴿ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ ﴾ أي : عند الله .

﴿ مَكِينٖ ﴾ في المنزلة .

* * *

﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ ﴾ أي : في السموات ، يطيعه الملائكة ، ومن طاعتهم أنهم فتحوا أبواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ ، وطاعة

جبريل فريضة على أهل السموات، كما أن طاعة محمد ﷺ فريضة على أهل الأرض ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي.

***

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ خطاب لأهل مكة، وهو أيضاً من جواب القسم، أقسم على أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ﷺ ليس كما يقوله أهل مكة، وذلك أنهم قالوا: إنه مجنون، وما يقوله من عند نفسه.

***

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: رأى محمد جبريل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ على صورته التي خُلق عليها. قرأ ورش[١]، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (رَآكَ) و(رَآهُ) و(رَآهَا) بإمالة الهمزة والراء، وأمال الدوري عن أبي عمرو الهمزة بخلاف عنه، وأمال السوسي الراء، وقرأ الباقون: بالفتح فيهما[٢] ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ مطلع الشمس الأعلى من ناحية المشرق.

***

(١) «ورش» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٥).

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ما غاب عن أهل الأرض من خبر السماء ﴿بِضَنِينٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (بِظَنِينٍ) بالظاء؛ أي: بمتَّهَم، وقرأ الباقون: بالضاد؛ أي: ببخيل بالدعاء به، ورسمُها بالضاد في جميع المصاحف[1].

***

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ﴾ مسترقٍ للسمع ﴿رَّجِيمٍ﴾ مرجومٍ بالكواكب.

***

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ توقيف وتقرير على معنى: أين المذهب لأحد عن هذه الحقائق؟

***

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ عظة للخلق أجمعين.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨-٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٦).

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ ﴾.

[٢٨] وتبدل من ﴿ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ باتباع الحق، وخصص من يشاء الاستقامة بالذكر؛ تشريفاً وتنبيهاً منهم، وذكراً لتكسبهم أفعال الاستقامة.

***

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾.

[٢٩] ولما نزلت هذه الآية، قال المشركون: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فنزل: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾(١) الاستقامة ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ لأن المشيئة في التوفيق إليه ﴿ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ مالكُ الخلائق.

في الحديث: «يا بنَ آدم! تريدُ وأريدُ، فتتعبُ فيما تريد، ولا يكونُ إلا ما أُريد»(٢)، والله أعلم.

*   *   *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٨٤)، عن سليمان بن موسى. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٤٥) دون التصريح أو التلميح إلى أنه حديث أو أثر، وإنما ذكره بياناً وإيضاحاً، ومثالاً مناسباً فمعنى الآية. وقد نقله المؤلف هنا على أنه حديث، والعصمة من الله وحده.

سورة الانفطار

مكية، وآيها: تسع عشرة آية، وحروفها ثلاث مئة وسبعة وعشرون حرفاً، وكلمها: إحدى وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾.

[١] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ انشقَّتْ، وتشقُّقها على غير نظام مقصود، إنما هو انشقاق لتزول بنيتها.

***

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ تساقطت من مواضعها التي هي فيها.

***

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُتح بعضُها إلى بعض، عذبُها ومِلْحُها، فصارت بحراً واحداً.

***

﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ بُحثت وأُخرج ما فيها من الموتى، وهذه أوصاف يوم القيامة.

* * *

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] وجواب (إذا): ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ و(نفسٌ) هاهنا اسمُ جنس، وإفرادها ليبين لذهن السامع حقارتها وقلتها وضعفها عن منفعة ذاتها، إلا من رحم الله تعالى ﴿ مَّا قَدَّمَتْ ﴾ في حياتها من عمل صالح أو سيىء.

﴿ وَأَخَّرَتْ ﴾ مما سَنَّته فعُمل به بعد موتها.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ثم خاطب تعالى جنس ابن آدم، فوقفه على جهة التوبيخ والتنبيه على أي شيء أوجب أن يغتر بربه الكريم فيعصيه، ويجعل له نداً، وغير ذلك من أنواع الكفر، وهو الخالق الموجِدُ بعدَ العدم، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ ﴾ أي: ما دعاك إلى الاغترار.

﴿ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ روي أن النبي ﷺ قرأ: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ فقال: «جَهْلُهُ»(١)، وهذا يترتب في الكافر.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/١٤٦)، عن صالح بن مسمار بلاغاً. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/٣٠٤٨)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوله وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزمخشري (٤/١٦٧).

وفي العاصي: روي أن الله سبحانه إنما ذكر الكريم من بين سائر أسمائه، كأنه لقنه الإجابة حتى يقول: غرني كرمُ الكريم، فهذا من لطف الله بعباده العصاة المؤمنين[1].

* * *

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ ﴾ بعدَ أنْ لم تكن شيئاً ﴿ فَسَوَّىٰكَ ﴾ بأن سوى أعضاءك، وركب فيك العقل، وأنطق لسانك[2].

﴿ فَعَدَلَكَ ﴾ قرأ الكوفيون: بتخفيف الدال؛ أي: صرفَكَ وأمالك إلى ما شاء، وقرأ الباقون: بالتشديد[3]، أي: قَوَّمَك وجعلك معتدلَ الخَلْق والأعضاء.

* * *

﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ أي: في قبيحة أو حسنة، أو مشوهة أو سليمة، ونحو هذا.

* * *

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٦٨) عن بعض أهل الإشارة.

(٢) «لسانك» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٩ـ٩٠).

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ كَلَّا ﴾ ردٌّ على سائر أقوالهم، وردعٌ عنها. **قرأ** أبو عمرو، ورويس بخلاف عنه: (رَكَّبَك كَّلاَّ) بإدغام الكاف، في الكاف، والباقون: بالإظهار(١).

﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ بالحساب، أثبت لهم تكذيبهم بالدين، وهذا الخطاب عام، ومعناه الخصوص. **قرأ** أبو جعفر: (يُكَذِّبُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، ومنهم: حمزة، والكسائي، وهشام يدغمون اللام في التاء(٢).

***

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ رقباء من الملائكة.

***

﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ ﴾.

[١١] ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ يكتبون أعمال بني آدم، و(٣)وصفهم بالكرم الذي هو نفيُ المذامِّ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٠).

(٣) «و» زيادة من «ت».

﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وتقولون ؛ لمشاهدتهم حالكم .

***

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ ﴾ جمعَ برّ، وهو الذي قد اطَّرد بِرُّهُ عموماً، فبرَّ ربَّه في طاعته إياه، وبرَّ أبويه، وبرَّ الناس في جلب ما استطاع من الخير لهم، وغير ذلك ﴿ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ .

***

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ ﴾ يعني : الكفار ﴿ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ بيان لما يكتبون لأجله .

***

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يباشرون حرها بأبدانهم ﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ هو يوم الجزاء .

***

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ لا بدَّ من دخولهم إياها .

***

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ثم فخم شأن يوم الدين فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾.

* * *

﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ثم كرر تعجباً لشأنه فقال: ﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ والخطاب للنبي ﷺ.

* * *

﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ يَوۡمَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يَوْمُ) برفع الميم على معنى: هو يوم، وقرأ الباقون: (يَوْمَ) بالنصب على الظرف(١)، والمعنى الجزاءُ يومَ.

﴿ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ من المنفعة ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ إخبار منه تعالى بضعف الناس(٢) يومئذ، وأنه لا يُغني بعضهم عن بعض، وأن الأمر له ـ تبارك وتعالى ـ كما هو له في الدنيا، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩١).

(٢) «الناس»: ساقطة من «ت».

سورة المطففين

مدنية، وقيل: مكية، وعن ابن عباس: نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ لأنهم كانوا أشدَّ الناس فساداً؛ أي: في هذا المعنى، فأصلحهم الله بهذه السورة[1]، وآيها: ست وثلاثون آية، وحروفها: سبع مئة وأربعون حرفاً، وكلمها: مئة وتسع وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾.

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ معناه: الثبور والحزن والشقاء الأدومُ، ورفعه على الابتداء، المعنى: ثبت الويل واستقر ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الباخسين في الكيل والوزن.

* * *

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)﴾.

[٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: منهم، و(مِنْ) و(عَلَى) يتعاقبان.

﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ الكيلَ والوزنَ.

* * *

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٤٣١).

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾ أي: كالوا أو وزنوا للناس.

﴿ يُخْسِرُونَ ﴾ يُنقصون الكيل والوزن.

* * *

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ ﴾ .

[٤] ثم أدخل همزة الاستفهام على (لاَ) النافية توبيخاً، وليست (أَلاَ) هذه تنبيهاً؛ لأن ما بعد تلك مثبت، وهذا نفي؛ لأن (ألا) التنبيهية إذا حُذفت لا يختل المعنى؛ نحو: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾(١) [الصافات: ١٥١] وإذا حذفت (أَلاَ) هذه، اختل المعنى، فقال:

﴿ أَلَا يَظُنُّ ﴾ أي: يتحقق ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المطففون ﴿ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ .

* * *

﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هو يوم القيامة، فيُسألون عن كيلهم ووزنهم.

* * *

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ ﴾ من قبورهم ﴿ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لأجل أمره تعالى، و(يَوْمَ) منصوب بـ(مَبْعُوثُونَ)، وهذا مما يؤيد أنها نزلت بالمدينة في قوم مؤمنين، وأُريد بها مع ذلك من غَبَرَ من الأمة.

---

(١) في «ت»: «ألا إنهم في سكرتهم يعمهون». قلت: وهو خطأ، وإنما يريد قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ كَلَّآ ﴾ جميع ما في هذه السورة يجوز أن يكون رداً؛ أي: ليس الأمر على ما هم عليه، فليرتدعوا، وتمام الكلام هاهنا، ويحتمل أن يكون استفتاحاً بمنزلة (ألا)، فيتصل بما بعده على معنى: حقاً.

﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ ﴾ ما يكتب من أعمالهم.

﴿ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ هي الأرض السابعة، فيها أرواح الكفار توضع فيه إهانة لهم. قرأ أبو عمرو: (كِتَابَ الْفُجَّار لَّفِي) بإدغام الراء في اللام[١].

* * *

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ ﴾ .

[٨] ثم فخم شأنه، فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ أي: أيُّ شيء أعلمك.

﴿ مَا سِجِّينٌ ﴾؟ ليس مما كنت تعلمه.

* * *

﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ ﴾ .

[٩] ثم بين الكتابَ فقال: ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ أي: هو كتاب.

﴿ مَّرْقُومٌ ﴾ مسطور فيه أعمالُهم، لا ينسى ولا يمحى، حتى يُجَازوا به.

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالحق.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٦).

﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ ﴾ .

[١١] ﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الجزاء، صفةٌ ذامة .

* * *

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ ﴾ هو الذي يتجاوز حدود الأشياء .

﴿ أَثِيمٍ ﴾ مبالغة من[١] آثم . روي عن قنبل ، ويعقوب : الوقف بالياء على (مُعْتَدِي) .

* * *

﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ ﴾ .

[١٣] ﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ جمع أُسْطُورَة، وهي الحكايات التي سُطِرتَ قديماً .

* * *

﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ .

[١٤] ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ ﴾ غطَّى ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ وركبَها كركوب الصدأ الحديد .

﴿ مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ من المعاصي والذنوب. قرأ حفص عن عاصم: (بَلْ) بإظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة، ويبتدىء (رَانَ)، وقرأ الباقون: بإدغام اللام في الراء، ومنهم: حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: يميلون فتحة الراء[٢] .

---

(١) في «ت»: «في».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٨٢)، =

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المؤمنَ إذا أذنب، كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تابَ ونزعَ، واستغفرَ، صُقِلَ قلبُه منها، وإذا زاد، زادت حتى تعلوَ قلبَه، فذلكم الرانُ الذي ذكرَ اللهُ في كتابِه»[1].

***

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ﴾ يعني: الكفار ﴿عَن رَّبِّهِمْ﴾ أي: عن رؤية ربهم.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فمن قال بالرؤية، وهو قول أهل السنة، وعليه اتفاق الأئمة، قال: إن هؤلاء لا يرون ربهم، فهم محجوبون عنه، واحتج بهذه الآية الإمام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ على مسألة الرؤيا من جهة دليل الخطاب، وإلا، فلو حجب الكل، لما أغنى هذا التخصيص، ومن قال بأن لا رؤية، وهو قول المعتزلة، قال في هذه الآية: إنهم محجوبون عن رحمة ربهم وغفرانه.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ ليلة أربع عشرة من الشهر، فقال: «إنَّكم سترونَ ربَّكم كما ترونَ هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته»[2].

= و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٦).

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٥١)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، كتاب: الزهد، باب: ذكر الذنوب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

وتقدم كلام الأئمة الأربعة في ذلك في سورة الأنعام.

* * *

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦)﴾.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ بعد ذلك ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ مباشرو حَرِّ النار دون حائل.

* * *

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)﴾.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ أي: يقول لهم الزبانية توبيخاً: ﴿هَذَا﴾ العذابُ. ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

* * *

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨)﴾.

[١٨] ولما ذكر تعالى كتاب الفجار، عقب ذلك بذكر كتاب ضدهم؛ ليبين الفرق، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ جمع بَرّ، وتقدم تفسيره في أواخر السورة التي قبل هذه. قرأ أبو عمرو، والكسائي، وخلف: (الأَبْرَارِ) بالإمالة، ورواه ورش عن نافع بين بين، واختلف فيه عن حمزة وابن ذكوان، فروي عن الأول: الإمالة، وبين بين، وعن الثاني: الإمالة، والفتح، وقرأ الباقون: بالفتح، وأبو عمرو على أصله بإدغام الراء في اللام[1].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٦).

﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ في السماء السابعة تحت العرش.

قال بعض أهل المعاني: علو بعد علو، وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون(١).

* * *

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ تقديره: وما أدراك ما في عليين؟ على التعظيم.

* * *

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ثم بين فقال: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: مكتوب، وليس بتفسير (عِلِّيِّينَ).

قال ابن عباس: «عملُهم مكتوبٌ في لوح من زَبَرْجَدٍ أخضرَ معلَّقٍ تحتَ العرش»(٢).

* * *

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ﴾ يحضره ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وهم سبعة أملاك من مقربي السماء، من كل سماء ملك مقرب، فيحضره ويشيعه حتى يصعد به إلى ما يشاء الله، ويكون هذا في كل يوم.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٥٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٧٦).

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ .

* * *

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ هي السُّرر في الحِجال، وتقدم في سورة (يٓس).

﴿ يَنظُرُونَ ﴾ إلى ما يسرهم، وإلى الكفار في النار كيف يعذبون.

* * *

﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ بهجةَ التنعيم. قرأ أبو جعفر، ويعقوب: (تُعْرَفُ) بضم التاء وفتح الراء مجهولاً، ورفع (نَضْرَةُ)، وقرأ الباقون: بفتح التاء وكسر الراء معلوماً، ونصب (نَضْرَةَ) مفعولاً[١].

* * *

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ ﴾ وهو الشراب الخالص.

﴿ مَّخْتُومٍ ﴾ على إنائها، فلا يَفُكُّ ختمَهُ إلا الأبرارُ.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٧).

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ قرأ الكسائي: (خَاتَمُهُ مِسْكٌ[١]) بفتح الخاء وألف بعدها من غير ألف بعد التاء، أي: آخره، وقرأ الباقون: بكسر الخاء من غير ألف بعدها وبألف بعد التاء: اسم لما يُختم به، ولا خلاف بينهم في فتح التاء[٢].

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله، وأصله: من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس.

* * *

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: الرحيق ﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾ شراب يُصب عليهم من علو في غرفهم، وهو أشرف شراب في الجنة.

* * *

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا﴾ أي: منها ﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ صِرْفاً، ويمزج رحيقُ الأبرار بها، ونصب (عَيْناً) على الحال من (تَسْنِيمٍ).

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ .

[٢٩] ونزل في الكفار وسخريتهم بالمسلمين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾

---

(١) «مسك» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٧).

اكتسبوا الجرائم ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم.

* * *

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾.

[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ﴾ يعني: المؤمنين بالكفار.

﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ والغمز: الإشارة بالجفن والحاجب.

* * *

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١﴾.

[٣١] ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ أي: الكفار[1] ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾ ومنازلهم ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ قرأ أبو جعفر، وحفص عن عاصم: (فَكِهِينَ) بغير ألف بعد الفاء؛ يعني: فرحين، وقرأ الباقون: بالألف؛ يعني: مُعْجَبين بما هم فيه، واختلف عن ابن عامر[2].

* * *

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾ أي: رأى الكافرون المؤمنين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المؤمنين ﴿لَضَآلُّونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.

* * *

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ۝٣٣﴾.

[٣٣] فقال تعالى: ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ﴾ أي: الكفار.

---

(١) «أي: الكفار» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤ـ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٨).

﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ يردونهم إلى مصالحهم.

* * *

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤﴾.

[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني: في الآخرة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إذا دخلوا الجنة.

﴿مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ كما ضحك الكفارُ منهم في الدنيا، إذا نظروا إليهم من الجنة، وهم في النار يعذبون.

* * *

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝٣٥﴾.

[٣٥] والمؤمنون ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ من الدرِّ والياقوت ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إليهم في النار.

* * *

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾.

[٣٦] قال تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ أي: جوزي ﴿الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: جزاءَ استهزائهم بالمؤمنين، والاستفهام تقرير وتوقيف لمحمد ﷺ وأمته. قرأ حمزة، والكسائي، وهشام: (هَل ثُّوِّبَ) بإدغام اللام في الثاء، والباقون: بالإظهار[1]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٨).

سورة الانشقاق

مكية، وآيها: خمس وعشرون آية، وحروفها: أربع مئة وستة وثلاثون حرفاً، وكلمها: مئة وسبع كلمات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ١ ﴾.

[١] ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ تفطَّرت لهول يوم القيامة، وانشقاقُها من علامات الساعة.

***

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ٢ ﴾.

[٢] ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ استمعت وسمعت أمره ونهيه[١].

﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أي: وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع خالقها.

***

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ زالت جبالها حتى لا يبقى فيها عوج وزيد في سَعَتها.

---

(١) «ونهيه» زيادة من «ت».

وفي الحديث: «إن الله تعالى يمد الأرض يوم القيامة مدَّ الأديم العكاظي»[1].

* * *

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ﴾ من الكنوز والموتى إلى ظاهرها.

﴿ وَتَخَلَّتْ ﴾ خلت عما كان فيها، ولم تتمسك منهم بشيء.

* * *

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ ليس بتكرار الإذن[2]، الأول للسماء، والثاني للأرض، وجواب (إِذَا) محذوف؛ للتهويل بالإبهام، يدل عليه: ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ﴾ المعنى: إذا كان يوم القيامة، لقي الإنسان عمله، وقيل: هو على: اذكر إذا السماء انشقت.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] وقيل: جوابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ مخاطبة للجنس، والفاء مضمرة؛ كأنه قال: فيا أيها الإنسان.

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٥٦)، ورواه نحوه: إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٥٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٢٢)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (ص: ٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل.

(٢) في «ت»: «لأن».

﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ أي: ساع باجتهاد ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى وقت لقائه تعالى، وهو الموت ﴿ كَدْحًا﴾ والكدح: جهد النفس في العمل.

﴿ فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: ملاقٍ جزاءَ عملِك من خير وشر.

* * *

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ أي: كتابَ أعماله ﴿ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهو المؤمن.

* * *

﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلاً بلا مناقشة.

* * *

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ المؤمنين في الجنة بعد الحساب ﴿ مَسْرُورًا﴾ بما أُعد له فيها.

* * *

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ وهو الكافر تُغَلُّ يمناه، وتُخلع يسراه، وتُجعل وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

* * *

﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾.

[١١] فإذا رأى ما فيه ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ ينادي هلاكه.

﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَيَصْلَىٰ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي: بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام مجهولاً؛ أي: يُدْخِلُه غيرهُ، وقرأ الباقون: بفتح الياء وإسكان الصاد وتخفيف اللام[1]؛ أي: يدخل هو ﴿ سَعِيرًا ﴾.

روي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة بن عبد الأسد، وفي أخيه أبي الأسود، وكان أبو سلمة من أفضل المؤمنين، وهو أول من هاجر إلى النبي ﷺ، وأخوه من عتاة[2] الكافرين[3].

* * *

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: لأنه ﴿ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ ﴾ عشيرته ﴿ مَسْرُورًا ﴾ بَطِراً بارتكاب هواه دون معرفة الله.

* * *

﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ يرجعَ إلى الله، والظن هنا على بابه بمعنى الحسبان، لا الظن الذي بمعنى اليقين والعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٢).

(٢) في «ت»: «عثاة».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية(٥/ ٤٥٧)، و«تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٧٢).

﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ أي: ليس كما ظن، بل يحور إلينا ويُبعث.

﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ من يوم خلقه إلى أن يبعثه.

* * *

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾ (لا) زائدة، والتقدير: فأقسم، وقيل: (لا) رد على أقوال الكفار، وابتدأ القول (أُقْسِمُ)، وقسم الله بمخلوقاته فإنه على جهة التشريف لها، وتعريضها للعبرة؛ إذ القسم بها[1] منبه منها.

﴿ بِٱلشَّفَقِ ﴾ الحمرةِ التي تبقى في الأفق بعد مغيب الشمس، وبسقوطها يدخل وقت العشاء عند الأئمة الثلاثة، وعند أبي حنيفة: هو البياض بعد الحمرة؛ خلافاً لصاحبيه، وتقدم الكلام في ذلك في سورة الروم، وسمي به؛ لرقته؛ من الشفقة.

* * *

﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ جمعَ وضَمَّ، وذلك أن الليل إذا أقبل، أقبل كلُّ شيء إلى مأواه مما كان منتشراً بالنهار.

* * *

---

(١) «بها» زيادة من «ت».

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ ﴾.

[١٨] ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ امتلأ في الليالي البيض.

* * *

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ ﴾.

[١٩] وجواب القسم: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لَتَرْكَبَنَّ) بفتح الباء خطاباً للإنسان من (يَا أَيُّها الإِنْسَانُ)، وقرأ الباقون: بالضم خطاباً لجنس الإنسان(١)، المعنى: لتركبن الشدائد: الموت والبعث والحساب.

﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ حالاً بعد حال.

* * *

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ ﴾.

[٢٠] ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ استفهام إنكار.

* * *

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ أي: لا يصلُّون. قرأ أبو جعفر: (قُرِيَ) بفتح الياء، والباقون: بالهمز، وقرأ ابن كثير: (القُرَانُ) بالنقل، والباقون: بالهمز(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٣).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٦)، وقراءة ابن كثير في=

وهذا محل سجود عند الثلاثة؛ خلافاً لمالك، وهم على أصولهم في قولهم بالوجوب والسنية، كما تقدم اختلافهم ملخصاً عند سجدة مريم.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[1].

* * *

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾.

[٢٢] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ بالقرآن والبعث.

* * *

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾.

[٢٣] ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صدورهم.

* * *

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استهزاء بهم.

* * *

= «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٤).

(١) رواه مسلم (٥٧٨)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ استثناء منقطع .

﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴾ أي : معدود عليهم محسوب منغَّص بالمن، والله أعلم .

* * *

سُورَةُ البُرُوجِ

مكية، وآيها: اثنتان وعشرون آية، وحروفها: أربع مئة وأربع وستون حرفاً، وكلمها: مئة وتسع كلمات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١)﴾.

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ هي المنازل التي عرفتها العرب، وهي اثنا عشر على ما قسمته، وهي التي تقطعها الشمس في سنة، والقمر في ثمانية وعشرين يوماً، وتقدم ذكرها في سورة يونس، وفي الفرقان.

* * *

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢)﴾.

[٢] ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة.

* * *

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣)﴾.

[٣] ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة؛ لأنه يشهد على كل عامل بعمله ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة؛ لأن الناس يشهدون مواسم الحج، وتشهده

الملائكة، وقيل في شاهد ومشهود غيرُ ذلك.

* * *

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] وجواب القسم محذوف؛ كأنه قيل: إنهم ملعونون؛ يعني: كفار مكة؛ كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل: الجواب.

﴿ قُتِلَ ﴾ أي: لُعن ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ وهو شق مستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد، وأصحاب الأخدود كانوا ثلاثة، وهم أنطاليوس الرومي بالشام، وبخت نصر بفارس، ويوسف ذو نواس بنجران، شق كل واحد منهم شقاً عظيماً في الأرض، وكان طوله أربعين ذراعاً، وعرضه اثني عشر ذراعاً، وهو الأخدود، وملؤوه ناراً، وقالوا من لم يكفر، وإلا ألقي فيه، فمن كفر، تُرك، ومن أبى، أُلقي فيه، وقيل: إن القرآن إنما نزل في التي بنجران[1]، وفي ذلك خلاف يطول ذكره.

* * *

﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ ٱلنَّارِ ﴾ بدل من ﴿ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ بدل اشتمال ﴿ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ والوقود ـ بفتح الواو ـ: ما يوقد به.

* * *

﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا ﴾ أي: حولها على جانب الأخدود على الكراسي.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٠).

﴿قُعُودٌ﴾ يعذبون الناس روي أنه احترق عشرون ألفاً.

***

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَهُمْ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ من التعذيب ﴿شُهُودٌ﴾ حضور.

***

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨﴾.

[٨] ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ أي: عابوا ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ فلذلك أحرقوهم، وهذا الاستثناء نحو:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

ووصفه بكونه عزيزاً غالباً يُخشى عقابُه، حميداً منعماً يرجى ثوابه[١].

***

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾.

[٩] وقرر ذلك بقوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أفعالهم ﴿شَهِيدٌ﴾ للإشعار بما يستحق أن يؤمن به ويعبد.

***

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٧٣٣).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ﴾ عذبوا ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ بالإحراق.

﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ بكفرهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ أشد من الأول؛ بإحراقهم المؤمنين، وجهنم والحريق طبقتان من النار.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه.

* * *

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ ﴾ أي: أخذه بالعذاب ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ مضاعف عنفُه.

* * *

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ ﴾ الخلقَ بخلقهم ابتداءً ﴿ وَيُعِيدُ ﴾ خلَقهم عند البعث.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ﴾ لمن تاب ﴿ ٱلۡوَدُودُ ﴾ المتودِّد إلى أوليائه بالمغفرة .

* * *

﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ ﴾ .

[١٥] ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ﴾ خالقُه ﴿ ٱلۡمَجِيدُ ﴾ العظيم في ذاته. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الْمَجِيدِ) بالجر نعتاً للعرش، وقرأ الباقون: بالرفع نعتاً للغفور[1]؛ لأن المجد هو النهاية في الكرم، والله تعالى هو المنعوت بذلك.

* * *

﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ ﴾ .

[١٦] ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ لا يمتنع عليه شيء يريده .

* * *

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ ﴾ .

[١٧] ﴿ هَلۡ ﴾ أي: قد ﴿ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴾ خبرُ الجموع الكافرة .

* * *

﴿ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ۝١٨ ﴾ .

[١٨] ثم بين تعالى من هم فقال: ﴿ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴾ وهذا تنبيه لكفار

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٨).

مكة بما جرى للهالكين قبلهم؛ ليتعظوا بهم، فيؤمنوا.

* * *

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] فلما لم يؤمنوا، قيل إضراباً عنهم: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قومك يا محمد.

﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ لك وللقرآن؛ كدأبِ مَنْ قبلهم.

* * *

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ قدرتُه مشتملة عليهم، فلا يُعجزه منهم أحد.

* * *

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: ما كذبوا به.

﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ عظيم القدر. قرأ ابن كثير: (قُرَانٌ) بالنقل، والباقون: بالهمز[1].

* * *

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ لا يدركه الخطأ والتبديل. قرأ نافع: (مَحْفُوظٌ)

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢١) من سورة الانشقاق.

بالرفع صفة لقرآن، وقرأ الباقون: بالجر صفة اللوح[1]، وهو اللوح المشهور بهذه الصفة، وهو في جبهة إسرافيل ـ عليه السلام ـ، قاله أنس، وقال ابن عباس: «هو من دُرَّةٍ بيضاءَ، طولُه ما بين السماء والأرض، وعرضُه ما بين المشرق والمغرب»[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٩ـ١١٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٢)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٩٨).

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية، وآيها: سبع عشرة آية، وحروفها مئتان وثمانية وأربعون حرفاً، وكلمها: إحدى وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١)﴾.

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ هي السماء المعروفة ﴿وَالطَّارِقِ﴾ النجم؛ لأنه يطرق؛ أي: يطلع ليلاً، وكلُّ ما ظهر(١) أو أتى ليلاً، فهو طارق.

* * *

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢)﴾.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ عبر عنه أولاً بوصف عام.

* * *

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)﴾.

[٣] ثم فسره بما يخصه تفخيماً لشأنه فقال: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ المضيء؛

---

(١) «ظهر» ساقطة في «ت».

لثقبه الظلام بضوئه، وهو الثريا الذي تطلق عليه العرب اسم النجم معرفاً، وقيل: زحل.

* * *

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾.

[٤] وجواب القسم: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾ (إنْ) مخففة من الثقيلة ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا﴾. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (لَمَّا) بتشديد الميم بمعنى (إلا) عليها، وقرأ الباقون: بتخفيفها صلة مؤكدة[١]، مجازه: إنْ كلُّ نفسٍ لَعليها.

﴿حَافِظٌ﴾ من الملائكة يحصي أعمالها، ويعدها للجزاء عليها، وبهذا الوجه تدخل الأمة في الوعيد الزاجر.

* * *

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نظرَ اعتبار ﴿مِمَّ﴾ أي: من أي شيء ﴿خُلِقَ﴾ وقف البزي، ويعقوب بخلاف عنهما: (مِمَّهْ) بزيادة هاء بعد الميم.

* * *

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾.

[٦] وجواب الاستفهام: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ أي: مدفوق، ونسبة الدفق

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١٣-١١٤).

إلى الماء مجاز، والمراد: ماء الرجل وماء المرأة؛ لأن الولد منهما يكون، فإذا اعتبر أصله، علم أن القادر على ذلك قادر على البعث.

* * *

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ يَخْرُجُ ﴾ أي: ينزع ﴿ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ ﴾ من الرَّجل، وهو الظهر.

﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ جمع تريبة[١]، وهي عظام الصدر من المرأة.

* * *

﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: الله تعالى ﴿ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ ﴾ أي: ردِّ الإنسان حياً بعد موته.

﴿ لَقَادِرٌ ﴾ يرجعه.

* * *

﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ تُختبر الضمائر.

عن النبي ﷺ: «إنَّ السرائرَ التي يبتليها اللهُ من العباد: التوحيدُ، والصلاةُ، والزكاةُ، والغسلُ من الجنابة»[٢].

---

(١) في «ت»: «تربية».

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٥١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه. انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٦٦).

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ فَمَا لَهُۥ ﴾ لمنكر البعث ﴿ مِن قُوَّةٍ ﴾ يمتنع بها من العذاب .

﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ ينصره منه .

* * *

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ﴾ تحتمل في هذا القَسَم أن تكون المعروفة، وتحتمل أن تكون السحاب ﴿ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾ أي: المطر، وسمي رجعاً؛ لرجوعه في كل أوان وكل وقته .

* * *

﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ الشق عن النبات، المعنى: أنه تعالى أقسم بهما إيماءً إلى المنة عليهم .

* * *

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] وجواب القسم: ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ محكم بين الحق والباطل .

* * *

﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ باللعب، والهزل: ما استعمل في غير ما وضع

له من غير مناسبة، والجد: ضده، وهو أن يقصد به المتكلم حقيقة كلامه.

***

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ.

***

﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ جزاء كيدهم؛ بإمهالي لهم؛ ثم أنتقم منهم، وسمى عقابهم كيداً على العرف في تسمية العقوبة باسم الذنب.

***

﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ﴾ وعيد من الله، وفيه إشعار أن عقابهم متأخر حتى ظهر ببدر وغيره ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ قليلاً، ومَهَّل وأمهلَ معناهما: الانتظار، و﴿ رُوَيْدًا ﴾ مصدر تصغير رَوْد، وفي هذه الآية موادعة نسختها آية السيف، والله أعلم.

* * *

سورة الأعلى

جلّ وعلا

مكية في قول الجمهور، وقيل: مدنية، وآيها: تسع عشرة آية، وحروفها: مئتان وستة وثمانون حرفاً، وكلمها: اثنتان وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١)﴾.

[١] ﴿سَبِّحِ﴾ أي: نزِّه ﴿ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ عن النقائص، وما يقول المشركون، و(الاسم) الذي هو ألف سين ميم تارة يأتي في مواضع يراد به المسمى، وتارة يراد به التسمية نفسها؛ نحو قوله ﷺ: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً»(١)، وهذه الآية تحتمل الوجهين، فعلى الأول يكون صلة كالزائد، تقديره: سبح ربَّك؛ أي: نزهه، وعلى الثاني يكون المعنى: نزه اسمَ ربك عن أن يُسمى به صنم أو وثن، فيقال له: إله ورب، ونحو ذلك، والأعلى يصح أن يكون صفة للرب، وأن يكون صفة للاسم.

وكان ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحانَ رَبِّيَ الأَعْلى»، وفعله جماعة

---

(١) تقدم تخريجه.

من الصحابة، ولما نزلت هذه الآية، قال ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»[1]، وتقدم اختلاف الأئمة في ذلك آخر سورة الواقعة.

* * *

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: عدل مخلوقه، وأتقنه مستوياً.

* * *

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ قرأ الكسائي: بتخفيف الدال؛ من القدرة، والباقون: بتشديدها؛ من التقدير[2].

﴿فَهَدَىٰ﴾ كلاً إلى مصلحته، وهو عام لوجوه الهدايات في الإنسان والحيوان.

روي أن الحية تعمى كل سنة في الشتاء من أكل التراب، فتمسح عينيها بورق الرازيانج الأخضر، فتبصر بقدرة الله تعالى[3].

* * *

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾.

[٤] ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أنبتَ العشبَ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١٧-١١٨).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٦).

﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ فَجَعَلَهُۥ ﴾ بعدَ الخضرة ﴿ غُثَآءً ﴾ هشيماً بالياً ﴿ أَحْوَىٰ ﴾ أسودَ، نعت (غُثَاءً).

* * *

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ ﴾ .

[٦] ولما كان ﷺ يسابق جبريل ـ عليه السلام ـ إذا قرأ عليه القرآن؛ خوفَ النسيان، نزل: ﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾ نعلمك القرآنَ ﴿ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ فلم ينس ﷺ بعد ذلك شيئاً؛ لأنه إخبار منه تعالى، وإخباره صدق، و(لا) نفي، وليست نهياً.

* * *

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ أن تنساه على سبيل النسخ، وفي هذا التأويل آية للنبي ﷺ في أنه أمي، وحفظ الله عليه الوحي، وأمنه من نسيانه ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ تعالى ﴿ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ ﴾ من الأشياء ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ منها.

* * *

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ نذهب بك نحو الأمور المستحسنة في دنياك وآخرتك؛ من النصر والظفر، وعلو الرسالة والمنزلة يوم القيامة، والرفعة في الجنة.

* * *

﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ ﴾ .

[٩] ﴿ فَذَكِّرۡ ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ المعنى: نفعت أو لم تنفع، فاقتصر على القسم الواحد؛ لدلالته على الثاني.

* * *

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴾ اللهَ والدارَ الآخرة، وهم العلماء والمؤمنون، كلٌّ بقدر ما وفق.

* * *

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ﴾ .

[١١] ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ﴾ أي: يتجنب الذكرى ونفعَها.

﴿ ٱلۡأَشۡقَى ﴾ الذي سبقت له الشقاوة بالكفر.

* * *

﴿ ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ﴾ .

[١٢] ﴿ ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ الشديدةَ، وهي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا.

قال ﷺ: «نارُكم هذه جزءٌ من سبعينَ جزءاً من نار جهنم»[١].

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٠٩٢)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار، ومسلم (٢٨٤٣)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة تنفعه.

* * *

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ أي: فاز ببغيته ﴿ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ تطهر من الشرك بالإيمان.
وتقدم مذهب ورش وحمزة في النقل في قوله: (قَدْ أَفْلَحَ) في أول سورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ ﴾ وحَّدَه ﴿ فَصَلَّىٰ ﴾ الصلواتِ التي فرض عليه، وتنفَّلَ بما أمكنه من صلاة وبر.

وروي أن هذه الآية في صبيحة يوم الفطر، ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ ﴾ هو ذكر الله في طريق المصلى، وتكبيرات العيد، والصلاة: هي صلاة العيد، وقد روي هذا التفسير عن النبي ﷺ، وعن أبي سعيد الخدري في قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾، قال: «أَعْطى صدقةَ الفطر»(١)، قال بعضهم: لا أدري ما وجه هذا التأويل؛ لأن هذه السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد، ولا زكاة فطر.

قال البغوي(٢): يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال:

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر في «تفسيريهما»، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٥).

(٢) في «تفسيره» (٤/ ٦٠٠).

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢]، فالسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح، حتى قال ﷺ: «أُحِلَّت لي ساعةً من نهار»[1].

وتقدم الكلام على صلاة العيد، والاختلاف فيها، وصفتها في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: ١٨٥]، وحكم التكبير ووقته وصفته فيها أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [الآية: ٢٠٣]، وحكم الصلوات الخمس وأوقاتها، والخلاف فيها في سورة الروم، وحكم زكاة الفطر والخلاف فيها في سورة التوبة عند ذكر الزكوات.

***

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ أي: تقدِّمون وترجون[2] ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على الآخرة، فالكافر يؤثرها إيثارَ كفر، يرى أن لا آخرةَ، والمؤمنُ يؤثرها إيثار معصية، وغلبة نفس، إلا من عصم الله. قرأ أبو عمرو: (يُؤْثِرُونَ) بالغيب رداً إلى جنس (الأَشْقَى)، وقرأ الباقون: بالخطاب[3]، دليله[4] قراءة

---

(١) رواه البخاري (١١٢)، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، ومسلم (١٣٥٥)، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «أي: تقدمونه وترجون» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٢).

(٤) «دليله» زيادة من «ت».

أُبي بن كعب (بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ)، وحمزة، والكسائي، وهشام: يدغمون اللام في التاء، والباقون: يظهرونها[1]، وأمال رؤوس الآي من لدن (الأَعْلَى) إلى (وَمُوسَى): ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، وقرأها الباقون: بالفتح[2].

***

﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ أَدْوَمُ من الدنيا وأفضل.

***

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ إِنَّ هَٰذَآ ﴾ يعني: ما ذكر من قوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ إلى هنا [بمعنى فلاح المتزكين والذاكرين والمصلين ومؤثري الآخرة على الدنيا][3].

﴿ لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ المنزلة قبل، لم ينسخ في شرع من الشرائع.

***

﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ثم بين الصحف فقال: ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ وصحفُ إبراهيم كانت بالسريانية، وصحف موسى بالعبرانية، وتقدم ذكر عدد الكتب المنزلة

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

على الأنبياء في سورة النجم عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [الآيتان: ٣٦-٣٧] وتقدم هناك ما ذكر في صحف إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وقد نقل من صحف موسى ـ عليه السلام ـ: يقول الله ـ عز وجل ـ: «يا بن آدمَ! اعمل لنفسك قبل نزولِ الموت بك، ولا تغرنك الخطيئة؛ فإن على آثارها السفر، ولا تلهك الحياة وطول الأمل عن التوبة، فإنك تندم على تأخيرها حين لا ينفعك الندم، يا ابن آدم! إذا لم تخرج حقي[1] من مالي الذي رزقتك إياه، ومنعتَ منه الفقراءَ حقوقَهم، سلطتُ عليك جباراً يأخذه منك، ولا أُثيبك عليه»[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) «حقي» زيادة من «ت».

(٢) لم أقف عليه.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مكية، وآيها: ست وعشرون آية، وحروفها: ثلاث مئة وأحد وسبعون حرفاً، وكلمها: اثنتان وتسعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)﴾.

[١] ﴿هَلْ﴾ أي: قد ﴿أَتَاكَ﴾ وقيل: (هل) على بابها توقيف، فائدتُها تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر، وقيل: المعنى: هل كان هذا من علمك لولا ما علمناك؟ ففي هذا التأويل تعديد النعمة.

﴿حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى العالم كله بهولها وتغييرها لبنيته.

* * *

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢)﴾.

[٢] ﴿وُجُوهٌ﴾ مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف الخبر، وهو ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة متغيرة بالعذاب، نعت الخبر:

* * *

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ .

[٣] ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ تعمل في النار عملاً تتعب فيه؛ لأنها تكبرت عن العمل لله في الدنيا، فأعملَها في الآخرة في ناره.

روي أنها نزلت في القسيسين، وعبَّادِ الأوثان، وكلِّ مجتهدٍ في كفر[١]، وإليه ذهب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في تأويلها.

***

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ .

[٤] ﴿تَصْلَىٰ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: بضم التاء مجهولاً، وقرأ الباقون: بفتحها معلوماً[٢]؛ أي: تدخل ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾ شديدة الحر.

***

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ .

[٥] ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ قد انتهى حرها. قرأ هشام: (آنِيَةٍ) بإمالة فتحة الهمزة[٣].

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٣)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٧٢)، و«تفسير الثعالبي» (٤/ ٤٠٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٧ـ١٢٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٩).

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ هو نبت ذو شوك يقال لرطبه: الشبرق، وهو مرعى سوء لا تعقد السائمة عليه شحماً ولا لحماً، فإذا يبس، سموه ضريعاً؛ أي: مضعِفاً للبدن مُهْزِلاً.

* * *

﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ والمقصودُ من الطعام أحدُ الأمرين.

* * *

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ ﴾ .

[٨] ولما ذكر تعالى وجوه أهل النار، عقب ذلك بذكر وجوه أهل الجنة؛ ليبين الفرق، فقال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ أي: ذات حسن وبهجة.

* * *

﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ لِّسَعْيِهَا ﴾ لعملها في الدنيا ﴿ رَاضِيَةٌ ﴾ لما رأت ثوابه في الآخرة.

* * *

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ علية المحل.

* * *

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وورش: (يُسْمَعُ) بياء مضمومة على التذكير مجهولاً فاعله (لَاغِيَةٌ) بالرفع، وذكَّر الفعل؛ للفصل، ولأن لاغية ولغواً واحد، وهو ساقط الكلام وهذيانه، وقرأ نافع كذلك، إلا أنه بالتاء على التأنيث، وقرأ الباقون: بالتاء مفتوحة معلوماً خطاباً للنبي ﷺ ونصب ﴿لَٰغِيَةً﴾ مفعولاً به(١).

* * *

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ﴾ أي: عيون ﴿جَارِيَةٌ﴾ بالماء لا تنقطع، والتنكير للتعظيم.

* * *

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ ذاتاً وقدراً.

* * *

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ هي أوانٍ كالأباريق، لا عرا لها ولا آذان ولا خراطيم.

﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ بأشربتها مُعَدَّة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٩-١٣٠).

﴿ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ ﴾.

[١٥] ﴿ وَنَمَارِقُ ﴾ وسائدُ ﴿ مَصۡفُوفَةٞ ﴾ بعضُها إلى بعض.

* * *

﴿ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾.

[١٦] ﴿ وَزَرَابِيُّ ﴾ بُسُطٌ عِراضٌ ﴿ مَبۡثُوثَةٌ ﴾ مبسوطة.

* * *

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ ﴾.

[١٧] ثم أقام تعالى الحجة على منكري قدرته على بعث الأجساد؛ بأن وقفهم على مواضع العبرة في مخلوقاته، فقال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ ﴾ نظرَ اعتبار ﴿ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾ والمراد: الجمال المعروفة؛ فإنها مع عِظَم خلقها طَيِّعة منقادة لما يراد منها، ويحمل عليها، وتنهض به، ولم يذكر الفيل؛ لأنه لم يكن بأرض العرب، فلم[١] تعرفه، ولا يحمل عليه عادة، ولا يُحْلب دَرُّه، ولا يؤمَن ضرُّه.

* * *

﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ ﴾.

[١٨] ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴾ بلا عَمَد.

* * *

﴿ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ ﴾.

[١٩] ﴿ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴾ فهي راسخة لا تزول.

---

(١) «فلم» ساقطة من «ت».

﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ بُسطت للسير فيها، والاستقرار عليها، وقرنت الإبل مع السماء والجبال والأرض؛ لأن الآية نزلت استدلالاً على مخلوقات الله تعالى، وهم كانوا أشد ملابسة لهذه الأشياء من غيرها.

* * *

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ ليس عليك إلا البلاغ.

* * *

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ بمسلَّط تُكرِههم على الإيمان، ونسخت بآية السيف. قرأ هشام: (بِمُسَيْطِرٍ) بالسين، وحمزة: بين الصاد والزاي؛ بخلاف عن رواية خلاد، والباقون: بالصاد[1].

* * *

﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِلَّا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن ﴿ مَن تَوَلَّىٰ ﴾ عن الإيمان ﴿ وَكَفَرَ ﴾ بالقرآن.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٣٢).

﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ عذابَ جهنم، والأصغرُ: ما عُذِّبوا به في الدنيا من الجوع والقتل والأسر.

* * *

﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ رجوعَهم. **قرأ** أبو جعفر: (إِيَّابَهُمْ) بتشديد الياء، مصدر أَيَّبَ، وأصله أَوَّاب فَعّال، ثم قيل: أَيْواب، ثم قلبت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء، **وقرأ** الباقون: بتخفيفها[1]، أصله إِواب، قلبت الواو ياء؛ لانكسار ما قبلها.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ جزاءَهم على أعمالهم، والحساب: المكافأة، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٣٣).

سُورَةُ الفَجْرِ

مكية على الأصح، وآيها: ثلاثون آية، وحروفها: خمس مئة وسبعة وستون حرفاً، وكلمها: مئة وسبع وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (١)﴾.

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ هو انفجار الصبح كلَّ يوم، أقسم الله تعالى به كما أقسم بالصبح.

* * *

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)﴾.

[٢] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هي العشر الأوائل(١) من ذي الحجة. روي عن يعقوب، وقنبل(٢): الوقف بالياء على (لَيَالِي).

* * *

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣)﴾.

[٣] ﴿وَالشَّفْعِ﴾ الخَلْق، خُلقوا أزواجاً ﴿وَالْوَتْرِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي،

---

(١) في «ت»: «الأول».

(٢) في «ت»: «قنبل ويعقوب».

وخلف: بكسر الواو، والباقون: بفتحها[1]، ومعناهما: الفرد، وهو الله سبحانه؛ إذ هو الواحد محضاً، وسواه ليس كذلك.

* * *

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾.

[٤] ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ مقبلاً ومدبراً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يَسْرِي) بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين، حذفت تخفيفاً، واجتزىء عنها بالكسرة لاعتدال رؤوس الآي؛ إذ هي فواصل كالقوافي، قال اليزيدي: الوصل في هذا وما أشبهه بالياء، والوقف بغير ياء، على خط المصحف[2].

* * *

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾.

[٥] ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ المقسَمِ به ﴿قَسَمٞ﴾ مقنعٌ ومكتفى ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾ أي: عقلٍ، فيزدجر وينظر في آيات الله، وسمي العقل حِجْراً؛ لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٣٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٣ـ٦٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٨ـ٦٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٣٨ـ١٣٩).

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ ﴾ .

[٦] ثم توعد قريشاً[١]، ونصب المثلَ لها، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ هي قبيلة من عاد نسبوا إليه، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهم قوم هود، سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه.

* * *

﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ إِرَمَ ﴾ عطف بيان لـ(عاد) على تقدير مضاف؛ أي: سبط إرم، ولم ينصرف؛ للتعريف والتأنيث، وإن جعل اسمَ رجل، فلم يُصرف لعجمته وتعريفه.

﴿ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ ذات البناء الرفيع؛ أي: إن مدينتهم كانت ذات أساطين، وقيل: المراد بالعماد: الأعمدة؛ لأنهم كانوا أصحاب عمد وخيام، يطلبون الكلأ حيث كان، وقيل: إرم ذات العماد: اسمُ مدينتهم دمشقُ أو الإسكندرية.

* * *

﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾ مثلُ قبيلتهم أو مدينتهم ﴿ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ .

روي أن شدَّاد بنَ عاد بنى مدينة عظيمة لم يُر مثلُها حسناً وعظماً، بناها في ثلاث مئة سنة، وعاش تسع مئة سنة، وملك جميع الأرض بعد موت

---

(١) «ثم توعد قريشاً» زيادة من «ت».

أخيه شديد، فلما تم بناؤها، قصدها ليدخلها هو وأصحابه، فلما قربوا منها، صيح بهم، فهلكوا جميعاً(١).

* * *

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾.

[٩] ﴿وَثَمُودَ﴾ عطف على (عاد) ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟﴾ قطعوا ﴿ٱلصَّخْرَ﴾ واتخذوها بيوتاً ﴿بِٱلْوَادِ﴾ وادي القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشام. قرأ ورش: (بِالْوَادِي) بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً؛ بخلاف عن قنبل في الوقف، والباقون: بحذفها في الحالين(٢).

* * *

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾.

[١٠] وتعطف على (عاد) أيضاً ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ سمي بذلك؛ لأنه كان يَتِدُ أربعةَ أوتاد يشد إليها من يعذبه بأنواع العذاب.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١﴾.

[١١] ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟﴾ يعني: عاداً وثمود وفرعون ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ عملوا في الأرض بالمعاصي والطغيان، وتجاوزوا الحدود.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦١٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤١).

﴿ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ بالكفر والقتل.

* * *

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ يعني: لوناً من العذاب، واستعمل الصَّبُّ في السوط؛ لأنه يقتضي سرعة في النزول، وخصَّ السوط بأن يستعار للعذاب؛ لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره.

* * *

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] وجواب القسم قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ يرى ويسمع، لا يعزُب عنه شيء، فيجازيهم بما يصدر منهم، واعترض بين القسم وجوابه قولُه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، يخوف أهل مكة كيف أهلكهم، وكانوا أطول أعماراً، وأشد قوة.

* * *

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ونزل في كل كافر: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ ﴾ اختبره ﴿ رَبُّهُۥ ﴾ بالنعمة ﴿ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ ﴾ بكثرة المال ﴿ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ بما أعطاني، ودخلت الفاء في (فَيَقُولُ)؛ لما في (أَمَّا) من معنى الشرط.

* * *

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ ﴾ بالفقر ﴿ فَقَدَرَ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر: بتشديد الدال، والباقون: بتخفيفها[١]، ومعناهما: ضَيَّقَ.

﴿ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ أذلني بالفقر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء في الحرفين، والباقون: بإسكانها فيهما، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (أَكْرَمَني) (أَهَانَنِي) بإثبات الياء فيهما وصلاً، وخير فيهما أبو عمرو، وقياس قوله في رؤوس الآي يوجب حذفهما، وأثبتهما يعقوب، والبزي في الحالين، وقرأ الباقون: بحذفهما في الحالين[٢].

***

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ كَلَّا ﴾ ردعٌ للإنسان عن قوله: الغنى إكرام، والفقر إهانة، فحق من ابتلي بالغنى أن يشكر ويطيع، ومن ابتلي بالفقر أن يشكر ويصبر، وأما إكرام الله، فهو بالتقوى، وإهانته، فبالمعصية، ثم أخبر بأعمالهم فقال:

﴿ بَل ﴾ فعلُهم أسوأ من قولهم، وأدلُّ على تهالكهم بالمال، وهو أنهم.

﴿ لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ بالإحسان إليه مع غناهم، واليتيم من بني آدم:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٤_٦٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠_٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤١_١٤٣).

هو الذي فقد أباه وكان غير بالغ، ومن البهائم: ما فقد أمه.

قال ﷺ: «أَحَبُّ البيوتِ إلى الله تعالى بيتٌ فيه يتيمٌ يُكْرَم»(١).

* * *

﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ ﴾ أي: يحثون أنفسهم ولا غيرهم.

﴿ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ وطعام في هذه الآية بمعنى: إطعام، وتقدم الكلام في الفقير والمسكين، والخلاف فيهما في سورة التوبة في ذكر الصدقات.

* * *

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾ أي: الميراثَ، أصلهُ وراث، قلبت الواو تاء؛ أي: ويأكلون كل ما يرثون.

﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ أي: شديداً، واللمُّ الجمع؛ لأنهم كانوا لا يُوَرِّثون النساء، ولا صغارَ الأولاد، وإنما كانوا يأكلون(٢) جميعَ الميراث مع أموالهم، فيأكلونها جميعاً.

* * *

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ كثيراً، فلا ينفقونه. قرأ أبو عمرو،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (٢/ ٨٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤٣٤)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف. انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٨/ ١٦٠).

(٢) في «ت»: «يلمون».

ويعقوب بخلاف عن الثاني: (يُكْرِمُونَ) و(يَحُضُّونَ) و(يَأْكُلُونَ) و(يُحِبُّونَ) بالغيب في الأربعة، والباقون: بالخطاب، وأثبت الألف بعد الحاء (تَحَاضُّونَ) مع فتح الحاء: أبو جعفر، والكوفيون، ويمدون للساكنين[1]، أصله: تَتَحاضَضُونَ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً؛ أي: لا يحضُّ بعضُكم بعضاً عليه.

* * *

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) ﴾.

[٢١] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردٌّ لأفعالهم هذه، وتوطئة للوعيد؛ أي: سيرون أن أفعالهم ليست على قوام ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ مرةً بعد مرة، ودكُّها: تسويتها؛ بذهاب جبالها، وهدم كل بناء عليها بالكلية، والناقة الدكاء: التي لا سنام لها.

* * *

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) ﴾.

[٢٢] ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [قال الإمام أحمد: معناه: جاء أمرُ ربك][2].

﴿ وَٱلْمَلَكُ ﴾ اسم جنس، يريد: جميع الملائكة؛ لأنهم ينزلون فيصطفون حول الأرض ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي: صفاً خلف صف، وهم سبعة صفوف، ونصبه على الحال.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤٤).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَۚ﴾ مزمومةً بسبعين ألفَ زِمام، كلُّ زمام بيد سبعين ألف ملك، لها زفير وتغيُّظ. قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: (وَجِيءَ) بإشمام الجيم الضم، والباقون: بإخلاص الكسر(١).

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من (يومئذ) قبلُ، وهما بدل من (إِذَا دُكَّت) العامل في (إِذَا).

﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافرُ عصيانَه وطغيانه، وينظر ما فاته من العمل الصالح.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ﴾ ومن أين له نفعُ ﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

* * *

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ثم أخبر تعالى عنه أنه ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان.

﴿لِحَيَاتِى﴾ هذه، وهي حياة الآخرة.

* * *

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ بالنار ﴿عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤٦).

﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ وَلَا يُوثِقُ ﴾ بالسلاسل والأغلال ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ قرأ الكسائي، ويعقوب: (يُعَذَّبُ) و(يُوثَقُ) بفتح الذال والثاء مجهولاً، أضيف الفعل إلى الكافر، فـ(أَحَدٌ) فاعل المجهول، والهاء في (عَذَابَهُ) و(وَثَاقَهُ) للكافر، والمراد به: الإنسان، وقيل: هو رجل بعينه، وهو أمية بن خلف، المعنى: لا يعذَّب أحدٌ مثلَ تعذيبه بالنار، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثلَ إيثاقه، وقرأ الباقون: بكسر الذال والثاء[(١)]، فالضمير لله تعالى، المعنى: لا يعذِّبُ أحدٌ أحداً كعذاب الله، ولا يوثقه في السلاسل كإيثاقه تعالى.

* * *

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ويقال للمؤمن عند الموت: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ أي: الآمنة التي لا تخاف، وهي التي اطمأنت بذكر الله.

روي أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ سأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال له[(٢)]: «إنَّ الملَكَ سيقولُها لك يا أبا بكرٍ عندَ موتِكَ»[(٣)].

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤٦ـ١٤٧).

(٢) «له» زيادة من «ت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ١٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٠) عن سعيد بن جبير، قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٢): وهذا مرسل حسن.

﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ ﴾.

[٢٨] ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ إلى أمره وإرادته.

﴿ رَاضِيَةٗ ﴾ بالثواب ﴿ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ عند الله، ونصبه على الحال.

* * *

﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَٱدۡخُلِي فِي ﴾ عِدادِ ﴿ عِبَٰدِي ﴾ الصالحين.

* * *

﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ معهم، وقيل: هذا النداء يكون عند قيام الأجساد من القبور، فقوله: ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ معناه: بالبعث من موتك ارجعي إلى الله، والله أعلم.

وقد أحببت أن أتكلم في هذا المحل على صلاة الوتر[١]؛ لما فيه من المناسبة للسورة، فأقول وبالله التوفيق: الوتر واجب عند أبي حنيفة رضي الله عنه، وعند صاحبيه، وعند الأئمة الثلاثة ـ رضي الله عنهم ـ هو سنة، ووقته بين صلاة العشاء والفجر بالاتفاق، وصفته عند أبي حنيفة: ثلاثُ ركعات كالمغرب، لا يسلم بينهن، ويقنت في الثالثة قبل الركوع بعد أن يرفع يديه مكبراً، وعند مالك: هو ركعة بعد شفع لا حدَّ له، منفصل منها بتسليمة، وعند الشافعي وأحمد: أقله ركعة، وأكثره إحدى عشرة، وأدنى الكمال ثلاثٌ بتسليمتين، ويقنت في الثالثة بعد الركوع في النصف الأخير

(١) «على صلاة الوتر» زيادة من «ت».

من رمضان عند الشافعي، وعند أحمد: في جميع السنة كأبي حنيفة، ولا يقنت فيه عند مالك مطلقاً على المشهور من مذهبه، والقراءة عند مالك في الشفع مطلقةٌ غيرُ معينة، ويستحب عنده أن يقرأ في ركعة الوتر الإخلاص والمعوذتين، وعند الثلاثة: يستحب أن يقرأ في الأولى من الثلاث[1] بعد الفاتحة: ﴿سَبِّحِ﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وفي الثالثة: الإخلاص والمعوذتين، وعند الشافعي: كقول مالك، وعند أبي حنيفة وأحمد: الإخلاص فقط، وتقدم ذكر مذهب مالك والشافعي في القنوت في صلاة الصبح في سورة البقرة، والله أعلم.

* * *

(١) «من الثلاث» زيادة من «ت».

سورة البلد

مكية في قول الجمهور، وقيل: مدنية، وآيها: عشرون آية، وحروفها: ثلاث مئة وستة وثلاثون حرفاً، وكلمها: اثنتان وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾.

[١] ﴿لَآ﴾ صلة زائدة مؤكدة، المعنى ﴿أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني: مكة.

***

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ﴾ أي: حلال في المستقبل ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أي: تصنع فيه ما تريد من قتل وغيره، ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم، وذلك أن الله سبحانه وعد نبيه ﷺ أن يفتح مكة على يده، وأن يحلها له، ففتحها، وأحلها الله له يوم الفتح حتى قاتل وقتل، وأمر بقتل ابن خَطَل وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقبس بن صبابة، وغيرهما، فأحل دماء قوم، وحرم دماء قوم، فقال: «مَنْ دخلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ»، ثم قال: «إنَّ اللهَ حرَّمَ مكة يومَ خلقَ السمواتِ والأرضَ، ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلي، ولن تحلَّ لأحدٍ بعدي، وإنما أُحِلَّتْ لي ساعةً من نهار، فهي حرامٌ بحرمةِ اللهِ إلى يومِ

القيامة»[1]، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في دخولها بغير إحرام في سورة البقرة، وتعطف على ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾.

* * *

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ يعني: آدم ـ عليه السلام ـ وذريته، وقيل: الوالد إبراهيم، والولد محمد عليهما السلام، فتتضمن السورة القسمَ به في موضعين.

* * *

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾.

[٤] وجواب القسم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ المرادُ: جنسُ الإنسان.

﴿فِى كَبَدٍ﴾ نَصَبٍ وشدة، يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

* * *

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أي: أيظنُّ ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ لقوته. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (أَيَحْسَبُ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[2].

روي أن هذه الآية وما بعدها نزل في أبي الأَشَدَّين، واسمه أسيد بن

---

(١) تقدم تخريجه عند تفسير الآية (١٥) من سورة الأعلى.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥١).

كلدة الجمحي، وكان شديداً قوياً، يضع الأديمَ العُكاظي تحت قدمه فيقول: من أزالني عنه، فله كذا وكذا، فلا يُطاق أن يُنزع من تحت قدميه إلا قطعاً، ويبقى موضع قدمه، وقيل: نزلت في غيره[1].

* * *

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ أنفقتُ ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: كثيراً في عداوة محمد ﷺ. قرأ أبو جعفر: (لُبَّداً) بتشديد الباء على جمع اللابد، مثل راكِع ورُكَّع، وقرأ الباقون: بتخفيفها على جمع لبدة[2] ومعناهما: الكثرة؛ أي: ملتبداً بعضُه فوق بعض، وكان قول هذا الكافر: أهلكت مالاً لبداً كذباً منه، فلذلك قال تعالى:

* * *

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ تقدم اختلاف القراء فيه، ﴿أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أيظن أن الله عز وجل لم ير ذلك منه فيعلم مقدار ما أنفقه؟ قرأ أبو جعفر، ويعقوب: (يَرَهُ) باختلاس ضمة الهاء بخلاف عنهما، والباقون: بالإشباع[3].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦١٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٠٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠-٣١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥٢).

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ ﴾ .

[٨] ثم عدد تعالى على الإنسان نعمه التي تقوم بها الحجة، وهي جوارحه، فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ يبصر بهما.

* * *

﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ وَلِسَانًا ﴾ يتكلم به ﴿ وَشَفَتَيْنِ ﴾ يطبقهما على لسانه إذا أراد السكوت.

* * *

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ بيّنا له طريق الخير والشر، وهذا قول الأكثر، والنجد: الطريق المرتفع، وقيل: المراد: ثَدْيا الأم.

* * *

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ ﴾ .

[١١] ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ فهلاً سلك الطريق التي فيها النجاةُ، والعقبة في هذه الآية على عرف كلام العرب: استعارةٌ لهذا العمل الشاق على النفس، من حيث هو بذل مال، تشبيه بعقبة الجبل، وهي ما صَعُب منه، وكان صعوداً، والاقتحام: الدخول في الشيء بشدة.

* * *

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ ﴾ .

[١٢] ثم بين ما هي، وعظم أمرها في النفوس، فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾ .

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ .

[١٣] ثم فسر اقتحام العقبة بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أعتقَها، ومن أعتقَ رقبةً، كان فداءه من النار.

* * *

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾ .

[١٤] ﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: (فَكَّ) بفتح الكاف، (رَقَبَةً) بالنصب، (أَطْعَمَ) بفتح الهمزة والميم من غير تنوين ولا ألف قبلها، فعلان ماضيان، (فَفَكَّ رَقَبَةً) تفسير (لاقْتَحَمَ العَقَبَةَ)، و(أَطْعَمَ) عطف على (فَكَّ)، ويكون (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) اعتراضاً. **وقرأ** الباقون: برفع (فَكُّ) وخفض (رَقَبَةٍ) لإضافة (فَكُّ) إليها؛ لأنه مصدر مضاف إلى المفعول، (إِطْعَامٌ) بكسر الهمزة ورفع الميم مع التنوين وألف قبلها عطفاً على (فَكُّ) مصدر أَطْعَمَ[١].

﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: مجاعة؛ من سَغِبَ: جاعَ.

* * *

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥﴾ .

[١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ صاحبَ قرابة.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥٢).

﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أي: لصق بالتراب؛ لفقره، وتعطف على ﴿ اقْتَحَمَ ﴾:

* * *

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ ثُمَّ كَانَ ﴾ ومعناه؛ أي: كان وقت اقتحامه العقبة.

﴿ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وليس المعنى أن يقتحم، ثم يكون بعد ذلك؛ لأن هذه القُرَب إنما تنفع مع الإيمان، والاقتحامُ من غيرُ مؤمن غير نافع.

﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ وصَّى بعضُهم بعضاً ﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ على الإيمان، وعن المعاصي.

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ برحمة الناس.

* * *

﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿ أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أي: اليمين.

* * *

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ ﴾ الشمال.

* * *

﴿ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠ ﴾.

[٢٠] ﴿ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴾ مطبقة عليهم أبوابها. **قرأ** أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، وخلف، وحفص عن عاصم: (مُؤْصَدَةٌ) بالهمز؛ من أَصَدْتُ البابَ: أطبقته، **وقرأ** الباقون: بإسكان الواو بغير همز(١)؛ من أوصدتُ ومعناهما واحد، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥٣-١٥٤).

سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية، وآيها: خمس عشرة آية، وحروفها: مئتان وتسعة وأربعون حرفاً، وكلمها: أربع وخمسون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾.

[١] ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ضوءها إذا أشرقت، و(الضُّحَى) بضم الضاد والقصر: ارتفاع الضوء وكماله، وبفتح الضاد والمد: ما فوقَ ذلك إلى الزوال.

***

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ تبعَها طالعاً عند غروبها.

***

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ يعني: جلَّى الظلمة كناية عن غير مذكور؛ لكونه معروفاً، الواو الأولى للقسم، والباقي عطف عليها.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ يغشى الشمسَ حين تغيب، فتظلم الآفاق، و(إِذَا) معمولة القسم.

* * *

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ و(ما) في المواضع الثلاثة بمعنى الذي؛ أي: والذي بناها؛ يعني: خلقها.

* * *

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ بسطَها.

* * *

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ عدل خلقَها، والمراد: جميع النفوس، ونُكِّرت للتكثير.

* * *

﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ فهَّمَها خيرَها وشرَّها، وجعل لها قوة يصحُّ معها اكتسابُ الفجور، واكتسابُ التقوى.

* * *

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] وجواب القسم : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ﴾ فاز ببغيته .

﴿ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ طَهَّرها بالطاعة ، وتقدم مذهب ورش وحمزة في النقل في قوله .

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ﴾ [الآية : ١] في أول سورة ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ .

* * *

﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَقَدۡ خَابَ ﴾ خسر ﴿ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أخفاها وحقرها بالفجور والمعاصي ، أصله : دَسَّسَها ، أُبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً .

* * *

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ﴾ رسلَها ﴿ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾ بطغيانها ، لما ذكر تعالى خيبة من دسَّ نفسه ، ذكر فرقةً فعلت ذلك ؛ ليُعتبر بهم ، ويُنتهى عن مثل فعلهم ، وهم قوم صالح .

* * *

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ ﴾ أي : بادرَ إلى عقر الناقة ﴿ أَشۡقَىٰهَا ﴾ أشقى القبيلة ، وهو قدارُ بن سالف ، والانبعاث : هو الإسراع في الطاعة للباعث .

* * *

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ هو صالح عليه السلام ﴿ نَاقَةَ ﴾ نصبه تحذيراً ﴿ وَسُقْيَٰهَا ﴾ عطف؛ أي: و(١)احذروا عَقْرَ الناقة ومنعَها من شربها، فتُعذَّبوا.

***

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ في قوله ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ وقدم تعالى التكذيب على العقر؛ لأنه كان سبب العقر، وقوله: ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ والعاقر واحد؛ لكونهم متفقين على ذلك، وتقدم ذكر القصة في سورة الأعراف.

﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ أي: دمر عليهم بالعذاب ﴿ بِذَنۢبِهِمْ ﴾ أي: بسببه ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ فعمهم بالدمدمة، فلم يفلت منهم أحد.

***

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ أي: عاقبتها، المعنى: فلا دَرَكَ على الله في فعله بهم ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (فَلَا) بالفاء على العطف؛ أي: (فَكَذَّبُوهُ) (فَعَقَرُوهَا) (فَدَمْدَمَ) (فَلَا يَخَافُ)، وكذا هي في مصاحف المدينة والشام، **وقرأ** الباقون: بالواو(٢)،

---

(١) الواو سقطت في «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٢٦)، =

فمحل (لَا يَخَافُ) حال؛ أي: وهو لا يخاف، وكذلك هي في مصاحفهم، وأمال رؤوسَ الآي في هذه السورة: ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، واختص الكسائي دونهما بإمالة (تَلَاهَا)، و(طَحَاهَا)[1]، والله أعلم.

* * *

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٦٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥٧).

سورة الليل

مكية، وقيل: مدنية، وقيل: فيها مدني، وآيها: إحدى وعشرون آية، وحروفها: ثلاث مئة حرف، وكلمها: إحدى وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ ﴾.

[١] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ أي: يغطِّي الأرضَ وجميع ما فيها بظلمته.

***

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أي: ظهر وضَوَّأَ الآفاق.

***

﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَمَآ ﴾ أي: والذي ﴿ خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ يعني: آدم وحواء.

***

﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾.

[٤] وجواب القسم: ﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾ جمع شتيت؛ أي: إن عملكم

لمختلفٌ، بعضُه في رضا الله، وبعضه في سخطه.

* * *

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ثم قسم تعالى السّاعِين فقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ ﴾ حقَّ الله ﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾ اللهَ تعالى.

* * *

﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ هي كلمة التوحيد.

* * *

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ نهيئه للعمل الصالح، وهو الطاعة.

* * *

﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ ﴾ بالنفقة في الطاعة ﴿ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴾ بلذات الدنيا عن نعيم الآخرة.

* * *

﴿ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ بلا إله إلا الله.

* * *

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ نهيئه لعملٍ يستوجبُ به النارَ، وسميت العسرى؛ لإفضائها إلى العسر. قرأ أبو جعفر: (لِلْيُسُرَى) (لِلْعُسُرَى) بضم السين فيهما، والباقون: بإسكانها[1].

***

﴿ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ ﴾.

[١١] ﴿ وَمَآ ﴾ نفي بمعنى ليس ﴿ يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ ﴾ الذي بخل به.

﴿ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ أي: سقط في النار.

***

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ أي: تبيينَ طريق الهدى والضلالة، ثم كل أحد بعدُ يكتسب ما قُدر له.

***

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ ﴾.

[١٣] ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء.

***

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٧٠).

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ تلتهب. **قرأ** البزي، ورويس: (ناراً تَّلَظَّى) بتشديد التاء وصلاً، والباقون: بتخفيفها(١).

***

﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾.

***

﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ الَّذِي كَذَّبَ ﴾ النبيَّ ﷺ.

﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ عن الإيمان، وهو أبو جهل، أو أمية بن خلف.

***

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾.

***

﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ يطلب أن يكون عند الله زاكياً، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٧٢-١٧٣).

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] روي أن أمية بن خلف كان إذا حميت الظهيرة، يطرح بلالاً على ظهره ببطحاء مكة، ويضع على صدره صخرة عظيمة، ويقول: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، فيقول: أَحَدٌ أَحَد، فقال أبو بكر: اتق الله فيه، فقال له: أنت أفسدته، فأنقذه مما هو فيه، فاشتراه وأعتقه، فقال المشركون: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده، فنزل: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ يد يكافئه عليها[١].

* * *

﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ إِلَّا ﴾ أي: بل هو مبتدأ، خبره[٢]: ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ وطلب رضاه.

* * *

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ بما يعطيه الله في الآخرة من الثواب، هذه عِدَة من الله تعالى لأبي بكر رضي الله عنه. ومذاهب القراء في إمالة رؤوس الآي في هذه السورة كالتي قبلها، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٣٠)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٨٨).

(٢) «خبره» ساقطة من «ت».

سورة الضحى

مكية، وآيها: إحدى عشرة آية، وحروفها: مئة وثمانية وخمسون حرفاً، وكلمها: أربعون كلمة.

الكلام في التكبير:

اختلف في سبب وروده، فروي أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي، فقال المشركون: قلا محمداً ربُّه، فنزلت سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ فقال النبي ﷺ: «اللهُ أكبرُ»، وأمر أن يكبر إذا بلغ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ مع خاتمة كل سورة حتى يختم، فكبر شكراً لله تعالى لما كذَّب المشركين(١)، وقيل: قال: الله أكبر تصديقاً لما أنا عليه، وتكذيباً للكافرين، وقيل: فرحاً وسروراً بنزول الوحي، وورد(٢) في ذلك أقوال كثيرة غير ما تقدم.

وأما من ورد عنه، فقد صح التكبير عن أهل مكة قرائهم وعلمائهم،

---

(١) روى حديث التكبير عند بلوغ القارىء سورة الضحى: الحاكم في «المستدرك» (٢٣٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٧٧)، من طريق أبي الحسن البزي المقري. قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٢٢): فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال: لا أحدث عنه، وكذل أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث. ثم قال بعد كلام: ولم يرو ذلك ـ أي: التكبير ـ بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، والله أعلم.

(٢) في «ت»: «وروي».

وصح أيضاً عن أبي جعفر، وأبي عمرو، وورد عن سائر القراء عند الختم، وهو سنة مأثورة عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين في الصلاة وخارجها، لكن من فعله، فحسن، ومن لم يفعله، فلا حرج عليه[1].

وأما ابتداؤه، فاختلف فيه، فروي أنه من أول ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ وروي أنه من أول ﴿وَالضُّحَىٰ﴾.

واختلف أيضاً في النهاية، فروي أن انتهاءه آخر سورة الناس، وروي: أولها، وقد ثبت نصه عن الإمامين الشافعي وأحمد رضي الله عنهما، ولم يستحبه الحنابلة؛ لقراءة غير ابن كثير، ولم أطلع على نص في ذلك لأبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما.

ولفظه: (الله أكبر[2]) في رواية البزي، وقنبل، وروي عنهما: التهليل قبل التكبير، ولفظة: (لا إله إلا الله والله أكبر)، والوجهان عنهما صحيحان جيدان مشهوران مستعملان.

وصفة التكبير في رواية ابن كثير بين كل سورتين أربعة عشر وجهاً:

الأول: قطعه عن آخر السورة، ووصله بالبسملة، ووصل البسملة في أول السورة الآتية، وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ قف (الله أكبر) صل[3] (بسم الله الرحمن الرحيم) صل ﴿وَالضُّحَىٰ﴾.

---

(١) قال البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٧١ـ ٣٧٢) بعد أن ذكر الأقوال السالفة: قال أحمد: وقد روي عن النبي ﷺ في دعاء الختم حديث منقطع بإسناد ضعيف؛ وقد تساهل أهل الحديث في قبول ما ورد من الدعوات وفضائل الأعمال، متى ما لم تكن من رواية من يعرف بوضع الحديث أو الكذب في الرواية.

(٢) «أكبر» ساقطة من «ت».

(٣) قوله: «قف» و«صل» زيادة من «ت».

الثاني: قطعه عن آخر السورة، ووصله بالبسملة، والوقوف على البسملة، ثم الابتداء بأول السورة، وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ قف (الله أكبر) صل (بسم الله الرحمن الرحيم) قف ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

الثالث: وصله بآخر السورة، والقطع عليه، ووصل البسملة بأول السورة، وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ صل (الله أكبر) قف (بسم الله الرحمن الرحيم) صل ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

الرابع: وصله بآخر السورة، والقطع على البسملة، وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ صل (الله أكبر) قف (بسم الله الرحمن الرحيم) قف ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

الخامس: قطع التكبير عن آخر السورة وعن البسملة، ووصل البسملة بأول السورة، وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ قف (الله أكبر) قف (بسم الله الرحمن الرحيم) صل ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

السادس: وصل التكبير بآخر السورة، والبسملة بأول السورة، وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ صل (الله أكبر) صل (بسم الله الرحمن الرحيم) صل ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

السابع: قطع الجميع؛ أي: قطع التكبير عن السورة الماضية وعن البسملة، وقطع البسملة عن السورة الآتية، وهو: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ قف (الله أكبر) قف (بسم الله الرحمن الرحيم) قف ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

فهذه السبعة صفته مع التكبير، ويأتي مع التهليل مثل ذلك، وبقي وجه لا يجوز، وهو وصل التكبير بآخر السورة، وبالبسملة مع القطع عليها، وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (الله أكبر) (بسم الله الرحمن الرحيم) بالوصل في الجميع، ثم يسكت على البسملة، ثم يبتدىء ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، فهذا ممتنع

إجماعاً؛ لأن البسملة لأول السورة، فلا يجوز أن تجعل منفصلة عنها متصلة بآخر السورة قبلها.

واعلم أن القارىء إذا وصل التكبير بآخر السورة، فإن كان آخرها ساكناً، كسره للساكنين؛ نحو: (فَحَدِّثِ اللهُ أكبرُ)، و(فَارْغَبِ اللهُ أكبرُ)، وإن كان منوناً، كسره أيضاً للساكنين، وسواء كان الحرف المنون مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً، نحو: (تَوَّاباً اللهُ أكبرُ) و(لَخَبِيرٌ اللهُ أكبرُ)، و(مِنْ مَسَدٍ اللهُ أكبرُ)، وإن كان آخر السورة مفتوحاً، فتحه، وإن كان مكسوراً، كسره، وإن كان مضموماً، ضمه، نحو: قوله: (إِذَا حَسَدَ اللهُ أكبرُ)، (والنَّاسِ اللهُ أكبرُ)، و(الأَبْتَرُ اللهُ أكبرُ)، وشبهه، وإن كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو، حذف صلتها للساكنين؛ نحو: (رَبَّهُ اللهُ أكبرُ) و(شَرّاً يَرَهُ اللهُ أكبرُ)، وأسقطت ألف الوصل التي في أول اسم الله ـ عز وجل ـ في جميع ذلك استغناءً عنها، والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ هو سطوعُ الضوء وعِظَمُه، وتقدم ذكرُ وقته أول سورة الشمس، أقسم الله به، وأراد به النهارَ كلَّه؛ بدليل أنه قابله بالليل.

***

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾.

[٢] فقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أقبل بظلامه.

***

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ .

[٣] وجواب القسم: ﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾ ما قطعك[١] ﴿ رَبُّكَ ﴾ قطعَ المودِّع.

﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي: ما أبغضَكَ، وحذفت الكاف من قلاك؛ لدلالة الكلام.

* * *

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ وَلَلْآخِرَةُ ﴾ وما أعدَّ لك فيها من الكرامة ﴿ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ لأن الآخرة باقية، والأولى فانية.

* * *

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ وَلَسَوْفَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: ولأنت سوف.

﴿ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾ في الآخرة عطاء ﴿ فَتَرْضَىٰ ﴾ .

عن ابن عباس، وعلي، والحسين: «هو الشفاعة»[٢].

و(سَوْفَ) إذا كان في قصة المؤمنين، فمعناه الوعد، وإذا كان في قصة المشركين، فمعناه الوعيد.

وقال الأزرق[٣]: ومما يرضيه بعد إخراج كل مؤمن من النار ألاَّ يسوءَهُ في أمه وأبيه، وإن منع من الاستغفار لهما، وأذن له في زيارة قبرهما في وقت دون وقت؛ لأنهما من أهل الفترة، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، ومن لم يقنعه هذا، فحظ المؤمن منهما الوقف

---

(١) «ما قطعك» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٣٤).

(٣) في «ت»: «الفهري».

فيهما، وألاَّ يحكم عليهما بنار إلا بنص كتاب أو سنة أو إجماع الأمة، بخلاف ما ثبت في عمه أبي طالب[1].

* * *

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ ﴾.

[٦] ثم عدَّد تعالى نعمه على نبيه ﷺ، فقال: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ﴾ مات أبوك ﴿ فَـَٔاوَىٰ ﴾ أي: آواك إلى عمك بعد موت أبيك.

* * *

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾.

[٧] وقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ ﴾ معناه: قد وجدك، ودليله عطف قوله: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ عن معالم الشرع[2] ﴿ فَهَدَىٰ ﴾ أي: فهداك إليها.

* * *

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا ﴾ فقيراً ﴿ فَأَغْنَىٰ ﴾ فقنَّعك بما أعطاك من الغنائم والرزق.

قال ﷺ «ليس الغِنى عن كثرةِ العَرَض، ولكنَّ الغِنى غِنى النَّفْس»[3].

---

(١) **قلت**: قد ثبت في «صحيح مسلم» (٢٠٣) وغيره قول النبي ﷺ لذاك الرجل الذي أتى يسأل عن أبيه، فأجابه النبي ﷺ بأنه في النار، ثم قال له: «إن أبي وأباك في النار». قال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٧٩): فيه أنه من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار.

(٢) في «ت»: «الشرائع».

(٣) رواه البخاري (٦٠٨١)، كتاب: الرقاق، باب: الغنى غنى النفس، ومسلم (١٠٥١)، كتاب: الزكاة، باب: ليس الغنى عن كثرة العرض، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾.

[٩] ثم أوصاه باليتامى والفقراء، فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ بأخذ ماله.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ لا تزجر، فإما أن تطعمه، وإما أن ترده رداً ليناً.

* * *

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾.

[١١] ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ عليك بالنبوة وغيرها من الصلاح ﴿ فَحَدِّثْ ﴾ به الناس.

قال ﷺ: «التحدُّث بالنعم شكرٌ»(١).

أمال رؤوس آي هذه السورة ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، واختص الكسائي دونهما بإمالة (سَجَى)(٢).

وأما حكم صلاة الضحى، فهي سنة بالاتفاق، ووقتها إذا علت الشمس إلى قبيل وقت الزوال، وهي عند أبي حنيفة ركعتان، أو أربع بتسليمة،

---

(١) رواه بهذا اللفظ: ابن أبي الدنيا في «الشكر» (ص: ٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٤)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٧٩).

وعند مالك: لا تنحصر، وعند الشافعي وأحمد: أقلها ركعتان، واختلفا في أكثرها، فقال الشافعي: اثنتا عشرة، وقال أحمد: ثمان، وهو الذي عليه الأكثرون من أصحاب الشافعي، وصححه النووي في التحقيق، والله أعلم.

* * *

سُورَةُ الْمِ نَشْرَحْ

مكية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: مئة وحرفان، وكلمها: سبع وعشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾.

[١] عدَّد الله نعمه على نبيه ﷺ، فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وشرحُ الصدر المذكور هو تنويرُ قلبه بالحكمة، وتوسيعُه لتلقي ما يوحى إليه.

* * *

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ إثمك الماضي في الجاهلية، والوزر أصله: الثقل، فشبهت الذنوب به، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وكان رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل النبوة وزرهُ صحبةُ قومه، وأكلُه من ذبائحهم، ونحو هذا، وهذه كلها جرها المنشأ، وأما عبادة الأصنام، فلم يتلبس بها قط بإجماع الأمة(١)، وتقدم في الشورى.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٩٦).

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أثقلَه حتى سُمع له نقيض؛ أي: صوت، وقيل: المعنى: أنه حُفظ قبل النبوة منها، وعُصم، ولولا ذلك، لأثقلت ظهره.

* * *

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ نوَّهْنا باسمك بأنه إذا ذُكر الله، ذكرتَ معه، والاستفهام في كلها بمعنى التقرير؛ أي: قد فعلنا ذلك كله.

* * *

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ ﴾ أي: مع ما تراه من الأذى ﴿ يُسْرًا ﴾ فرجاً يأتي.

* * *

﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ كرره مبالغة وتثبيتاً للخير، وذهب كثير من العلماء إلى أن مع كل عسر يسرين بهذه الآية؛ من حيث (العسرُ) معرف للعهد، فيكون الثاني الأولَ بعينه، و(اليسر) منكَّر، فالأولُ غيرُ الثاني، وقد روي في هذا التأويل حديثٌ عن النبي ﷺ أنه قال: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[١]؛ أي: لن يغلب عسرُ الدنيا يُسري الدنيا والآخرة. قرأ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠١٣)، عن الحسن مرسلاً.

أبـو جعفـر: (الْعُسُـرِ يُسُـراً) بضـم السيـن فـي المـوضعيـن، والبـاقـون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ من الصلاة والعبادات ﴿ فَٱنصَبْ ﴾ فاتعبْ فيما ينجيك من العذاب، والمعنى: أن يدأب على ما أُمر به، ولا يفترُ.

* * *

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ تضرَّعْ إليه، وتوكل عليه، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٨٧ـ١٨٨).

سورة التين والزيتون

مكية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: مئة وتسعة وخمسون حرفاً، وكلمها: أربع وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾.

[١] ﴿وَٱلتِّينِ﴾ هو الجبل الذي عليه دمشق ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ هو طور زيتا الجبل الذي ببيت المقدس من جهة المشرق، وذلك أن التين ينبت كثيراً بدمشق، والزيتون بإيلياء، وقيل: المراد بالتين: الذي يؤكل، والزيتون: الذي يعصر، وأكل النبي ﷺ مع أصحابه تيناً أهدي إليه، فقال: «لو قلتُ إن فاكهةً نزلَتْ من الجنة، لقلت هذه؛ لأن فاكهةَ الجنة بلا عَجَم، فكلوا، فإنه يقطعُ البواسيرَ، وينفع من النِّقْرِسِ»(١).

وقال ﷺ: «نعمَ السواكُ الزيتونُ من الشجرةِ المباركةِ، هي سواكي وسواكُ الأنبياء من قبلي»(٢).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/٢٣٨)، وأبو نعيم في «الطب»، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، بإسناد مجهول، كما قال المناوي في «الفتح السماوي» (١١٠٨/٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٧٨)، وفي «مسند الشاميين» (٤٦) قال=

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾ .

[٢] ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ـ عليه السلام ـ بلا خلاف، ومعنى سينين: حسن مبارك، وقيل: معناه: ذو الشجر.

* * *

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ أي: الآمن؛ يعني: مكة بلا خلاف؛ لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً، أقسم الله بهذه الأشياء تشريفاً لها.

* * *

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ .

[٤] وجواب القسم: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ والمراد به: الجنس.

﴿ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أعدلِ قامة، وأحسن صورة، وذلك أنه تعالى خلق كل شيء مُنكبّاً على وجهه، إلا الإنسان.

* * *

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ ﴾ بعد القدرة والكمال ﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ إلى الهرم وأرذل العمر حتى ينقضي عمره، ويضعف بدنه، ويذهب عقله.

* * *

= الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٠٠): وفيه معلل بن محمد ولم أجد من ذكره. وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (١/ ٧٢).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ منهم، فإنه يكتب لهم بعد الهرم مثل حال الشباب.

قال ابن عباس: «هم نفر رُدُّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى عذرهم، وأخبر أن لهم أجرهم مثل الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم»(١)، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ محسوب يمنُّ عليهم به(٢)، وثبتت الفاء في (فَلَهُمْ) هنا، ولم تثبت في (لَهُمْ) آخر الانشقاق؛ جمعاً بين اللغتين.

* * *

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ .

[٧] ثم قال إلزاماً للحجة، وتوبيخاً للكفار: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ ما سببُ تكذيبك أيها الإنسان ﴿ بَعْدُ ﴾ أي: بعد هذا الدليل القاطع ﴿ بِٱلدِّينِ ﴾ بالحساب والجزاء، يقال: أكذبته: وجدتُه كاذباً، وكذَّبته مشدداً: قلت له: كذبت.

* * *

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ بأفصل الفاصلين، فيفصل بينك وبين مكذبيك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤٤). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٤٤).
(٢) «محسوب يمن عليهم به» زيادة من «ت».

قال قتادة: كان النبي ﷺ إذا قرأ هذه الآية، قال: «بَلَى، وأنا على ذلك من الشاهدين»[1]، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٥٠). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٤٥).
ورواه أبو داود (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب: مقدار الركوع والسجود، والترمذي (٣٣٤٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التين، من طريق إسماعيل بن أمية، عن أعرابي، عن أبي هريرة، به. قال الترمذي: إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى.

سُورَةُ العَلَق

مكية، وآيها: تسع عشرة آية، وحروفها: مئتان وتسعة وعشرون حرفاً، وكلمها: اثنتان وسبعون كلمة، وهي أول ما نزل من كتاب الله تعالى على الأصح، وعليه الأكثر، وتقدم التنبيه عليه في سورة المدثر، نزل صدرها وهو خمس آيات إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ في غار حراء، كذا ورد به الحديث الصحيح، والترتيب في أخبار النبي ﷺ يقتضي ذلك، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «أولُ ما بُدىء رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فَلَق الصبح، ثم حُبِّب إليه التحنُّثُ في غار حراء، فكان يخلو فيه، فيتحنَّثُ فيه الليالي ذوات العدد، ثم ينصرف، حتى جاءه الملَكُ وهو في غار حراء، فقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني، ثم كذلك ثلاث مرات، فقال في الثالثة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، قالت: فرجعَ رسولُ الله ﷺ يرجُفُ فؤادُه» الحديث بطوله[1].

---

(١) رواه البخاري (٣)، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (١٦٠) كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ .

[١] ومعنى الآية: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ هذا القرآن مفتتحاً ﴿ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ كما قال ﴿ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا ﴾ [هود: ٤١]، ودخلت الباء في بسم لتدل على الملازمة والتكرير، ولما ذكر الرب، وكانت العرب في الجاهلية تسمي الأصنام أرباباً، جاء بالصفة التي لا شركة للأصنام فيها، وهي قوله: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ .

* * *

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ .

[٢] ثم مثل لهم من المخلوقات ما لا مدافعة فيه، فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ أي: جنس الإنسان[١] إدريسُ عليه السلام.

﴿ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ جمع علقة، وهي القطعة الصغيرة[٢] من الدم، وخلقةُ الإنسان من أعظم العبر، وليس المراد آدم عليه السلام؛ لأنه خُلق من طين.

* * *

﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾ .

[٣] ثم قال على جهة التأنيس: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ الذي لا يلحقه نقص، فليس هو كهذه الأرباب، فهو ينصرك ويظهرك.

* * *

---

(١) «أي: جنس الإنسان» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «اليسيرة».

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ثم عدد نعمة الكتابة بالقلم على الناس، وهي موضع عبرة، وأعظم منفعة، فقال: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ ﴾ الخطَّ ﴿ بِٱلْقَلَمِ ﴾ وأولُ من خط بالقلم إدريس عليه السلام(١) .

***

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ والمراد: الجنس؛ أي: علمهم ما لم يكونوا عالمين به من مصالحهم وصناعاتهم.

***

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ونزل بعد ذلك في شأن أبي جهل بن هشام، وذلك أنه لما طغى؛ لغناه ولكثرة ناديه من الناس، فناصبَ رسولَ الله ﷺ العداوةَ، ونهاه عن الصلاة في المسجد ﴿ كَلَّآ ﴾ ردٌّ على أقوال أبي جهل وأفعاله(٢) ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ أبا جهل(٣) ﴿ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ ليتجاوز حدَّه كِبْراً.

***

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ أَن ﴾ أي: لأن ﴿ رَّءَاهُ ﴾ أي: رأى نفسه ﴿ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ مفعول له؛ أي:

---

(١) «إدريس عليه السلام» سقط من «ت».

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٧)، كتاب: صفة القيامة الجنة والنار، باب: قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «أبا جهل» زيادة من «ت».

يطغى لذلك. قراءة العامة: (رَآهُ) بالمد على وزن رَعَاهُ، وقرأ قنبل عن ابن كثير: (رَأَهُ) بالقصر على وزن رعه، لغة مشهورة بحذف الألف من يرى، لا لجازم، بل تخفيفاً، ولأن الفتحة تدل عليها[1]، والرؤية هنا بمعنى العلم لتعديها إلى مفعولين، الأول: الهاء، والثاني: (اسْتَغْنَى)، وتقدم اختلاف القراء في الفتح والإمالة في (رَآهُ) في سورة التكوير [الآية: ٢٣].

* * *

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى حسابه وجزائه ﴿ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ أي: الرجوع.

* * *

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ونزل في أبي جهل ونهيه النبيَّ ﷺ عن الصلاة، وقولِه: لو رأيتُ محمداً ساجداً، لوطئتُ عنقه، فجاءه، ثم نكص على عقبه، فقيل له: مالَكَ؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحة ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰٓ ﴾[2].

* * *

﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي، والدلالة على كمال عبودية المنهي.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٩٦).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ ﴾ المصلي ﴿ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ .

* * *

﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ .

* * *

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] وجواب الشرط الأول محذوف؛ لدلالة جواب الشرط الثاني عليه في ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ ﴾ الناهي عن الصلاة.

﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ عن الإيمان. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَرَأَيْتَ) بتسهيل الهمزة التي بعد الراء، وعن ورش: إبدالها ألفاً، والكسائي: يسقطها أصلاً[١].

* * *

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] وجواب الشرط الثاني: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ فعلَه، فيجازيه به. أمال رؤوس الآي من قوله (لَيَطْغَى) إلى قوله (يَرَى): ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، وفتحها الباقون[٢].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٩٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ كَلَّا ﴾ ردعٌ للناهي، ثم توعَّده فقال: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ الكافرُ عن تكذيب محمد ﷺ.

﴿لَنَسْفَعًا﴾ لنأخذَنْ بشدَّة وقهر ﴿ بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: ناصيته، وهي شعر مقدَّم الرأس، فيجر إلى جهنم ذليلاً، ورسمت (لَنَسْفَعاً) في المصحف بألف بعد النون.

***

﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل من ﴿ بِالنَّاصِيَةِ﴾، ثم وصفها بقوله: ﴿ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ مجازاً، والمراد صاحبها. قرأ أبو جعفر: (خَاطِيَةٍ) بفتح الياء، والباقون: بالهمز.

***

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ولما نهى أبو جهل النبيَّ ﷺ عن الصلاة، فانتهره النبيُّ ﷺ، فقال: أتنهرني؟! فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خَيْلاً جُرْداً، ورجالاً مُرْداً، وإنك لتعلم أن ما بها نادٍ أكثر مني، نزل: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[١] عشيرته، فلينتصر بهم.

= ٤٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٩٥).

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٤٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٨).

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ لإهلاكه، وهم زبانية جهنم؛ مأخوذ من الزَّبْن، وهو الدفع.

* * *

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿كَلَّآ﴾ ردٌّ على قول الكافر وأفعاله ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ لا تلتفتْ إلى نهيه وكلامه ﴿وَٱسْجُدْ﴾ لربك ﴿وَٱقْتَرِب ۩﴾ أي: تقرَّبْ إلى الله بطاعته.

قال ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبدُ إلى ربه إذا سجدَ، فأكثروا من الدعاء في السجود»(١).

وهذا محل سجود عند الثلاثة؛ خلافاً لمالك، وهم على أصولهم بالقول بالوجوب والسنية، كما تقدم اختلافهم ملخصاً عند سجدة مريم.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سجدْنا معَ رسول الله ﷺ في ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾(٢)، والله أعلم.

* * *

(١) رواه مسلم (٤٨٢)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) تقدم تخريجه.

سُورَةُ القَدْرِ

مدنية، وقيل: مكية، وآيها: خمس آيات، وحروفها: مئة وخمسة وعشرون[1] حرفاً، وكلمها: ثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الضميرُ للقرآن، ولم يتقدم ذكرُه؛ لدلالة المعنى عليه.

﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا جملةً، ثم نزل به نجوماً إلى الأرض على محمد ﷺ في عشرين، أو ثلاث وعشرين سنة، وسميت ليلة القدر؛ لأنها تُقَدَّر فيها آجالُ العباد وأرزاقُهم، ويأتي الكلام عليها بعد انتهاء التفسير.

* * *

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ثم عجَّبَ الله تعالى نبيَّه ﷺ فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾

---

(١) في «ت»: «عشر».

لأنها ليلة تقدير الأحكام والأمور، يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة؛ لقوله ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤].

* * *

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] روي أن رسول الله ذُكر له رجلٌ من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألفَ شهر، فعجَب رسولُ الله ﷺ، وتمنى ذلك لأمته، فقال: «يا ربِّ جعلْتَ أمتي أقصرَ الأممِ أعماراً، وأقلَّ أعمالاً»، فأعطاه الله ليلة القدر(١)، فقال: ﴿ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ أي: قيامُها والعبادةُ فيها.

﴿ خَيْرٌ مِّنْ ﴾ عمل ﴿ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ليس فيها ليلةُ القدر، وهي ثمانون سنة، وثلاثة أعوام، وثلث عام(٢).

وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال حين عوتب في تسليمه الأمرَ لمعاوية: «إن الله تعالى أرى نبيَّه في المنام بني أمية ينزون على منبره نزوَ القردة، فاهتمَّ لذلك، فأعطاه الله ليلة القدر خير له ولذريته ولأهل بيته من ألف شهر»(٣)، وهي مدة ملك بني أمية، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس هذا القدرَ من الزمان، ثم كُشِفَ الغيبُ أن كان من سنة الجماعة إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوكهم هذا القدر من الزمان بعينه.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٥٨).

(٢) «وثلث عام» ساقطة من «ت».

(٣) كذا ساقه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٥)، وقد روى أبو يعلى في «مسنده» (٦٤٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الذهبي في «السير» (٢/ ١٠٨) في ترجمة الحكم بن أبي العاص: ويروى في سبه أحاديث لم تصح. فذكر هذا الحديث منها.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ هو جبريل عليه السلام ﴿ فِيهَا ﴾ أي: في ليلة القدر. قرأ البزي (شَهْر تَّنَزَّلُ) بتشديد التاء حالة الوصل(١).

﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ أي: بأمره ﴿ مِّن كُلِّ ﴾ أي: بكل ﴿ أَمْرٍ ﴾ من الخير والشر.

***

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾ أي: سلام على أولياء الله وأهل طاعته، وسميت سلاماً؛ لكثرة السلام فيها؛ لأن الملائكة لا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلَّمت عليه، فـ(حَتَّى) متعلقة بـ(سَلاَمٌ)؛ أي: إن الملائكة تسلم من غروب الشمس.

﴿ حَتَّىٰ ﴾ أي: إلى وقت ﴿ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ أي: طلوعه. قرأ الكسائي، وخلف: (مَطْلِعِ) بكسر اللام، والباقون: بفتحها(٢)، وهما لغتان في مصدر طَلَع، والأزرق عن ورش على أصله في تفخيمها.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «من قامَ ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدَّمَ من ذنبِه»(٣).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٠٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٠٣ـ٢٠٤).

(٣) رواه البخاري (٣٥)، كتاب: الإيمان، باب: قيام ليلة القدر من الإيمان، ومسلم=

والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة، وقد أبهمها الله ـ عز وجل ـ على الأمة؛ ليجتهدوا في الدعاء والعبادة لياليَ شهر رمضان؛ طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، واسمَه الأعظم في الأسماء، وأخفى قيامَ الساعة[١]؛ ليجتهدوا في الطاعات؛ حذراً من قيامها.

واختلف الأئمة فيها، فعند أبي حنيفة: هي في شهر رمضان تدور فيه، وعنه رواية تدور في كل السنة، وعند صاحبيه: هي منكَّرة؛ أي: غير معينة، ولكنها دائمة في شهر رمضان؛ أي: ثابتة لا تتقدم ولا تتأخر، وعند مالك: هي في شهر رمضان في العشر الأخير لتسع بقين، أو سبع أو خمس، وميل الشافعي إلى أنها ليلة الحادي والعشرين، أو الثالث والعشرين منه، وعند أحمد: هي في العشر الأخير منه، والوتر آكد، وأرجاه ليلة سبع وعشرين.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «شرح البخاري»[٢] فيها خمسة وأربعين قولاً، ولخصها صاحب «الإنصاف» فيه: الأول: قد رفعت، والثاني: خاصة بسنة واحدة وقعت في زمنه عليه أفضل الصلاة والسلام، الثالث: خاصة بهذه الأمة، الرابع: ممكنة في جميع السنة، الخامس: تنتقل في جميع السنة، السادس: ليلة النصف من شعبان،

= (٧٦٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

(١) «الساعة» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «فتح الباري» (٤/ ٢٦٢).

السابع: مختصة برمضان ممكنة في جميع لياليه، الثامن: أول ليلة منه، التاسع: النصف منه، العاشر: ليلة سبع عشرة، الحادي عشر: ثماني عشر، الثاني عشر: تسع عشر، الثالث عشر: حادي عشرين، الرابع عشر: ثاني عشرين، الخامس عشر: ثالث عشرين، السادس عشر: رابع عشرين، السابع عشر: خامس عشرين، الثامن عشر: سادس عشرين، التاسع عشر: سابع عشرين، العشرون: ثامن عشرين، الحادي والعشرون: تاسع عشرين، الثاني والعشرون: ليلة الثلاثين، الثالث والعشرون: أرجاها ليلة إحدى وعشرين، الرابع والعشرون: ثلاث وعشرين، الخامس والعشرون: سبع وعشرين، السادس والعشرون: تنتقل في جميع رمضان، السابع والعشرون: في النصف الأخير، الثامن والعشرون: في العشر الأخير كله، التاسع والعشرون: في أوتار العشر الأخير، الثلاثون: مثله بزيادة الليلة الأخيرة، الحادي والثلاثون: في السبع الأواخر، وهي الليالي السبع من آخر الشهر، الثاني والثلاثون: أو هي آخر سبع من الشهر، الثالث والثلاثون: منحصرة في السبع الأواخر منه، الرابع والثلاثون: في أشفاع العشر الأوسط والعشر الأخير، الخامس والثلاثون: مبهمة في العشر الأوسط، السادس والثلاثون: أول ليلة أو آخر ليلة، السابع والثلاثون: أول ليلة أو تاسع ليلة أو سابع عشرة أو إحدى وعشرين أو آخر ليلة، الثامن والثلاثون: في سبع أو ثمان من أول النصف الثاني، التاسع والثلاثون: ليلة ست عشرة أو سبع عشرة[1]، الأربعون: ليلة سبع عشرة أو تسع عشرة أو

---

(١) «أو سبع عشرة» ساقطة من «ت».

إحدى وعشرين، الحادي والأربعون: ليلة تسع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، الثاني والأربعون: ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، الثالث والأربعون: ليلة اثنين وعشرين أو ثلاث وعشرين، الرابع والأربعون: ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين، الخامس والأربعون: الثالثة من العشر الأخير أو الخامسة منه، والله أعلم[1].

* * *

---

(١) انظر: «الإنصاف» للمرداوي (٣/ ٣٥٥ـ٣٥٦).

سُورَةُ البَيِّنَةِ

مكية على الأشهر، وقيل: مدنية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: أربع مئة وثلاثة أحرف، وكلمها: أربع وتسعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود والنصارى، وتعطف على ﴿أَهْلِ﴾ ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ وهم عبدة الأوثان، فـ(الذين) اسم كان، وخبرها ﴿مُنفَكِّينَ﴾ أي: زائلين عما هم عليه من الدين.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الحجة الواضحة، وهو محمد ﷺ؛ أي: تمسكوا بدينهم إلى أن بُعث ﷺ، فدعاهم إلى الإيمان، وأنقذهم من الضلال، وهذه الآية فيمن آمن من الفريقين.

* * *

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾.

[٢] ثم فسر البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو﴾ يقرأ[١] ﴿صُحُفًا﴾ كتباً

---

(١) «يقرأ» ساقطة من «ت».

﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ من الباطل والكذب، والمراد: يتلو مضمونَ مكتوبِ الصحف، وهو القرآن، لا نفس المكتوب؛ لأنه ﷺ كان يتلو عن ظهر قلبه؛ لأنه كان أمياً، ولما كان تالياً بلسانه ما في الصحف، فكأنه تلا الصحف.

* * *

﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ فِيهَا ﴾ أي: في ﴿ كُتُبٌ ﴾ أي: أحكام مكتوبة ﴿ قَيِّمَةٌ ﴾ مستقيمة.

* * *

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ ﴾.

[٤] ثم بين تعالى أن اختلافهم إنما وقع بعد بعثه ﷺ، فقال: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ في أمر محمد ﷺ ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ أي: بعدما رأوا الآيات الواضحة، وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته، فلما جاء من العرب، حسدوه، واختلفوا في أمره، فآمن بعضهم، وكفر آخرون.

* * *

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ ﴾ هؤلاء الكفار ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ لا يشركون به شيئاً ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ مستقيمين؛ أي: ما أُمروا في كتابيهما إلا بهذا الوصف، و(مُخْلِصِينَ) و(حُنَفَاءَ) نصب على الحال من ضمير (يَعْبُدُوا).

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ وكون الزكاة مع الصلاة في هذه الآية مع ذكر بني إسرائيل فيها يقوي قول من قال: السورة مدنية؛ لأن الزكاة إنما فرضت بالمدينة.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ الملةِ ﴿ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ أي: المستقيمة.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ يوم القيامة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ والبرية: جميع الخلق؛ لأن الله تعالى برأهم؛ أي: أوجدهم بعد العدم.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾.

[٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ قرأ نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر: (الْبَرِيئَةِ) في الحرفين بالهمز والمد على الأصل؛ لأنه من برأ الله الخلق كما تقدم، وقرأ الباقون: بياء مشددة أبدل من الهمزة ياء تخفيفاً، ثم أدغمت في الياء[١].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٠٨).

﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ ﴾ أي: سُكْنى جنات ﴿ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ والعدن: الإقامة والدوام، وقال ابن مسعود: «عدن: بطنانُ الجنة»؛ أي: وسطها[(١)].

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ تأكيداً للخلود بالتأبيد ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [ورضاه: هو ما أظهره عليهم من أمارات رحمته وغفرانه][(٢)] ﴿ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ ورضاهم: هو الرضا بما قسم لهم من الأرزاق والأقدار.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من الجزاء والرضوان ﴿ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ وخص أهل[(٣)] الخشية بالذكر؛ لأنها رأس كل بركة، تنهى عن المعاصي، وتأمر بالمعروف. قرأ قالون عن نافع بخلاف عنه: (رَبَّهُ) باختلاس ضمة الهاء حالة الوصل بالبسملة، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٨٤٠) وغيرهم.

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) «أهل» زيادة من «ت».

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

مدنية، وقيل: مكية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: مئة وخمسة و خمسون حرفاً، وكلمها: خمس وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ حُرِّكت ﴿ ٱلْأَرْضُ ﴾ بعنف لقيام الساعة ﴿ زِلْزَالَهَا ﴾ تحريكَها الشديد.

* * *

﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ موتاها وكنوزها، فتُلقيها على ظهرها.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ الكافر ﴿ مَا لَهَا ﴾ زلزلت حتى أخرجت ما فيها؟!

* * *

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ بدل من (إِذَا)، والعامل في (إِذَا) جوابها، وهو:

﴿تُحَدِّثُ﴾ الخلقَ ﴿أَخْبَارَهَا﴾ بأن تشهد بعمل العاملين عليها، فتشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها؛ بأن تقول: عمل[1] كذا وكذا يوم كذا وكذا.

* * *

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾.

[٥] ﴿بِأَنَّ﴾ أي: تحدث بسبب أنَّ ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أمرها بأن تخبر بما عليها.

* * *

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾.

[٦] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من (يَوْمَئِذٍ) قبلُ ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ ينصرفون من موقف الحساب بعد العرض. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ورويس عن يعقوب: (يَصْدُرُ) بإشمام الصاد الزاي[2] ﴿أَشْتَاتًا﴾ فرقاً مختلفين، فالمؤمنون إلى الجنة، والكافرون إلى النار، ونصبه على الحال.

﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاءها، واللام في (لِيُرَوْا) متعلقة بـ(يَصْدُرُ).

* * *

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾.

[٧] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزنَ نملةٍ صغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾.

---

(١) «عمل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢١١).

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ فيرى الخير كلَّه من كان مؤمناً، والكافر لا يرى في الآخرة خيراً؛ لأن خيره قد عجل له في دنياه، وكذلك المؤمن أيضاً تعجل له سيئاته الصغائر في دنياه[1] في المصائب والأمراض ونحوها. **قرأ** هشام عن ابن عامر: (يَرَهْ) بإسكان الهاء في الحرفين، وروي عن أبي جعفر ثلاثة أوجه: الإسكان كهشام، واختلاس الضمة، وإشباعها، وروي عن يعقوب: الاختلاس والصلة، **وقرأ** الباقون: بالإشباع في الصلة[2].

وروي أنه كان بالمدينة رجلان، أحدُهما لا يبالي عن الصغائر يرتكبها، وكان الآخر يريد أن يتصدق، فلا يجد إلا اليسير فيستحيي من الصدقة، فنزلت الآية فيهما؛ كأنه يقال لأحدهما: تصدَّقْ باليسير؛ فإن مثقال ذرة الخير يُرى، وقيل للآخر: كف عن الصغائر؛ فإن مثقال ذرة الشر يُرى[3]، والله أعلم.

* * *

---

(١) «في دنياه» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٤)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٣٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢١٢).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٦٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٥١٢)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٥١).

سورة العاديات

مختلف فيها كالتي قبلها، وآيها: إحدى عشرة آية، وحروفها: مئة وثمانية وستون حرفاً، وكلمها: أربعون كلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)﴾.

[١] ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ هي خيل الغزاة؛ لأنها تعدو بالفرسان ﴿ضَبْحًا﴾ وهو صوت أنفاسها عند العدو، ونصبها مصدر.

روي أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً إلى بني كنانة سرية، فأبطأ أمرها حتى أرجف بهم بعضُ المنافقين، فنزلت الآية معلمة أن خيله ﷺ قد فعلت جميع ما في الآيات[١].

* * *

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)﴾.

[٢] ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ الخيل توري النارَ بحوافرها إذا سارت في الحجارة.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٥٥).

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ ﴾ غاراتها[1] ﴿ صُبْحًا ﴾ هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح. قرأ أبو عمرو، وخلاد عن حمزة: بإدغام التاء في ضاد (ضَبْحاً)، وصاد (صُبْحاً)، والباقون: بكسر التاء وإظهارها[2].

***

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَأَثَرْنَ ﴾ أي: هَيَّجْنَ ﴿ بِهِۦ ﴾ بمكان سيرهن ﴿ نَقْعًا ﴾ غباراً.

***

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ دخلنَ به وسطَ جمع العدو، والفاء للعطف؛ أي: واللاتي عَدَوْنَ فأورينَ فأغرْنَ فأثرْنَ فوسطْنَ، وجواب القسم:

***

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ لكفورٌ لنعم الله.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هل تدرون ما الكنودُ؟ قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: هو الكفورُ الذي يأكلُ وحده، ويمنعُ رِفْدَه، ويضرِبُ

---

(١) في «ت»: «ظرفها».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢١٥).

عبدَه»[1]، وقد يكون في المؤمنين الكفورُ بالنعمة، فتقدير الآية: إن الإنسان لنعمة ربه لكنود، وأرضٌ كنودٌ: لا تنبت شيئاً[2]، ويقال للبخيل: كنود.

* * *

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: الإنسانَ ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: شاهدٌ على نفسه بذلك.

* * *

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾.

[٨] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ المالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لشديدُ الحبِّ له.

* * *

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾.

[٩] ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ قُلِبَ وأُخْرِج ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ توقيف على المآل والمصير؛ أي: أفلا يعلم مآلَه فيستعدَّ له؟ وهذه عبارة عن البعث.

* * *

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾.

[١٠] ﴿وَحُصِّلَ﴾ أُظْهِر ﴿مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ وكُشف؛ ليقع الجزاء عليه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٧٨)، وغيرهما من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ٧٨)، و«المجروحين» لابن حبان (١/ ٢١٢).

(٢) «شيئاً» زيادة من «ت».

قال ﷺ: «يُبْعثون على نِيَّاتهم»[1].

* * *

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ وهو تعالى خبير دائماً، ولكن خصص يومئذ؛ لأنه يوم المجازاة، وفي هذا وعيد مصرح، وجمع الكناية؛ لأن الإنسان اسم جنس، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٢٠١٢)، كتاب: البيوع، باب: ما ذكر في الأسواق، ومسلم (٢٨٨٤)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، من حديث عائشة رضي الله عنها.

سورة القارعة

مكية، وآيها: عشر آيات، وحروفها: مئة وستون حرفاً، وكلمها: ست وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ ﴾.

[١] ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ هي القيامة نفسُها؛ لأنها تقرع القلوبَ بهولها.

***

﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ تهويلٌ وتعظيم لأمرها.

***

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ الكلام في ذلك وفي إعرابه كما تقدم في (الحاقة).

***

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرفٌ العامل فيه: القارعةُ ﴿ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ﴾ شبه البعوض التي تراها تتهافت في النار ﴿ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ المفرَّق، شبهوا به؛ لكثرتهم وانتشارهم واختلاطهم بعضِهم ببعض عند البعث.

* * *

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ كالصوف[١] ﴿ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ والنفشُ[٢]: خلخلة الأجزاء وتفريقُها عن تراصِّها.

* * *

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ رَجَحَتْ بالحسنات، وميزان القيامة بعمود وكِفَّتين؛ ليبين الله أمرَ العباد بما عدوه، ويتيقنوه، وجمعت الموازين للإنسان؛ لما كانت له موزونات كثيرة متغايرة.

* * *

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي: مرضية في الجنة.

* * *

---

(١) «كالصوف» زيادة من «ت».

(٢) «والنفس» زيادة من «ت».

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بعدم الحسنات.

* * *

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ فَأُمُّهُۥ ﴾ أي: مسكنه ﴿ هَاوِيَةٌ ﴾ اسمٌ من أسماء جهنم، وهي المهواة.

* * *

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ المعنى: أيُّ شيء أعلمك ما الهاوية؟ قرأ حمزة، ويعقوب: (مَا هِيَ) بغير هاء في الوصل، وقرأ الباقون: بالهاء في الحالين؛ لثبوتها في المصحف، ونقلها، والهاء للسكت[1].

* * *

﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ثم فسر (الهاوية) فقال: ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ شديدة الحرارة، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٢٢).

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

مكية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: مئة وتسعة عشر حرفاً، وكلمها: ثمان وعشرون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾.

[١] ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ شغَلَكم ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ المباهاةُ والمفاخرة بكثرة الأموال والرجال عن طاعة الله.

***

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فعَدَدْتم قبور موتاكم، وذلك أن جماعة تفاخروا، فتعادُّوا الأحياء والأموال، وزاروا القبور فتعادُّوا الأموات تفاخراً، فنزلت[١]، وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ، وقيل: معنى (حَتَّى زُرْتُمُ) يعني: متُّم ودُفنتم في المقابر.

***

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٥٠٥).

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ كَلَّا ﴾ زجراً؛ أي: ليس الأمر بالتكاثر ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة تفاخركم إذا حل بكم الموت.

* * *

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ كرَّرَ الوعيدَ ثانياً(١) تأكيداً.

* * *

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ﴾ الأمرِ ﴿ ٱلْيَقِينِ ﴾ وجواب (لَو) محذوف، تقديره: لو تعلمون ماذا يُفعل بكم يوم القيامة علمَ يقين لا شك فيه، لشغلكم عن التفاخر والتكاثر.

* * *

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ القسمُ مضمر فيه، معناه: والله لَتَرَوُنَّ. قرأ ابن عامر، والكسائي: (لَتُرَوُنَّ) بضم التاء مجهولاً من أَريتُه الشيءَ(٢). وقرأ الباقون: بفتح التاء(٣)، وهي الأرجح؛ أي: ترونها بأبصاركم عن بعيد(٤).

---

(١) «ثانياً» ساقطة من «ت».

(٢) «الشيء» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٢٥).

(٤) «عن بعيد» زيادة من «ت».

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾.

[٧] ثم كرر الرؤية تهويلاً لشأنها، فقال: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ الرؤية التي هي نفس اليقين بالمشاهدة، وذلك حين يؤتى بالصراط، فينصب بين جسري جهنم.

***

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ ﴾ أيها الناس ﴿ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ في الدنيا.

روي أنها خمس: شبع بطن، وبارد الشراب، ولذة النوم، وظلال المساكن، واعتدال الخلق(١).

وأكلَ رسولُ الله ﷺ هو وبعض أصحابه رُطَباً، وشربوا عليه ماءً، فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تُسألونَ عنه»(٢)، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٨١).

(٢) رواه النسائي (٣٦٣٩)، كتاب: الوصايا، باب: قضاء الدين قبل الميراث، والترمذي (٢٣٦٩)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، وقال: حسن صحيح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سُورَةُ العَصرِ

مكية، وآيها: ثلاث آيات، وحروفها: أحد وسبعون حرفاً، وكلمها: أربع عشرة كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ١﴾.

[١] ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ هو الدهر، وقيل: هو ما بعد الزوال إلى الغروب.

* * *

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢﴾.

[٢] وجواب القسم: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ اسمُ جنس ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ نقصانٍ وسوءِ حال، والمراد: الكافرُ العاملُ بغير طاعة الله؛ لأنه استثنى بعده المؤمنين.

* * *

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾.

[٣] فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي:

أوصى بعضهم بعضاً بالإقامة على التوحيد والإيمان ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعة، وعن المعصية، فليسوا في خسران.

وخطب ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ على المنبر فقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: أبو جهل، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أبو بكر، وعملوا الصالحات: عمر، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: عثمان، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: علي رضي الله عنهم»[1]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٨٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٨٠).

سُورَةُ الهُمَزَةِ

مكية، وآيها: تسع آيات، وحروفها: مئة وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١)﴾.

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ يعم الشرَّ والحزن، وقيل: هو اسم واد في جهنم.

﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ هو العَيَّابُ الطَّعَّان.

﴿لُّمَزَةٍ﴾ بمعنى الأول، وأصل الهمز: الكسر، واللمز: الطعن، والمعنى: أنه يكسر من أعراض المسلمين، ويطعن في أنسابهم، والهاء فيهما للمبالغة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين ويقع.

* * *

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ (٢)﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح عن يعقوب: (جَمَّعَ) بتشديد الميم، والباقون: بتخفيفها[1].

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٨٢)، و«النشر في=

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أحصاه، وجعله عُدَّةً لحوادث الدهر.

* * *

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهلِهِ ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ في الدنيا، فلا يموت. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم[١]، وحمزة: (يَحْسَبُ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[٢].

* * *

﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ له عن حسبانه، ثم ابتدأ مقسماً، تقديره: والله ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ لَيُطْرَحَنَّ.

﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ من أسماء جهنم؛ لأنها تحطم كل ما ألقي فيها؛ أي: تكسره.

* * *

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ ما النار التي لها هذه الخاصية؟

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٣٣-٢٣٤).

(١) «وعاصم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٣٤).

﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ﴾.

[٦] ثم عظَّم شأنها وأخبر أنها ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾ المسعَّرة[١].

* * *

﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ ﴾ تُشْرِف ﴿ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ بإطلاع الله إياها، فتدخل في أجوافهم فتحرقها، فتكون أشدَّ لعذابهم؛ لأن الفؤاد محل العقائد والنيات.

* * *

﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ تقدَّم تفسيره واختلاف القراء فيه آخر سورة البلد.

* * *

﴿ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ فِى عَمَدٍ ﴾ جمع عمود. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بضم العين والميم، والباقون: بفتحهما[٢] ﴿ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ مطوَّلة، فتكون أرسخ من القصيرة.

---

(١) في «ت»: «العسرة».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٣٥).

قال ابن عباس: «أدخلهم في عمد، ومدت عليهم بعماد، في أعناقهم السلاسل، وسدت عليهم بها الأبواب؛ استيثاقاً على استيثاق، وزيادة في العذاب»[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٩٥). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٨٢-٦٨٣)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٨٠٣).

سُورَةُ الفِيلِ

مكية، وآيها: خمس آيات، وحروفها: سبعة وتسعون حرفاً، وكلمها: ثلاث وعشرون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

روي أن الحبشة ملكوا اليمن بعد حِمْيَر، فلما صار الملك إلى أبرهة منهم، وكان نائب النجاشي بصنعاء، بنى كنيسة عظيمة، وقصد أن يصرِف حجَّ العرب إليها، ويُبطل الكعبة الحرام، فجاء شخص من العرب وأحدث في تلك الكنيسة، فغضب أبرهة لذلك، وسار بجيشه ومعه الفيل، وهي فيل النجاشي بعثه إليه بسؤاله، وكان فيلاً لم يُر مثلُه عِظَماً وجسماً وقوة، وكان يقال له: محمود، قصد مكة ليهدم الكعبة، فلما وصل إلى الطائف، بعث الأسودَ بنَ مقصود إلى مكة، فساق أموال أهلها، وأحضرها إلى أبرهة، وأرسل أبرهة إلى قريش، فقال لهم: لستُ أقصد الحرب، بل جئت لأهدم الكعبة، فقال عبد المطلب: والله ما نريدُ حربه، هذا بيت الله، فإن منع عنه، فهو بيته وحرمه، وإن خلَّى بينه وبينه، فو الله ما عندنا مِن دفع، ثم انطلق مع رسول أبرهة إليه، فلما استأذن على عبد المطلب، قالوا لأبرهة: هذا سيد قريش، فأذن له أبرهة وأكرمه، ونزل عن سريره وجلس معه،

وسأله عن حاجته، فذكر عبد المطلب أباعِرَه التي أُخذت له، فقال له أبرهة: إني كنت أظن أنك تطلب مني أن لا أخرب الكعبةَ التي هي دينُك، فقال عبد المطلب: أنا ربُّ الأباعر فأطلبُها، وللبيت ربٌّ يمنعه، فأمر أبرهة بردِّ الأباعر عليه، فأخذها عبد المطلب وانصرف إلى قريش، ولما قرب أبرهة من مكة، وتهيأ لدخولها بجيوشه، ومقدمها الفيل، بقي كلما قَبَّل فيلَه مكة، ينام ويرمي نفسه إلى الأرض، ولم يسر، فإذا قبّلوه غيرَ مكة، قام يهرول.

وبينما هم كذلك، إذ أَرسل عليهم طيراً أبابيل أمثالَ الخطاطيف، مع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، فقذفتهم بها، وهي مثل الحِمِّص والعَدَس، فلم تصب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلَّهم أصابت، ثم أرسل الله تعالى سيلاً، فألقاهم في البحر، والذي سلم منهم ولَّى هارباً مع أبرهة إلى اليمن يتبدر الطريق، وصاروا يتساقطون بكل مَنْهَل، وأصيب أبرهة في جسده، وسقطت أعضاؤه، ووصل إلى صنعاء كذلك ومات، ولما وقع ذلك، خرجت قريش إلى منازلهم، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ في نصف المحرم، وولد ﷺ في شهر ربيع الأول، فبين الفيل وبين مولده الشريف خمس وخمسون ليلة، وهي سنة ستة آلاف ومئة وثلاث وستين من هبوط آدم ـ عليه السلام ـ على حكم التوراة اليونانية المعتمدة عند المؤرخين، وبين قصة الفيل والهجرة الشريفة النبوية ثلاث وخمسون سنة(١).

***

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٨٨).

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾.

[١] قال الله تعالى مُعَجِّباً من قصتهم، مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أي: تعلم ﴿ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ نُسبوا إليه؛ لأنه كان مقدَّمهم.

* * *

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ ﴾ مكرَهم فيما أرادوا من تخريب الكعبة.

﴿ فِى تَضْلِيلٍ ﴾ تضييع وإبطال.

* * *

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ﴾ لها خراطيمُ كخراطيم الطير، وأكُفٌّ كأكفِّ الكلاب، وكانت سوداً ﴿ أَبَابِيلَ ﴾ جماعات في تفرقة يتبع بعضُها بعضاً.

* * *

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ تَرْمِيهِم ﴾ أي: الطيرُ ﴿ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ طينٍ مطبوخ بالنار، فصاحت الطيور، ورمتهم بالحجارة، وبعث الله ريحاً فضربت الحجارة، فزادتها شدة، فما وقع حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

* * *

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾ .

[٥] ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ ﴾ ورق الزرع، وهو التبن ﴿ مَّأْكُولٍ ﴾ أكلته الدواب فراثَتْه فيبس وتفرقت أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم تفرق أجزاء الروث، والله أعلم.

* * *

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكية، وآيها: أربع آيات، وحروفها: أربعة وستون حرفاً، وكلمها: سبع عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾.

[١] ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ اللام متصلة بما قبلها، والمعنى: فجعلهم كعصف؛ أي: أهلك الله أصحاب الفيل؛ لتتألف قريش، ويؤيده أنهما في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة. (لِإِلَافِ) بهمزة مكسورة بعد اللام من غير ياء بعد الهمزة مثل: لِعِلاف مصدر أَلِفَ ثلاثياً، يقال: ألف الرجل إلفاً وَإِلافاً، وقرأ أبو جعفر: (لِيْلَافِ) بياء ساكنة من غير همز على وزن دينار، وقرأ الباقون: بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن لِعِيلاف.

***

﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ بدل من لإيلاف، قرأ أبو جعفر: (إِلَافِهِمْ) بهمزة مكسورة من غير ياء على وزن عِلافِهم، ووجهها أن تكون مصدرَ ثلاثي؛

كقراءة ابن عامر الأول، وقرأ الباقون: (إِيلَافِهِمْ) بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن عِيلافهم[1].

﴿ رِحْلَةَ ﴾ نصب بـ(إِيلَافِهِمْ) مفعول به، أصل الرحلة: السير على الراحلة، ثم استعمل لكل سير، المعنى: أهلك أصحاب الفيل؛ لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة.

﴿ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ لئلا يقدم أحد على أذاهم إذا سافروا، وكان لهم رحلتان: في الشتاء إلى اليمن، لأنه أدفأ، وفي الصيف إلى الشام للتجارة، وسائر أغراضهم يستعينون بها على المقام بمكة، وسموا قريشاً تشبيهاً لدابة تكون في البحر يقال لها: قرش، تقهر دواب البحر، وتأكلهم ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلى، فشبهوا بها لشدتهم ومنعتهم، وقريش من ولد النضر بن كنانة، ومن لم يلده، فليس بقرشي، فمعنى الآية: لأن فعل الله بقريش هذا، ومكّنهم من الفهم هذه النعمة.

* * *

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ وذكرُ البيت هنا متمكن؛ لتقدم حمايته في السورة قبلُ.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٤٣).

﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ لأنهم قاطنون بواد غير ذي زرع، عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله تعالى.

﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ فجعلهم بحرمة البيت مفضَّلين على العرب، يأمنون والناس خائفون، ولولا فضل الله تعالى في ذلك، لكانوا بمدرج المخاوف، وقيل: أمنهم من خوف الجذام، فلا يصيبهم جذام ببلدهم، والله أعلم.

* * *

سُورَةُ المَاعُونِ

مكية، وقيل: مدنية، وقيل: نصفها مكي ونصفها مدني، وآيها: سبع آيات، وحروفها: مئة واثنا عشر حرفاً، وكلمها: خمس وعشرون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾.

[١] ﴿أَرَءَيْتَ﴾ المعنى: هل عرفت ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: بالجزاء والحساب. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَرَأَيْتَ) بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، وقرأ الكسائي: بحذفها، والباقون: بتحقيقها[١]، المعنى: إن لم تعرفه.

***

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ يدفعه عن حقه بعنف؛ لأنهم ما كانوا يورِّثون الصغار.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧-٣٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٤٩).

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ وَلَا يَحُضُّ ﴾ نفسَه ولا غيرَه ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ وتقدم الكلام عليه في سورة الفجر .

* * *

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿فَوَيْلٌ﴾ تقدم تفسيره في أول (الهُمَزَة) ﴿ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ .

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ مؤخِّروها عن وقتها .

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ هم المنافقون، يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها إذا حضروا .

* * *

﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ الزكاةَ المفروضةَ، وقيل عاريّةَ المتاع .

واتفق الأئمة على عدم جواز تأخير الصلاة عن وقتها لمن وجبت عليه بغير عذر .

واتفقوا على أن من جحد وجوبها كفر، وقُتل مرتداً، ومن تركها تهاوناً

وكسلاً، دُعي إلى فعلها، فإن أبى، فعند أبي حنيفة يحبس أبداً حتى يصلي، وقيل: يضرب حتى يسيل الدم، وعند الثلاثة: يقتل.

واختلفوا، فقال أحمد: يقتل كفراً، وقال مالك والشافعي: يقتل حداً.

ووقت قتله عند الشافعي: إذا ضاق وقت الصلاة الأولى، وأخرجها عن وقت الضرورة، وعند أحمد: إذا ترك صلاة، وتضايق وقت التي بعدها، وعند مالك: لا يرخص له بتأخيرها عن وقتها، فإن أتى بها، وإلا قتل.

وأما الزكاة إذا منعها جاحداً وجوبَها وهو جاهل؛ كحديث إسلام ونحوه، عُرِّفَ وبُصِّر، فإن لم يُقر، قُتل كفراً بعد استتابته بالاتفاق.

واختلفوا فيمن منعها بخلاً أو تهاوناً، فقال أبو حنيفة: يأخذها الإمام كرهاً، ويضعها موضَعها، وقال مالك والشافعي: يُعَزَّر، وتؤخذ منه، وافقهما أحمد، وقال: إن غيب ماله، أو كتمه، ولم يمكن أخذها، استُتيب ثلاثة أيام، فإن تاب وأخرج، وإلا قتل حداً، والقتل من مفردات مذهبه؛ خلافاً للثلاثة، والله أعلم.

* * *

سورة الكوثر

مكية، وآيها: ثلاث آيات، وحروفها: اثنان وأربعون حرفاً، وكلمها: عشر كلمات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ اسم نهر في الجنة.

روى أنس: «أن رسول الله ﷺ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أُنزلت علي آنفاً سورة، وقرأها، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وَعَدَنيه ربي، هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيتُه عددُ النجوم، فيختلج العبدُ منهم، فأقول: ربِّ إنه مني، فيقول: ما تدري ما أحدثَ بعدَك»(١).

***

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ صلاة العيد يوم النحر، وتقدم الكلام على صلاة

---

(١) رواه مسلم (٤٠٠)، كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

العيدين والخلاف فيهما في سورة البقرة.

﴿وَٱنْحَرْ﴾ البدن بمنى، وقيل: إن ناساً كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه أن يصلي وينحر لله تعالى.

وتقدم في سورة الحج حكم الأضحية، والمجزىء منها، والأفضل، واختلاف الأئمة في ذلك، وفي ذبح الكتابي لها، وغير ذلك من أحكامها.

وأما وقت الأضحية، فأوله عند أبي حنيفة: طلوع الفجر يوم النحر، إلا أن أهل المصر لا يضحون قبل صلاة العيد، بخلاف أهل القرى، وعند مالك: بعد الصلاة والخطبة، ولا يجوز لأحد أن يذبح قبل الإمام متعمداً إن كان الإمام ممن يظهر النحر، وإلا فلينحر الناس وقتَ ذبحه، أو ذبح أقرب أئمة البلدان إليهم، وعند الشافعي: وقتها إذا طلعت الشمس يوم النحر، ثم مضى قدرُ ركعتين وخطبتين خفيفتين، وعند أحمد: يوم العيد بعد الصلاة أو قدرها، وأيام النحر عند الشافعي: يوم النحر، وأيام التشريق الثلاثة، وعند الأئمة الثلاثة: يوم النحر، ويومان من أيام التشريق.

* * *

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك. قرأ أبو جعفر: (شَانِيكَ) بياء مفتوحة، والباقون: بالهمز[١] ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ الأقلُّ الأذلُّ.

روي أن العاص بن وائل كان إذا ذُكر رسول الله ﷺ قال: دعوه؛ فإنه

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٥٣).

رجل أبتر لا عقبَ له، فإذا هلك، انقطع ذكره، فأنزل الله السورة(١).

وكوثر بناء مبالغة من الكثر، ولا محالة أن الذي أعطى الله نبيه ﷺ من النبوة والحكمة والعلم بربه، والفوز برضوانه، والشرف على عباده، هو أكثر الأشياء وأعظمها، فكأنه يقال في الآية: إنا أعطيناك الحظَّ الأعظمَ، والله أعلم.

* * *

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٥/ ٢٥٢)، عن يزيد بن رومان. وروى الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٢٩) عن قتادة وابن زيد نحوه.

سُورَةُ الكَافِرُونَ(1)

مكية، وآيها: ست آيات، وحروفها: أربعة وتسعون حرفاً، وكلمها: ست وعشرون كلمة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾.

[١] ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ سبب نزولها أن جماعة من المشركين قالوا للنبي ﷺ: اعبد آلهتنا سنة، ونعبدُ ربك سنة، فقال: «معاذَ الله أن أشرك به غيره»، قال: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد آلهك، فقال: «حتى أنظر ما يأتي من ربي»، فأنزل الله السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم، ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك، وآذْوه وأصحابَه(٢).

***

---

(١) وتسمى هي والإخلاص: المقشقشتان؛ أي: المبرئتان من النفاق.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٣١)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٧٥١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ومعنى ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ لا أعبد الأصنام التي تعبدون.

* * *

﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ هو الله عز وجل؛ لإشراككم به، واتخاذكم معه الأصنام، فإن زعمتم أنكم تعبدونه، فأنتم كاذبون؛ لأنكم تعبدونه مشركين به.

* * *

﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ و(ما) هنا مصدرية، وكذا في الذي بعده؛ أي: لا أعبد مثل عبادتكم.

* * *

﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ أي: لا تعبدون مثلَ عبادتي التي هي توحيد، تلخيصه: أنه ﷺ نفى أن يكون على مثل حالهم، أو يكونوا على مثل حاله، وهذا الترتيب ليس بتكرار، بل هو بارع الفصاحة، وفيه التأكيد والإبلاغ. قرأ هشام عن ابن عامر: (عَابِدٌ) و(عَابِدُونَ) في الحرفين بالإمالة، والباقون: بالفتح[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٥٧).

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ ﴾ .

[٦] ثم زاد الأمرَ بياناً وتبرؤاً منهم بقوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ الشركُ .

﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ الإسلامُ. قرأ نافع، وهشام، وحفص، والبزي بخلاف عنه: (وَلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١)، وقرأ يعقوب: (دِينِي) بإثبات الياء في الحالين، والباقون: بحذفها فيهما(٢)، وفي هذه الألفاظ مهادنة ما، وهي منسوخة بآية القتال، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٥٧).

سورة النصر

مدنية، وآيها: ثلاث آيات، وحروفها: تسعة وسبعون حرفاً، وكلمها: تسع عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لما صالح رسول الله ﷺ قريشاً عام الحديبية على وضع الحرب على الناس عشر سنين كما تقدم في سورة الفتح، دخل بنو بكر بن عبد مناف في عقد قريش، ودخل بنو خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، وكانت بينهما حروب في الجاهلية، فعدَتْ بنو بكر على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوتير، وتظاهرت قريش مع بني بكر، وأعانوهم بالرجال والسلاح بعد أن وعدوهم، ووافوهم متنكرين، فبيتوا خزاعة ليلاً، فقتلوا منهم عشرين، ثم ندمت قريش على ما فعلوا، وعلموا أن هذا نقض العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في طائفة من قومه، فقدموا على رسول الله ﷺ مستعينين به، فوقف عمرو عليه وهو جالس في المسجد، وأنشده أبياتاً يسأله أن ينصره، فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْت يا عَمْرَو بنَ سالمِ»، ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة على النبي ﷺ، وأخبره، فقال: «كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد العقد، ويزيد في المدة»، فكان كذلك، ثم قدم أبو سفيان المدينة، فدخل

على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين زوجِ رسول الله ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ، طَوَتْه عنه، فقال: ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش، أم رغبتِ به عني؟ قالت: بل هو فِراشُ رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، قال: والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر.

ثم خرج وأتى النبيَّ ﷺ، فكلمه، فلم يردَّ عليه شيئاً، فذهب إلى أبي بكر، ثم إلى عمر، ثم إلى علي - رضي الله عنهم - على أن يكلموا النبي ﷺ في أمره، وتشفَّع بهم، فلم يفعلوا، فقال لعلي: يا أبا الحسن! إني أرى الأمور قد اشتدت علي، فانصحني، قال: والله لا أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، والحقْ بأرضك، قال: أو ترى ذلك يغني عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس! إني قد أجرتُ بين الناس، ثم ركب بعيره وانطلق.

فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ فقص شأنه، وأنه قد[1] أجار بين الناس، قالوا: فهل أجاز محمد ذلك؟ قال: لا، قالوا: والله إن زاد الرجل على أن لعب بك.

ثم أمر رسولُ الله ﷺ بالجهاد، وأمر أهله أن يجهزوه، ثم أعلم الناس أنه يريد مكة، وقال: «اللهم خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قريش حتى نَبْغَتَهم في بلادهم»، ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة كلثوم بن الحصين الغفاري، فخرج لعشرة مضين من شهر رمضان، ومعه المهاجرون والأنصار، وطوائف من العرب، فكان جيشه عشرة آلاف، فصام وصام

---

(١) «قد» زيادة من «ت».

الناس معه، حتى إذا كان بالكديد، وهو الماء الذي بين قديد، أفطرَ، وبلغ ذلك قريشاً، فخرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار، وكان العباس ـ رضي الله عنه ـ أسلم قديماً، وكان يكتم إسلامه، فخرج بعياله مهاجراً، فلقي رسولَ الله ﷺ بالجحفة، أو بذي الحليفة.

ثم حضر أبو سفيان على يدي العباس إلى النبي ﷺ بعد أن أستأمن له، فأسلم هو وحكيم وبديل، وممن أسلم يوم الفتح: معاوية بن أبي سفيان، وأخوه يزيد، وأمه هند بنت عتبة، وكان معاوية يقول: إنه أسلم يوم الحديبية، فكتم إسلامه من أبيه وأمه، وقال العباس: يا رسول الله! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه فقال: «مَنْ دخلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومن دخلَ المسجدَ فهو آمنٌ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمنٌ، ومن دخلَ دارَ حكيمِ بنِ حزام فهو آمنٌ».

ثم أمر رسول الله ﷺ أن تُركز رايةُ سعد بن عبادة بالحجون لما بلغه أنه قال: اليومَ يومُ الملحمة، اليومَ تُستحل الكعبة، فقال: «كذبَ سعدٌ، ولكن هذا يوم يعظِّمُ اللهُ فيه الكعبةَ، ويومٌ تُكْسى فيه الكعبة»، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء في بعض الناس، وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا؛ لأن النبي ﷺ نهى عن القتال؛ إلا أن خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش، فرموه بالنبل، ومنعوه من الدخول، فقاتلهم خالد، فقُتل من المشركين ثمانية وعشرون رجلاً، فلما ظهر النبي ﷺ على ذلك، قال: «ألم أَنْهَهُ عن القتال؟»، فقالوا له: إن خالداً قوتل فقاتل، وقُتل من المسلمين رجلان، ودخل النبي ﷺ من كداء على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح، يُرَجِّع.

وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة الشريفة، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة، ثم خرج إلى هوازن وثقيف، وتقدم اختلاف الأئمة في حكم فتحها، هل هو صلح أو عَنوة؟ وحكمُ بيع دورها في سورة الحج.

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة، كان على الكعبة ثلاث مئة وستون صنماً، قد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص، فجاء ومعه قضيب، فجعل يومي إلى كل صنم منها، فيخرُّ لوجهه، فيقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، حتى مر عليها كلِّها، وكان على رأسه ﷺ عِمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: «لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه، صدقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، ألا إن كل مأثورة أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قدميَّ هاتين، إلا سدانةَ الكعبة، وسقايةَ الحاج»، ثم قال: «يا معشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم؟»، قالوا جميعاً: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ الآية [يوسف:٩٢]، ثم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فأعتقهم رسول الله ﷺ، ثم طاف بالبيت سبعاً على راحلته، واستلم الركن بمِحْجَن كان في يده، ودخل الكعبة، ورأى فيها الشخوص على صورة الملائكة، وصورةَ إبراهيم(١) وفي يده الأزلامُ يستقسم بها، فقال: «قاتَلَهُمُ الله! جعلوا شيخنا يستقسِمُ بالأزلام، ما شأنُ إبراهيمَ والأزلام؟!»، ثم أمر بتلك الصور فطُمست، وصلَّى في البيت، ثم جلس على الصفا، وعمرُ بنُ الخطاب أسفلَ منه يأخذ على الناس، وبايع الناس على السمع والطاعة لله ورسوله،

---

(١) من قوله: «وتعلو ولا تعلى» (ص: ٤٣٩) إلى هنا سقط من «ش».

فبايع الرجال ثم النساء، ولما جاء وقت الظهر، أذن بلال ـ رضي الله عنه ـ على ظهر الكعبة، وقام علي ـ رضي الله عنه ـ ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسولَ الله! اجمع لنا الحجابةَ مع السقاية صلَّى الله عليك، فقال ﷺ: «أين عثمانُ بنُ طلحة؟»، فدُعي له، فقال: «هاكَ مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بِرٍّ ووفاء، وقال: خذوها تالدةً خالدةً، لا ينزِعُها منكم إلا ظالم، يا عثمان! إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصلُ إليكم من هذا البيت بالمعروف»(١).

***

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾.

[١] قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ لكَ يا محمدُ على من عاداك وناوأك ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ هو فتح مكة والطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن.

***

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢﴾.

[٢] ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ نصب على الحال من فاعل (يَدْخُلُونَ) أي: جماعات متفرقة؛ لأنه ﷺ لما فتح مكة، جاءه العرب من أقطار العرب طائعين بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين، وما مات ﷺ وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام.

***

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٤٢)، و«الثقات» لابن حبان (٢/ ٣٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٠٥ـ٧٠٧).

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد، حامداً له عليه ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ ترجية عظيمة للمستغفرين.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ لمن استغفر، فإنك حينئذ[١] لاحق به، وذائق الموت كما ذاق مَنْ قبلك من الرسل، وعند الكمال يُترقب الزوال.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «لما نزلت هذه السورة، علم النبي ﷺ أنه قد نُعيت إليه نفسه»[٢]، وكان ﷺ بعد نزولها يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه[٣]، فعاش بعدها سنتين، لم يُرَ ضاحكاً مستبشراً[٤]، وحج ﷺ فنزل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فعاش أحداً وثمانين يوماً، فنزل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]، فعاش خمسين يوماً، فنزل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فعاش خمسة وثلاثين يوماً، فنزل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فعاش أحداً وعشرين يوماً، وتوفي ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وفرغ من جهازه يوم الثلاثاء، ودفن ليلة الأربعاء في سنة إحدى عشرة من الهجرة الشريفة، وكان مرضه ثلاث عشرة

---

(١) «حينئذ» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٤٤). وروى البخاري (٤٦٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما نحوه.

(٣) رواه مسلم (٤٨٤)، كتاب: الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢١) عن مقاتل.

ليلة، ودفن في الموضع الذي توفاه الله فيه، وله ثلاث وستون سنة، ولم يترك درهماً ولا ديناراً.

قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: «لما كانَ اليومُ الذي دخلَ فيه رسولُ الله ﷺ يعني: المدينة أضاء منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه، أظلمَ منها كلُّ شيء ﷺ»[1] وشَرَّفَ وكَرَّم.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٦١٨)، كتاب: المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، وقال: صحيح، وابن ماجه (١٦٣١)، كتاب: الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٣٤)، وغيرهم.

سورة المسد

مكية، وآيها: خمس آيات، وحروفها: أحد وثمانون حرفاً، وكلمها: ثلاث وعشرون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾.

[١] ﴿تَبَّتْ﴾ أي: خسرت ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: هو، أخبر عن يديه والمراد بهما: نفسُه؛ على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله، وأسند ذلك إلى اليدين؛ من حيثُ اليدُ موضع الكسب والربح، وأبو لهب هو عبدُ العزى بنُ عبد المطلب، وهو عم النبي ﷺ، وكني لشهرته بكنيته دون اسمه(١). قرأ ابن كثير: (لَهْبٍ) بإسكان الهاء، والباقون: بفتحها(٢)، وهما لغتان، ولا خلاف في الحرف الثاني أنه بالفتح.

﴿وَتَبَّ﴾ فالأول دعاء، والثاني خبر؛ كقولهم: أهلكه الله تعالى، وقد هلك.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٥١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٧٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٦٥).

وسبب نزولها: لما دعا رسول الله ﷺ قومه إليه، وقال لهم: «إنِّي نذيرٌ لكم بينَ يَدَي عذابٍ شديدٍ»، قال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا[١]؟! وروي أنه أخذ حجراً ليرميه، فافترقوا عنه، فنزلت السورة[٢].

* * *

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ ﴾ و(ما) نافية؛ أي: ما يغني ﴿ عَنۡهُ مَالُهُۥ ﴾ أي: ما يدفع عنه عذابَ الله ما جمعَ من المال، وكان صاحب مواشي ﴿ وَمَآ ﴾ أي: والذي ﴿ كَسَبَ ﴾ من عَرَض الدنيا من عقار ونحوه، وقيل: المراد بما كسب: بنوه، فكأنه قال: ما أغنى عنه مالُه وولده.

وقال ﷺ: «خيرُ ما كَسَبَ الرجلُ من عملِ يدِه، وإن ولدَ الرجلِ من كَسْبِه»[٣].

* * *

﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ ﴾.

[٣] ثم أوعده بالنار فقال: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾ صاحبةَ تلهُّب وتوقُّد.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٧)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ من حديث ابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٥٤٤).

(٣) كذا ساقه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٣٤)، وعنه نقله المصنف رحمه الله. وقد رواه أبو داود (٣٥٢٨)، كتاب: الإجارة، باب: في الرجل يأكل من مال ولده، والنسائي (٤٤٤٩)، كتاب: البيوع، باب: الحث على الكسب، وابن ماجه (٢١٣٧)، كتاب: التجارات، باب: الحث على المكاسب، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه».

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] وتعطف على ضمير ﴿ سَيَصۡلَىٰ ﴾ ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾ أمُّ جميل بنتُ حرب أختُ أبي سفيان ﴿ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ أي: الخطايا.

وقال ابن عباس: كانت تجيء بالشوك، وتطرحه في طريق النبي ﷺ وطريق أصحابه؛ لتعقرَهم بذلك، فسميت: حمالة الحطب. قرأ عاصم: (حَمَّالَةَ) بالنصب على الذم؛ كقوله: ﴿ مَّلۡعُونِينَ ﴾، وقرأ الباقون: بالرفع[١]، وله وجهان: أحدهما: سيصلى هو وامرأتهُ حمالةُ الحطب، والثاني: وامرأته حمالةُ الحطب في النار أيضاً.

* * *

﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٌ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ عنقها ﴿ حَبۡلٌ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً، وأصله من المَسْد، وهو الفتل الشديد، فبينا هي ذات يوم حاملة حزمة، فأعيت[٢]، فقعدت على حجر تستريح، فأتاها ملَكٌ فجذبها من حلقها[٣]، فأهلكها الله[٤]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٧٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٦٦-٢٦٧).

(٢) «فأعيت» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «خلفها».

(٤) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت»، وانظر «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٣٢٧).

سُورَةُ الإخلَاص

مختلف فيها، وآيها: أربع آيات، وحروفها: سبعة وأربعون حرفاً، وكلمها: خمس عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

[١] عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن صفة الله[١] ـ سبحانه وتعالى عما يقول الكافرون[٢] ـ، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ﴾[٣] (هو) ضمير الشأن ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ معناه: واحد فرد من جميع جهات الوحدانية، ليس كمثله شيء، وهو ابتداء، و(اللَّهُ) ابتداء ثان، و(أَحَدٌ) خبره، والجملة خبر الأول.

* * *

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾.

[٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له؛ لأنه تعالى ليس بجسم

---

(١) في «ت»: «نسب ربه».

(٢) في «ت»: «الجاهلون».

(٣) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٤٥٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٥٣٦).

ولا مركب؛ لأنه لو كان مركباً، لكان له باطن، والصمد في كلام العرب: السيد الذي يُصمد إليه في الأمور، و(اللهُ الصَّمَدُ) ابتداء وخبر، والقراءة وصلاً (أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ) منوناً مكسوراً لالتقاء الساكنين، وكان أبو عمرو في أكثر الروايات عنه يسكت عند (هُوَ اللهُ أَحَد)، وزعم أن العرب لا تصل مثل هذا، وروي عنه أنه قال: وصلُها قراءة موضوعة[1]، وروي عنه أنه قال: أدركت القراء كذلك يقرؤونها (قُلْ هُوَ اللهُ أحد)، وإن وصلت، نونت، وروي عنه أنه قال: أحبُّ إليَّ إذا كان رأس آية أن يسكت عندها، وذلك لأن الآية منقطعة مما بعدها، مكتفية بمعناها، فهي فاصلة، وبها سميت آية، وأما وقفهم كلهم، فيسكتون على الدال[2].

***

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾.

[٣] ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لعدم المجانسة؛ لأنه لم يكن له من يجانسه فيتوالد[3] ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولود محدَثٌ وجسمٌ، وهو تعالى ليس بجسم ولا محدَث، وهو رد على إشارة الكفار في النسب الذي سألوه.

***

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

[٤] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾ خبر (كان)، واسمها ﴿أَحَدٌ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (كُفُواً) بضم الفاء وفتح الواو من غير همز، وقرأ حمزة،

---

(١) في «ت»: «محدثة».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٥٣٦).

(٣) في «ت»: «فيتوالدا».

ويعقوب، وخلف: بإسكان الفاء مع الهمز، وإذا وقف حمزة، أبدل الهمزة واواً مفتوحة اتباعاً للخط، وقرأ الباقون: بضم الفاء مع الهمز[1]، وكلها لغات صحيحة، ومعناها: المثل، المعنى: لا أحد يكافئه، ولا يماثله في شيء ما، وقد احتوت هذه السورة على كل صفاته تعالى.

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثلثَ القرآن»[2]؛ لِما فيها من التوحيد، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٧٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٧٢).

(٢) رواه مسلم (٨١١)، كتب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

سُورَةُ الفَلَقِ

مدنية، وآيها: خمس آيات، وحروفها: ثلاثة وسبعون حرفاً، وكلمها: ثلاث وعشرون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

روي أن بنات لَبيد بنِ الأعصم اليهودي كنَّ ساحرات، وهن اللواتي سحرْنَ مع أبيهن[1] رسولَ الله ﷺ، وعَقَدْنَ له إحدى عشرة عقدة، فروي أنه لبث فيه ستة أشهر، واشتد عليه، حتى إنه ليُخَيَّلُ إليه أنه فعلَ الشيءَ وما فعلَه، وكان تسلُّط السحرِ على ظاهره وجوارحِه، لا على قلبه واعتقاده وعقله، فأنزل الله إحدى عشرة آية بعدد العقد هُنَّ المعوذتان، وأمره أن يتعوذ بهما، فجعل كلما يقرأ آية، انحلت عقدة، ووجد ﷺ خفة حتى انحلت عنه العقدة الأخيرة، فقام كأنما أنشط من عقال[2].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾.

[١] فقال تعالى[3]: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أستجير ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ الصبح؛ لأن

---

(١) «أبيهن» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٣٣٨)، و«روح المعاني» للألوسي (٣٠/ ٢٨٣). وروى قصة سحر لبيدٍ النبيَّ ﷺ: البخاري (٥٤٣٣)، كتاب: الطب، باب: السحر، ومسلم (٢١٨٩)، كتاب: السلام، باب: السحر، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) في «ت»: «قوله تعالى».

عموده يتفلَّق بالضياء عن الظلام، ومنه: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

* * *

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ (ما) بمعنى الذي يعمُّ كلَّ موجود له شر. وقرأ بعض المعتزلة القائلين بأن الله لم يخلق الشر (مِنْ شَرٍّ) بالتنوين[(١)] (ما خَلَقَ) على النفي، وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل، فالله[(٢)] خالقُ كلِّ شيء.

* * *

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ هو القمر ﴿ إِذَا وَقَبَ ﴾ خسفَ واسودَّ.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «أخذ رسولُ الله ﷺ بيدي، فأشار إلى القمر، فقال: يا عائشة! تعوَّذي بالله من شرِّ هذا؛ فإن هذا الغاسِقُ إذا وَقَبَ»[(٣)].

* * *

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ السواحر اللواتي ينفثْنَ في عقد

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٥٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٧٧).

(٢) في «ت»: «الله».

(٣) رواه الترمذي (٣٣٦٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المعوذتين، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٦١)، وغيرهما.

الخيط إذا رَقَيْن. قرأ رويس عن يعقوب بخلاف عنه: (النَّافِثَاتِ) بألف بعد النون وكسر الفاء مخففة من غير ألف بعدها، وقرأ روح عن يعقوب أيضاً بخلاف عنه: (النُّفَاثَاتِ) بضم النون [وتخفيف الفاء جمع نُفَاثة، وهو ما أنفثته من فيك، وقرأ الباقون: بتشديد الفاء وفتحها وألف بعدها من غير ألف بعد النون[1]، وأجمعت المصاحف على حذف الألفين، فاحتملتها][2] القراءات، والكلُّ مأخوذ من النفث، وهو شبهُ النفخ يكون في الرقية، ولا ريقَ معه، فإن كان معه ريق، فهو التفل، يقال منه: نفث الراقي ينفُث وينفِث ـ بالضم والكسر ـ، فالنفاثات في العقد ـ بالتشديد ـ: السواحر على مراد تكرار الفعل والاحتراف به، والنفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل ولتكراره أيضاً، فالقراءات كلها ترجع إلى شيء واحد، ولا تخالف الرسم.

***

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ إذا أظهر حسده، وعمل بمقتضاه، والحسد أخبثُ الطبائع، وهو تمني زوال النعمة عن مستحقها، سواء كانت نعمة دين أو دنيا.

قال ﷺ: «الحسدُ يأكلُ الحسنات كما تأكلُ النارُ الحطبَ»[3].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٤-٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٧٧).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) رواه أبو داود (٤٩٠٣)، كتاب: الأدب، باب: في الحسد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده ضعيف. انظر: «فيض القدير» للمناوي (٣/ ١٢٥).

وقد روي عن الله ـ عز وجل ـ أنه قال: «الحاسدُ مُضادٌّ لقضائي، جاحِدٌ لنَعْمائي»[1].

قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: «ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلومٍ من الحاسد، غَمٌّ دائم، ونفسٌ متتابع»[2].

وأول ذنب عُصي الله تعالى به في السماء: حسدُ إبليس لآدم، فأخرجه من الجنة، فطرد[3]، وصار به شيطاناً رجيماً، وفي الأرض: حسدُ قابيل لأخيه هابيل، فقتله.

وعين الحاسد في الأغلب لا تضر، قال بعضهم: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد؛ فإنه لا يُرضيه إلا زوالُ النعمة عنك.

وأنشد بعضهم:

فَكُلٌّ أُداريهِ على حسبِ حالِهِ ... سِوى حاسدٍ[4] فَهْيَ التي لا أَنالُها
وكيفَ يدُاري المرءُ حاسدَ نعمةٍ ... إذا كانَ لا يُرضيه إلاَّ زَوالُها

قال الحسين بن الفضل: ذكر الله تعالى الشرور في هذه السورة، ثم ختمها بالحسد؛ ليظهر أنه أخس طبع[5].

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ١٩)، عن وهب بن منبه.
(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٣٥) لكن عن الخليل بن أحمد.
(٣) «فطرد» زيادة من «ت».
(٤) في «ت»: «حاسدي».
(٥) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٤٥٣).

[قال ﷺ: «لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٍ أتاه الله مالاً، فسَلَّطَهُ على هلكته في الحق، ورجلٍ آتاه الله حكمةً، فهو يقضي بها، ويُعَلِّمُها»[1]][2].

وروي أن المراد بالحاسد إذا حسد: اليهود؛ فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٧٣)، كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، ومسلم (٨١٦)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

سُورَةُ النَّاسِ

مدنية، وآيها: ست آيات، وحروفها: ثمانون حرفاً، وكلمها عشرون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ قرأ ورش عن نافع في السورتين: بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهو اللام، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزة مع إسكان اللام قبلها[١] ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ الذي يملك عليهم أمورَهم، وهو إلههم ومعبودهم، وخُصُّوا بالذكر وإن كان ربَّ كل مخلوق[٢]؛ تشريفاً لهم.

***

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

---

(١) «قبلها» زيادة من «ت». وانظر: «مختصر القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٨١).

(٢) «وإن كان رب كل مخلوق» زيادة من «ت».

﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ عطف بيان لربِّ؛ لأنه قد يقال لغيره: ربُّ الناس؛ كقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَـٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، وقد يقال: ملكُ الناس، وأما إلهُ الناس، فمختصٌّ به تعالى، لا شركة فيه، فجعل غاية للبيان، وتكرير الناس؛ لما في الإظهار من مزيد البيان، وعطف البيان للبيان، فكأنه مَظِنَّة للإظهار دون الإضمار.

* * *

﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ﴾ اسم من أسماء الشيطان، سمي به؛ لكثرة ملابسته إياه، وهو أيضاً ما توسوس به شهواتُ النفس وتسوِّلُه.

﴿ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾ الكثيرِ التأخرِ، له رأس كرأس الحية، يحتم على القلب، فإذا ذكرَ العبدُ ربه، خنس؛ أي: تأخر، فإذا غفل عن ذكر الله، رجع فوضع رأسه على ثمرة القلب، فمنّاه وحدَّثه.

* * *

﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ إذا غفلوا عن ذكر ربهم، والوسوسة: الصوت الخفي.

* * *

﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ يعني: يدخل في الجني، ويوسوس له؛

كما يفعل بالإنسي، وقيل: هو بيان لمن يوسوس؛ لأن الشيطان إنسي وجني؛ لقوله تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]؛ أي: من شر وسوسة الإنس والجن، ويعضد هذا القول قول ابن عطية رحمه الله: ويظهر أيضاً أن يكون قوله: (وَالنَّاسِ) يراد به من يوسوس بخدعه من البشر، ويدعو إلى الباطل، فهو في ذلك كالشيطان[١].

وسمي الجن جناً؛ لاجتنانهم؛ أي: استتارهم، والناسُ ناساً؛ لظهورهم؛ من الإيناس، وهو الإبصار، كما سموا بشراً؛ من البشرة، وهو وجه الجلد.

قرأ أبو عمرو، والكسائي: بإمالة فتحة النون من (النَّاسِ)[٢] حيث وقع هذا الاسم مجروراً في جميع القرآن، وروي عن الأول: الفتح، والوجهان صحيحان عنه من رواية الدوري، وقرأ الباقون: بالفتح[٣]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٤٠).
(٢) «الناس» زيادة من «ت».
(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٧٠٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٨١).

فَصْلٌ فِي خَتْمِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْعَظِيمِ

روي عن ابن كثير ـ رحمه الله ـ أنه كان إذا انتهى في آخر الختمة إلى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ قرأ سورة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وخمسَ آياتٍ من أول سورة البقرة على عدد الكوفي، وهو إلى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ لأن هذا يسمى الحالَّ والمرتَحِلَ، ومعناه: أنه حلَّ في قراءته آخر الختمة، وارتحل إلى ختمة أخرى، وصار العمل على هذا في أمصار المسلمين في قراءة ابن كثير وغيرها.

وورد النص عن الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ أنه إذا قرأ سورة الناس، يدعو عقب ذلك، فلم يستحب أن يصل ختمته بقراءة شيء، وروي عنه قول آخر بالاستحباب(١).

وقد ورد الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «أفضلُ الأعمالِ الحالُّ المُرْتَحِلُ»(٢).

وروي عن ابن عباس: «أن رجلاً قال: يا رسول الله! أيُّ الأعمال

---

(١) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/ ٤٥٨) وقال: ولعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح يصير إليه.

(٢) انظر تخريج الحديث الآتي.

أفضل؟ قال: «عليكَ بالحالِّ المرتحل» قال: وما الحالُّ المرتحلُ؟ قال: «صاحب القرآن، كلما حلَّ ارتحل»(١).

وروي أيضاً عن ابن عباس بزيادة، وهي: يا رسول الله! وما الحالَّ المرتحل؟ قال «فتح القرآن وختمه، صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله، كلَّما حلَّ ارتحلَ»(٢).

وعنه ﷺ: «أنه أمر عليَّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء، وهو: «اللهمَّ إني أسألك إخباتَ المُخْبِتين، وإخلاصَ الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقائق الإيمان، والغنيمةَ من كلِّ بِرّ، والسلامةَ من كل إثم، ووجوبَ رحمتك، وعزائمَ مغفرتك، والفوزَ بالجنة، والخلاصَ من النار»(٣).

وروي عن مجاهد: أن الدعاء عند ختم القرآن مستجاب.

وعن سفيان بن حبيب بن عميرة: إذا ختم الرجل القرآن، قَبَّلَ الملَكُ بين عينيه(٤)، وبلغَ ذلك الإمامَ أحمدَ، فاستحسنه.

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٤٨)، كتاب: القراءات، باب: (١٣)، وقال: حديث غريب، وإسناده ليس بالقوي، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٨٨)، وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الحال المرتحل». قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حلَّ ارتحل».

(٢) انظر تخريج الحديث المتقدم.

(٣) رواه ابن النجار في «تاريخه» عن زر بن حبيش ـ رضي الله عنه ـ، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٤٤).

(٤) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٦١٨).

وعن الإمام البخاري أنه قال: «عندَ كلِّ ختمٍ دعوةٌ مستجابة»[1].

ونص الإمام أحمد على استحباب الدعاء عند الختم، وكذا جماعة من السلف، فيدعو بما أحب مستقبلَ القبلة، رافعاً يديه، خاضعاً لله عز وجل، خاشعاً بين يديه، محسناً التأدُّبَ مع الله تعالى، ولا يتكلف السجع في الدعاء، بل يجتنبه، ويثني على الله ـ عز وجل ـ قبل الدعاء وبعده، ويصلي على النبي ﷺ، ويدعو وهو متيقن الإجابة، ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء.

قال الشيخ أبو سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: إذا سألتَ الله حاجةً، فابدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم ادع بما شئت، ثم اختم بالصلاة عليه ﷺ؛ فإن الله سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما[2].

قال ابن عطاء: للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح، فأركانه: حضور القلب، والرقة، والاستكانة، والخشوع، وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب، وأجنحته: الصدق، ومواقيته: الأسحار، وأسبابه: الصلاة على النبي ﷺ[3].

اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهمَّ صلِّ على جميع الأنبياء والمرسلين، حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٢).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملا علي القاري (٣/ ٢٠).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٣١١).

* **قال جامعه الفقير إلى رحمة ربه عبدُ الرحمن بنُ محمد العمريُّ الحنبلي، ستره الله بحلمه، ولطف به في مواقع قضائه وقدره:**

جمعته بالمسجد الأقصى الشريف - شرفه الله وعظَّمه - بقبة موسى - عَمَرها الله بذكره - تجاه باب السلسة أحدِ أبواب المسجد الشريف في نحو ثمانية عشر شهراً، وكان الفراغ منه في بكرة يوم الجمعة الغراء، السابع من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته من شهور سنة أربع عشرة وتسع مئة، ثم بيضته بالمحل الشريف المشار إليه، وكان الفراغ من تبييضه عند أذان الظهر من يوم الأحد الثاني(١) والعشرين من شهر شوال المبارك سنة سبع عشرة وتسع مئة من الهجرة الشريفة النبوية المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبيَّ بعده، ورضي الله عن أصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته أجمعين(٢) (٣).

---

(١) «الحادي» في «ت».

(٢) جاء في آخر النسخة الخطية «ت»: «وقد وافق الفراغ من هذا الكتاب في ثامن عشر شهر رمضان المعظَّم قدرُه من شهور سنة ست عشرة وألف، أحسن الله ختامها، على يد أضعف العباد، الراجي عفوَ مالك المحامد، الفقير يحيى بن حامد، وذلك بالمسجد الأقصى الشريف المعظَّم قدرُه، نسأله حسن الخاتمة، والموت على الإسلام، إنه قريب مجيب من دعاه، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين».

(٣) يقول الفقير إلى الله تعالى: نور الدين بن صلاح الدين طالب الدومي الحنبلي: تم الفراغ من النظر الأخير في تحقيق هذا الكتاب المبارك ليلة الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة ١٤٢٩هـ، وذلك في مكتبتي العامرة، في مدينة دومة الزاهرة، من أعمال غوطة دمشق، من بلاد الشام، حامداً ومصلياً ومسلماً على النبي محمد وآله وصحبه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس الموضوعات والسور

السورة	الصفحة

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

المجلد الرابع

المجلد الخامس

المجلد السادس

المجلد السابع

* * *